



تاريخ العرب قبل الإسلام

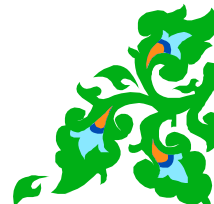
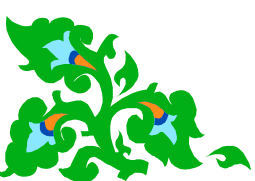
(دراسة في الأحوال الاجتماعية والفكرية والاقتصادية)
من خلال صحيح البخاري ومسلم

رسالة تقدم بها الطالب
أسعد عبد العزيز علي

إلى
مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
شاكر مجيد كاظم الحواني

صفر ١٤٢٧ هـ آذار ٢٠٠٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ

صدق الله العلي العظيم

يوسف/٧٦

الإهداء

لي قلب لو صرخ من الشوق نادى . . . والدي

ولي عمر لو نذرته كان . . . لوالدي

والدي ووالدي . . .

إجلالاً وإكراماً واحتراماً

أخواني وأحبتي . . .

أهدي لكم جهدي المتواضع

أسامة

شكر وتقدير

أتوجه بجميل الشكر والعرفان الى الذين منحوني ثقتهم العالية وطوقوني بالود من اجل اجتياز الصعوبات و الحواجز التي تعترض كل سبيل يقف امام تحصيل العلم وتسهيله امامي، فيسرني أن أشكر رئاسة جامعة البصرة، والدكتور باسم حطاب الطعمة عميد كلية الآداب لمحترم وايضاً الدكتور هلال ثجيل الخفاجي رئيس قسم التاريخ المحترم، لمساعدتهم الطيبة في تسهيل مهمة اعداد هذه الرسالة.

كما أتوجه الى أستاذي الفاضل الدكتور شاكر مجيد كاظم الحواني بعظيم الشكر و الأمتنان على اشرافه على هذه الرسالة وبذله الجهود الكبيرة والمضنية في سبيل توجيهها الى الاتجاه الصحيح بدءاً من اعداد خطة الرسالة وانتهاءً الى آخر مبحث من مباحثها، فقد كان لآرائه العلمية الصائبة وتوجيهاته السديدة الدور الفاعل والكبير في إغناء الرسالة واخراجها بالشكل اللائق والصورة المناسبة، وعلى تزويدي ببعض المصادر من مكتبته الخاصة.

كما أقدم بالغ شكري و تقديري الى أساتذتي الأفاضل الذين كان لهم دوراً مهماً في دراستي خلال السنة التحضيرية وهم الأستاذ الدكتور محمد جواد الموسوي والدكتور خليل هاشم الزويني والدكتورة سلمى عبد الحميد الهاشمي والدكتور رعد زهراو مطشر والدكتور هشام جخيور الربيعي والدكتور مجيد ماجد الزامل، كما أشكر جميع أساتذتي الذين درست لديهم خلال مرحلة البكالوريوس في قسم التاريخ، وأخص منهم بالذكر الدكتور جواد كاظم منشد النصرالله، والذي كان له الدور الكبير في توجيهي الى هذا الطريق العلمي السوي، كما أقدم شكري و امتناني الى الأستاذ الدكتور الحاج مصطفى عبد اللطيف جياووك في قسم اللغة العربية في كلية الآداب لقرائته مسودة الرسالة بكافة مباحثها وتصويبها نحو الأفضل فله مني بالغ الشكر والتقدير. كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المساعد الدكتورة سهيلة مرعي مرزوق التي تفضلت بتقويم الرسالة علمياً والدكتور عقيل عبد الحسين الذي تفضل بتقويمها لغوياً.

كما أسأل الله تعالى ان يترحم على روح السيد نورالدين عباس شبر وأن
يفغر له لرعايته ودعمه وتشجيعه لي لدراسة الماجستير فجزاه الله عني خير جزاء
المحسنين، كما أقدم عظيم شكري وأمتناني الى الأخ الشيخ محسن عبدالزهره
المطوري، والى عمي محمود شاكر وأهله والى جميع أقبائي، وأصدقائي وأخص
منهم بالذكر ماجد عبد الستار العباس ومحمد سلمان منور لدعمهم لي والسؤال
عني فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

كما لايفوتني أن أقدم عظيم امتناني و فائق شكري الى موظفي مكتبة كلية
التربية، جامعة البصرة، الذين مدوا لي يد العون وأرشدوني بالمصادر والكتب التي
أحتاجها والتي لولاهم لما خرجت الرسالة بهذه المصادر، والذي يعز علي عدم
ذكر أسمائهم خوف الأطلالة فجزاهم الله عني خير الجزاء، كما أقدم شكري الى
أساتذة قسم التاريخ في كلية التربية، لما أبدوه لي من مساعدة وما كنت ألقيه منهم
من أستقبال و حفاوة، كما أقدم عظيم امتناني وشكري الى موظفي المكتبة المركزية
لمساعدتهم الكريمة لي في جميع مراحل دراستي فلهم مني جزيل الشكر
والثناء، كما أقدم شكري الجزيل الى موظفي مكتبة كلية الآداب فلهم مني جزيل
الشكر والعرفان.

وأخيراً أقدم عظيم شكري و امتناني الى مكتب الرائد للحاسبات والطباعة
وبالأخص الأخ أحمد والأخ مهدي، كما أشكر الأخ حسين لقيامهم بطبع الرسالة
وأظهارها بهذا الشكل، والى كل من مد يد العون والدعاء لي فلهم شكري و
تقديري.

قائمة الرموز والمختصرات المستخدمة بالرسالة

ت	توفي
د. ت	دون تاريخ
لا . ط	لا يوجد طبعة
لا. م. ط	لا يوجد مكان للطبع
ج	جزء
ق	قسم
م. ن	المصدر نفسه
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
س	السنة
م	التقويم الميلادي
هـ	التقويم الهجري
P.	الصفحة
Vol..	المجلد او الجزء

المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	شكر وتقدير
أ	قائمة الرموز المستخدمة بالرسالة
ب - د	قائمة المحتويات
١١-١	المقدمة
٨٤-١٢	الفصل الاول: الحالة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام
١٢	توطئة
٣١-١٣	المبحث الاول: الحياة الأسرية والاجتماعية
١٩-١٣	١. الزواج
٢٢-١٩	٢. الرضاع
٢٤-٢٣	٣. مكانة المرأة: أ- العدة
٢٥-٢٤	ب. الحيض
٢٨-٢٥	ج. وأد البنات
٢٩-٢٨	٤. الميراث
٣١-٣٠	٥. النظافة والطهارة
٤٣-٣٢	المبحث الثاني: الأنساب
٣٥-٣٣	١. انساب القبائل
٣٨-٣٥	٢. الفخر وبالأحساب والطعن بالانساب
٤٠-٣٨	٣. العصبية القبلية
٤٢-٤٠	٤. الاستلحاق بالنسب (التبني)
٤٣-٤٢	٥. الحليف
٦٧-٤٤	المبحث الثالث: العادات والتقاليد الاجتماعية
٤٦-٤٤	١. الأفراح (الأعياد)
٤٨-٤٦	٢. المأكولات والمشروبات أ- الطعام
٥١-٤٨	ب. شرب الخمر
٥٥-٥١	٣. اللباس والزينة
٦٠-٥٥	٤. الحزن: أ. النياحة على الميت
٦٢-٦٠	ب. بناء القبور
٦٧-٦٣	٥. عادات أخرى: أ- العدوى والطيرة الهامة والصفرة

الصفحة	الموضوع
٦٧	ب. الصيد
٧٥-٦٨	المبحث الرابع: مآثر العرب
٧١-٦٨	١. الصدقة
٧٢-٧١	٢. العتاقة
٧٣-٧٢	٣. صلة الرحم
٧٥-٧٤	٤. التكافل الاجتماعي
٨٤-٧٦	المبحث الخامس: عقوبات العرب
٧٩-٧٦	١. الحلف
٨١-٧٩	٢. السرقة
٨٣-٨١	٣. القسامة
٨٤-٨٣	٤. الدية
١٤٣-٨٥	الفصل الثاني: الحالة الفكرية عند العرب قبل الإسلام
٨٥	توطئة
١٠١-٨٦	المبحث الاول: المعتقدات والمعبودات
٩٣-٨٦	١. الأصنام والأنصاب
٩٧-٩٤	٢. العبادة الفلكية
٩٩-٩٧	٣. عبادة الجن
١٠١-١٠٠	٤. المسيحية عند العرب قبل الإسلام
١٢٧-١٠٢	المبحث الثاني: الطقوس الدينية
١٠٥-١٠٢	١. عدة الشهور العربية والأشهر الحرم
١٠٨-١٠٥	٢. النسيء
١١٦-١٠٨	٣. الحج والعمرة
١١٨-١١٦	٤. الحمس
١٢٠-١١٩	٥. النذر والاعتكاف
١٢٢-١٢١	٦. الصوم
١٢٥-١٢٢	٧. القرابين
١٢٧-١٢٥	٨. الاستقسام بالالزام
١٤٣-١٢٨	المبحث الثالث: معارف العرب قبل الإسلام
١٣١-١٢٨	١. أمية العرب قبل الإسلام
١٣٥-١٣١	٢. الكهانة
١٣٧-١٣٦	٣. القيافة

الصفحة	الموضوع
١٤١-١٣٧	٤. الانواء
١٤٣-١٤١	٥. الطب
١٤٤-١٨٠	الفصل الثالث: الحالة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام
١٤٤	توطئة
١٥٦-١٤٥	المبحث الاول: النشاطات والاقتصاد
١٥٠-١٤٥	١. التجارة
١٥٤-١٥٠	٢. الحرف الصناعية
١٥٦-١٥٤	٣. الزراعة
١٦٥-١٥٧	المبحث الثاني: الأسواق
١٦١-١٥٧	١. سوق عكاظ
١٦٣-١٦١	٢. سوق مجنة
١٦٥-١٦٣	٣. سوق ذي المجاز
١٨٠-١٦٦	المبحث الثالث: المعاملات التجارية
١٧٧-١٦٦	ولا: انواع البيع
١٦٦	١. بيع الغرر
١٦٧	٢. بيع الحصة
١٦٨-١٦٧	٣. بيع الملامسة
١٦٨	٤. بيع المنابذة
١٦٩-١٦٨	٥. بيع حبل الحبله
١٦٩	٦. بيع التصرية
١٧٠	٧. بيع الصبرة
١٧٠	٨. بيع الولاء
١٧٣-١٧٠	٩. بيع المزروعات
١٧٧-١٧٣	١٠. معاملات تجارية اخرى
١٨٠-١٧٧	ثانياً: الربا
١٨١-١٨٢	الخاتمة
١٨٣-٢١٢	قائمة المصادر والمراجع
A-B	ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية

المقدمة

ان لكل أمة وشعب من الشعوب حضارته وتاريخه، يرجع إليه لأخذ العبر منه ويطلع عليه لمعرفة ماضيه وما فيه خاصةً من إشراق، وان لأمة العرب أهمية كبيرة في هذا الجانب، فهي عريقة بحضارتها، أصيلة بتاريخها، ويجدر بنا الاطلاع على تاريخها وذلك لتأصيل حاضرتنا بماضيها، وسد الفجوة التي تبدو وكأنها قطيعة بين الماضي والحاضر، وكذلك لمعرفة الأمة التي بزغ عليها نور الإسلام، ليجليها ويزيدها إشعاعاً، ولقد قال الرسول (ﷺ) في هذا الباب (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فمع وجود السلبيات في المجتمع العربي قبل الإسلام، كان في من الايجابيات والمفاخر الشيء الكثير أيضاً، وقد كان للعرب دول وقبائل قبل الإسلام، ومارسوا فيها حياتهم الاجتماعية بصورة طبيعية، وعلموا أبناؤهم عليها حتى توارثوها، وعد بعضها من مفاخرهم التي يفتخرون بها على الأمم، كحفظ أنسابهم، والصفات الأخلاقية الكريمة التي تحلو بها، ولم يكونوا يعانون من فراغ فكري، كما يصوره لنا بعض الكتاب من المستشرقين، وانما كانوا على درجة كبيرة من الوعي الفكري، فقد وجدت عندهم مختلف الأديان والمعتقدات، وقد مارسوا جميع أنواع الطقوس العبادية وما يمليه عليهم تفكيرهم، وكانت عندهم بعض أنواع المعارف التي كانت عند الأمم المتحضرة آنذاك، وتميزوا بالجانب الاقتصادي بشكل كبير، وخاصة في التجارة التي برعوا فيها كثيراً حتى وصفوا بها، كما عرفوا الأمور الاقتصادية الأخرى والمعاملات التي تقوم عليها أمور معيشتهم، وغيرها من الأمور التي يجدر بنا معرفتها والإطلاع عليها كي نفهم على حقيقة تاريخ العرب قبل الإسلام ومعرفته أهميته. ولمعرفة أهمية حضارة العرب قبل الإسلام وتاريخهم، فقد تكفلت عدة مصادر ونقلنا لنا جوانب مهمة منه وهذه المصادر هي: النقوش والآثار والسكة، والمصادر العبرانية كالتوراة والتلمود، وما ألفه اليونان والرومان عن العرب، والمصادر والكتابات البيزنطية والسريانية والحبشية، وما نقلته لنا أيضاً مصادرنا العربية كالقرآن الكريم وكتب التفسير والشعر الجاهلي والمؤرخين المسلمين ومنها أيضاً كتب الحديث النبوي الشريف^(١).

وتعد كتب الحديث النبوي الشريف مصدراً مهماً لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، وذلك من خلال نقل الكتب للأحاديث التي تتكلم عن العرب قبل الإسلام وأفعالهم، والتي وقف منها أما بتحريمها

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: جواد علي/ المفضل/ ١/ ٤٢-٧٣؛ منذر البكر/ دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن/ ص ٦-٤٢

لأنها تتعارض مع الإسلام أو بتقويمها بعد تشذيب لها، أو بإقرارها لأنها في جوهرها تتفق مع جوهر الإسلام. وكذلك لكون الرسول (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم) يعتبرون شاهدي عيان على تلك الفترة التي سبقت الإسلام، وإنهم عاشوا فيها، فلذلك كان لا بد أن تتطرق أحاديث الرسول (ﷺ) عن تلك الفترة التي عاشها والتي جاء مقوماً ومصححاً لها، إلا أنه وللأسف نجد أن المؤرخين المسلمين يتحاشون ويقللون م أخبارهم وكلامهم حول الفترة التي سبقت الإسلام، ويبدو ذلك تعصباً منهم للدين الإسلامي الجديد، ونبذهم لما كان من كفر وشرك، فلم يتطرقوا إلى أخبار العرب قبل الإسلام إلا الشيء اليسير ونرى ذلك من خلال مؤلفاتهم، فقد انصب جهدهم على عصر صدر الإسلام وما تلاه، نستثني من ذلك ما كتبه أبن الكلبي (ت ٢٠٤هـ - ٨١٧م) عن أصنام العرب وعبادتهم لها وأخبارهم وأنسابهم، وغيره ممن تطرق إلى ذكر أنسابهم، ولذلك نجد أن أكثر تفاصيل أخبار العرب قبل الإسلام قد طمست وغيبت وتعرضت للإهمال بسبب فكرتهم هذه، فلم نجد أخبار العرب قبل الإسلام إلا مبعثرة بين طيات الكتب هنا وهناك، كما أنهم لم يحاولوا أن يسيروا إلى أخبار العرب قبل الإسلام من خلال الأحاديث النبوية إلا عند ذكرهم للمواضيع الفقهية في التحريم والنهي ويكتفون بالذكر المقتضب للحديث.

كما إنني وللأسف لم أجد دراسة أكاديمية اختصت بهذا الموضوع، ودرست تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال كتب الحديث النبوي الشريف، ولهذا جاءت دراستي بعنوان (تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال صحيح البخاري ومسلم). وكانت هناك عدة أسباب ومبررات دفعتني لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام من هذا المصدر هي، إن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، وهو أوثق المصادر بعد القرآن الكريم، فتعد الروايات والأخبار التي وردت فيه عن العرب تاريخاً صحيحاً لهم إذا ثبت صحة تلك الروايات، لكونه مأخوذاً من مصدر موثق في صحته، (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)^(١). فضلاً عن ذلك العلاقة الوثيقة بين الحديث النبوي

(١) القرآن الكريم/سورة النجم/الآية ٣، ٤

والتاريخ باعتبارهما علمين بينهما روابط وقواعد مشتركة^(١). وأردت بدراستي هذه المكتبة العربية بدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال الحديث الشريف، لسد الثغرة الموجودة في مكتبتنا. وقد اقتصرَت الدراسة هذه من بين كتب الحديث الشريف على كتابين هما الصحيحان للإمامين، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ - ٨٧٠م)، والذي عاش في بخارى ومات في سمرقند في المشرق الإسلام، وهو صاحب أول الكتب الستة المشهورة بالصحيح واستغرق تأليفه ست عشرة سنة، وبين دفتيه ما يقارب سبعة آلاف وثلاثمائة حديث، مقسمة على أبواب من أصل ثلاثمائة ألف حديث سمعها. أما مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ - ٨٧٥م). الذي عاش في نيسابور في إيران وتوفي في أحد ضواحيها، فهو صاحب الكتاب الثاني في الصحيح المشهورة وقد سار على خطى سلفه البخاري في تأليفه، فقد جمع حوالي سبعة آلاف حديث من أصل ثلاثمائة ألف حديث، وقد اشتملت أحاديثهما على أقوال النبي (ﷺ) وصحابته (رضي الله عنهم) مما جاء عنهم. واتبعا تقريباً نفس النهج في قبول الأحاديث أو ردها، وقد جاء كتاباهما يحمل أسميهما واشتهرا بهما (صحيح البخاري) و (صحيح مسلم)^(٢)، وسبب الاختصار عليهما هو أن من الصعب جداً الإحاطة بالحديث الشريف بشكل عام ودراسته دونما تخصيص كتب معينة وذلك لكثرة كتب الحديث وسعتها من حيث كتب الصحيح والضعيف والمسانيد والاستدراكات وغيرها من الكتب المختلفة وأيضاً لأن الأحاديث النبوية منتشرة ومثبوتة في مختلف أنواع الكتب، فنجد الأحاديث في كتب السيرة والتاريخ، كما نجد في اللغة والأدب، كما نجد لأحاديث أيضاً في تفاسير كتب التفسير وكتب شروح الحديث،

(١) حول العلاقة بين علمي الحديث والتاريخ والقواعد المشتركة بينهما أنظر: الكافيحي/ المختصر في علم التاريخ/ ص ٣٣٧؛ أكرم ضياء العمري/ بحوث في تاريخ السنة المشرفة/ ص ٢٠٥-٢٠٧؛ أسد رستم/ مصطلح التاريخ/ ص ٧ فما بعدها؛ صبحي الصالح/ علوم الحديث ومصطلحه/ ص ٣-١٠؛ محمد جاسم حمادي/ أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء تطور الفكر التاريخي/ ص ٢٧٩

(٢) لتفاصيل أكثر حول البخاري ومسلم وكتابيهما أنظر: ابن خلكان/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ ٤/ ١٨٨-١٩٠، ١٩٥/٥؛ شمس الدين الذهبي/ تذكرة الحفاظ/ ٢/ ٥٥٥-٥٥٦، ٥٨٨-٥٩٠؛ حاجي خليفة/ كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون/ ١/ ٥٤١-٥٥٩

ونجدها أيضاً في كتب الجغرافيين والبلدانيين، فالحديث نجده في سيرة أبين إسحاق (ت ١٥١هـ - ٧٦٨م)، وسيرة أبين هشام (ت ٢١٣هـ - ٨٢٨م) وغيرهما، ونجده عند أبين الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) في الكامل، ونجده في لسان العرب لأببن منظور (ت ٧١١هـ - ١١٣١م)، ونجده في العقد الفريد لأببن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ - ١٠١١م)، ونجده عند الطبري (ت ٣١٠هـ - ٩٢٢م)، والقرطبي (ت ٦٧١هـ - ١٢٧٢م) في تفسيرها، كما نجده عند البيروني (ت ٤١٠هـ - ١٠١٩م) في الآثار الباقية، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٨١م) في معجم البلدان، وغيرها من الكتب، فمن الصعب جداً الإحاطة بالأحاديث في جميع كتب الحضارة العربية الإسلامية كما أنها تأخذ وقتاً طويلاً جداً للإحاطة بها، وبالإضافة إلى هذا فإن الذي جعلني أخص كتابي الصحيحين بالدراسة هو كون هذين الكتابين مشروحين من قبل العلماء، فكتب الشرح تمهد الطريق وتسهله أمام الباحث في الصحيحين، لمعرفة الأحاديث وما بها من أشارات تخص تاريخ العرب قبل الإسلام موضوع الدراسة، كما ان الصحيحين يعدان من الكتب الرائدة في الحديث الشريف ولهذا فقد ركزت دراستي على الصحيحين أنموذجين لكتب الحديث الشريف.

ولقد واجهتني صعوبة كبيرة أثناء البحث، وهي ليست عقبة لي وحدي بل للعراقيين جميعاً، وهي عملية غزو العراق والاحتلال البغيض، وما رافقه من عملية سلب ونهب وحرق لمؤسسات ودوائر الدولة، وكان للمكتبة والكتب حصة كبرى منها، فلم تبقى هنالك مكتبات عامة وكانت الرافد الأساس للباحث، ترفده بالكتب والمصادر المهمة منها خاصة، حيث ان الباحث لم يعثر على قسم من المصادر الأولية والمراجع الثانوية للبحث، وهذا يتطلب بذل جهد مضاعف بغية الحصول عليها من مكتبات خاصة أخرى. كما ان مادة البحث واسعة جداً وذات علاقة ببعض العلوم الأخرى، كالتفسير والفقه واللغة والأدب والجغرافية والطب وغيرها، الأمر الذي تطلب الرجوع إلى هذه المصادر كلها للاطلاع عليها والاستفادة منها في بناء مادة البحث ودعمها بالآراء التي تحتويها هذه العلوم وكتبها، ومما زاد في الصعوبة ان مادتها كانت موزعة ومنتشرة في بطون الكتب لتشمل مساحة واسعة منها.

ومما زاد في صعوبة البحث، عد كتابي الصحيحين من كتب الحديث، فإن ذكرها لأخبار وعادات وتقاليد العرب كانت تأتي بصورة عامة دون التفاصيل أحياناً، ومع التفاصيل أحياناً أخرى، فبني البحث على هذا الأساس، وكان ذكر أخبار وتقاليد العرب قبل الإسلام تأتي أما بصورة مباشرة

وذلك بالقول "كانوا.." أو "كان عرب الجاهلية.." إلخ...، من الألفاظ التي تدل على فترة قبل الإسلام، أو تأتي بإشارة واضحة للأفعال الجاهلية، كالوُد والربا وغيرها، كما استدلت على الفعل الجاهلي عند العرب من خلال نهي الرسول (ﷺ) عن هذه الأفعال التي كانت عندهم وبينتها لنا كتب الشروح والمصادر الأخرى، كنهيه عن أنواع البيع وغيره وذلك ان الإسلام قد جاء ليغير بعض الأفعال الموجودة في الزمن السابق له، الأمر الذي تطلب الرجوع إلى أخبار وتاريخ العرب قبل الإسلام في المصادر الأولية التي من خلالها نستطيع ان نوضح ما ورد في الأحاديث النبوية من الإشارات عنها. واستطيع القول ان الصحيحين في أحاديثهما قد أعطيا بعض الخطوط العريضة وليس كلها لتاريخ العرب قبل الإسلام، وان ما وردت من معلومات تاريخية في الصحيحين كانت مادة مختصرة ولم تكن مستفيضة في ذكرها للمعلومات عن طبيعة الحياة عند العرب قبل الإسلام، وان ما جاءت عرضاً موجزاً، فلذا تطلب تبيانها وتفصيلها بالرجوع إلى المصادر الأخرى.

وتقع الرسالة في ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة، وتضمن الفصل الأول الحالة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، وضم خمسة مباحث هي: الحياة الأسرية والاجتماعية، والأنساب، وعادات وتقاليد اجتماعية كانت لديهم، وبعض مآثر العرب، قبل الإسلام والتي ذكرت في الصحيحين والعقوبات عند العرب. أما الفصل الثاني فقد تناول الحالة الفكرية عند العرب قبل الإسلام، وقد انقسم إلى ثلاثة مباحث هي: المعتقدات والمعبودات، والطقوس والعبادات، ومعارف العرب قبل الإسلام. أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه الحالة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، وقد جاء في ثلاثة مباحث هي: النشاطات الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة، وأهم الأسواق العربية، والمعاملات التجارية التي كانت عند العرب قبل الإسلام.

ولم يعتمد الهيكل العام للدراسة على مصدر دون آخر، فقد ضمت قائمة المصادر العديد من الكتب المختلفة في علومها والتي أسهمت جميعاً في بناء الموضوع، وان كان نسبة هذا الإسهام تختلف من مصدر لآخر، كما ان أهمية المعلومات تختلف من مصدر لآخر، وبسبب تنوع تلك المصادر فقد ارتأيت استعراضها ومعرفة مدى الاستفادة منها في البحث وهي:-

١- كتب شرح الحديث:

تعد كتب شرح الحديث من أهم المصادر وأولها أهمية في البحث، فهي مختصة ببيان الحديث النبوي وشرحه وتفسيره، وإن كتب الشرح للصحيحين التي اعتمدت في البحث هي، صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م). وفتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٩م). وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ - ١٤٥٢م). وتوجد بهذه الشروح أخبار ومعلومات عن تاريخ العرب قبل الإسلام، أشار إليها الحديث الشريف في الصحيحين، وقد انتشرت في مباحث فصول البحث، كأنواع الزواج والعدة للمرأة والحج والحمس، ومن أبرز الأخبار التي ذكرتها لنا الشروح، أخبار الأسواق التي ذكرت في الصحيحين، وعن أنواع البيع والمعاملات التي كانت عند العرب، وقد أنفرد أبن حجر العسقلاني في شرحه، بذكر الأسواق التي ذكرها البخاري في صحيحه في التفصيل عنها بأماكنها وأوقات انعقادها.

٢- كتب السيرة والتاريخ:

لقد اعتمد البحث على عدة من كتب السيرة ومن أهمها، السير والمغازي، لأبن إسحاق (ت ١٥١هـ - ٧٦٨م). والسيرة النبوية، لأبن هشام (ت ٢١٣هـ - ٨٢٨م). والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام، للسهيلي (ت ٥٨١هـ - ١١٨٥م). ويعد كتابي السيرة النبوية لأبن هشام وشرحه الروض الأنف للسهيلي، من أهم كتب السيرة التي رفدت البحث بمعلومات وأخبار عن تاريخ العرب قبل الإسلام التي ذكرها لنا الصحيحين. ففي جزءهما الأول قد تحدثوا وفصلوا عن أحوال العرب عامة وقریش خاصة وأخبار النبي (ﷺ) قبل مجيء الإسلام، فقد ذكرت لنا عبادات العرب وأشهر بيوتات العبادة التي كانت موجودة كما عرضت ما كان من شعائر الحج والحمس وتقديم النذور والقرايين، كما ذكرت لنا بعض التقاليد الاجتماعية عند العرب كالرضاعة وأنسابهم وأيامهم وغيرها من أخبار أخرى، كما ذكرنا لنا بالتفصيل نشاط العرب التجاري وخاصة معاهدة الإيلاف.

أما من كتب التاريخ، فقد اعتمد البحث على كثير منها وكان من أهمها وأقدمها التي تناولت أخبار وتاريخ العرب، كالأصنام، لأبن الكلبي (ت ٢٠٤هـ - ٨١٧م). وأخبار مكة، للأزرقي (ت ٢٢٤هـ - ٨٣٩م). والمحبر لأبن حبيب (ت ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م). والكامل في التاريخ، لأبن الاثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م) وغيرها من كتب التاريخ الأخرى. فاما كتاب الأصنام لابن الكلبي فهو أقدم

مصدر عن تاريخ العرب قبل الإسلام، وقد استفدت منه بذكر الأصنام والإلهة التي كانت تعبد عند العرب والبيوتات المقدسة عندهم والتي ذكرها لنا الصحيحان فقد وضع لنا هذا الكتاب أماكن الأصنام ومن من القبائل يعبدها ويحج إليها وسدنتها، كما ذكر لنا ما يحيط بهذه الأصنام من القداسة ووجوب أن يكون الإنسان طاهراً نظيفاً من كل دنس كي يقربها، هذا فضلاً عن ذكره بعض الأخبار المتعلقة بالعرب قبل الإسلام. أما كتاب أخبار مكة للأزرقي، فلقد زدنا بمعلومات وافية عما يقوم في مكة قبل الإسلام، من شعائر للحج وما رافقه من طقوس وأعمال كانت تقوم بها قريش والوافدين عليها من خارج مكة كالنسيء والحمس وغيره. أما كتاب المحبر لابن حبيب، فقد زدنا بمعلومات جمة عن تاريخ العرب فلقد ذكر لنا الكثير من أخبار العرب الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، إلا أن من أبرز ما ذكره واستفدت منه في البحث هو ذكره لمن ولد على غير فراش أبيه، وذكره لمن أفلح عن شرب الخمر وتركها قبل الإسلام، وإيضاً ذكره لسرقة الكعبة ومن قطعت قريش يده في السرقة، كما ذكر لنا تلبيات العرب في حجها لأصنامها في الجاهلية وتقديمها للقرايين بالإضافة إلى ذكرهم للأسواق العربية الثلاث التي ذكرها الصحيحان في الأحاديث، أما كتاب الكامل لأبن الأثير الجزري، فقد استفدت منه في ذكر الأيام التي ذكرتها للعرب قبل الإسلام.

٣- كتب التفسير:

وكانت لكتب التفسير للقرآن الكريم أثر في تفصيل وتوضيح الفعل الجاهلي الذي ذكره لنا الصحيحان ومن أهم كتب التفسير التي انتفع بالبحث بها، جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م). وتفسير الكشاف للزمخشري (ت ٥٢٨ هـ - ١١٣٣ م). وتفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) للفخر الرازي (٦٠٦ هـ - ١٢١٠ م) والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م). وتفسير القرآن العظيم، لأبن كثير (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م). والدر المنثور، للسيوطي (ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م) وغيرها من التفاسير التي تحتوي على أخبار ومعلومات مهمة عن تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال ذكرهم

لأسباب نزول الآيات، واستطردهم في الشرح للآيات الخاصة بذكر ما كان عليه العرب، فقد اوردوا الكثير من الأحداث والاخبار المتعلقة بأنواع الزواج والميراث ومكانة المرأة في المجتمع الجاهلي كالوآء، وأيضاً ما كان عندهم من معتقدات وطقوس، خاصة إذا علمنا ان بعض هؤلاء المفسرين كالطبري وابن كثير هم من أهل التاريخ.

٤ - كتب الأنساب:

واعتمد البحث على مجموعة من كتب الأنساب التي كانت عوناً في إنجازة مثل، نسب قريش وأخبارها، لمصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م). ونسب قريش، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م). والاشتقاق، لابن دريد (ت ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م). وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م). فقد اعانتنا في معرفة انساب القبائل العربية وانساب الشخصيات التي ذكرت في البحث وما يتعلق بها من اخبار.

٥- كتب التراجم:

أما كتب التراجم فقد ساهمت في ترجمة الأعلام المذكورين في البحث وهذه الكتب هي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبن الاثير الجزري (ت ٦٣٠-١٢٣٢ م) والإصابة في تمييز الصحابة، لأبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م).

٦- كتب اللغة:

ومن أهم كتب اللغة التي استفدت منها في البحث هي، لسان العرب، لأبن منظور (ت ٧١١ هـ - ١١٣١ م). والقاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م). وتاج العروس، للزبيدي (ت ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٠ م). وغيرها من المصادر اللغوية الأخرى، وتتأتى أهميتها من تعريفها المفردات وكلمات العرب واستطردهم التاريخي لها، وما تعنيه هذه المفردات من معاني عند العرب قبل الإسلام، كما ان في هذه الكتب العديد من الأخبار والروايات التاريخية التي تخص تاريخ العرب.

٧- كتب الأدب:

كما استفاد البحث من كتب الأدب التي احتوت على معلومات تاريخية مهمة عن تاريخ العرب قبل الإسلام مثل، الحيوان، والبيان والتبيين، للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ - ٨٣٩ م). وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م). وغيرها من مؤلفاته الأخرى. والكامل، للمبرد (ت ٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م). والعقد الفريد، لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م). والأغانى، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م). وجمهرة الأمثال والأوائل، لأبي هلال العسكري (ت بعد ٤٠٠ هـ - ١٠٤٨ م). والمستطرف، للأبشي (ت ٥٨٠ هـ - ١١٤٦ م). ونهاية الأرب للنويري (ت ٧٣٣ هـ - ١٤٣٣ م). وصبح الأعشى، للقلقشندي (ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م). وغيرها من الكتب الأخرى، وقد رفدت البحث بمعلومات قيمة وأخبار عن تاريخ العرب قبل الإسلام، كما اطلعنا على خطبهم كما في منافراتهم وبعض أقوالهم وأشعارهم والتي صورت لنا طبيعة الحياة العربية.

٨- الدواوين الشعرية:

واعتمدت الدراسة على الدواوين الشعرية، لأن الشعر ديوان العرب، ويعتبر مرآة للحياة العربية قبل الإسلام، وفيه معلومات جمة عن أحوالهم وأعمالهم المختلفة، ومن أهم الدواوين التي استفدت منها، ديوان أمراء القيس (ت ٥٤٥ م). وديوان أوس بن حجر (ت ٥٥٥ م). وديوان حاتم الطائي (ت ٦٠٥ م). وديوان زهير بن أبي سلمى (ت ٦٠٩ م). وديوان الأعشى الكبير (ت ٨ هـ - ٦٢٩ م). وديوان الخنساء (ت ٢٤ هـ - ٦٤٥ م) وغيرهم من الشعراء الجاهليين وقسم من المخضرمين الذين أدركوا الإسلام، كما استفدنا من بعض الكتب الشعرية الأخرى مثل، الحماسة، للبحراني (ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م). وشرح المعلقات، كشرح المعلقات السبع، للزوزني (ت ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣ م) وشرح المعلقات العشر، للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م). وغيرها من كتب الشعر.

٩- كتب البلدان:

وكانت الكتب البلدانية رافداً مهماً في حصولنا على المعلومات التي تخص البحث ومن أهمها، الأعلام النفسية لأبن رسته (ت ٢٩٠ هـ - ٩٠٣ م). وصورة الأرض، لأبن حوقل (ت ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م). والآثار الباقية، للبيروني (ت ٤١٠ هـ - ١٠١٩ م). ومعجم البلدان، لياقوت الحموي

(ت ٦٢٦ هـ - ١٢٨١ م). وغيرها. وقد استفاد البحث منها لذكرها للأماكن والمواضع الجغرافية وما شهدته من أحداث ووقائع، فضلاً عن ما تضمنته من معلومات تاريخ العرب قبل الإسلام.

١٠- المراجع الحديثة:

كما اعتمد البحث على عدد من المراجع الحديثة، وذلك من خلال طرحها للآراء والأفكار أو الاستناد إليها، وكان من هذه المراجع، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، ومحاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام لصالح العلي، وتاريخ العرب في عصر الجاهلية لعبد العزيز سالم، وأيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى وآخرون، وتقويم العرب في الجاهلية لعبد المحسن الحسيني، وقريش قبل الإسلام لعواطف أديب سلامة، والتاريخ السياسي للدولة العربية لعبد المنعم ماجد، وكتاب الأعلام للزركلي، وغيرها. هذا بالإضافة إلى ما كتبه بعض المستشرقين الأجانب من كتب تخص العرب والمترجمة منها مثل، حضارة العرب لغوستاف لوبون، ودراسات في حضارة الإسلام لهاملتون جب، ومكة والحيرة وصلتهما بالقبائل العربية لكستر، والحضارة العربية لجاك رسلر، والعرب على حدود بيزنطة وإيران لبيغو لفسكاي. وغيرها. كما كان للأدباء المحدثين دور كبير في البحث من خلال آرائهم وتحليلاتهم للشعر العربي والحياة العامة وخاصة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام مثل كتاب، العصر الجاهلي لشوقي ضيف، والجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي ليحيى الجبوري، والمرأة في الشعر الجاهلي لأحمد الحوفي، والشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية لإبراهيم عبد الرحمن محمد، وغيرها. كما اعتمد البحث على بعض البحوث والدوريات والرسائل الجامعية وبعض المصادر الأجنبية.

وختاماً أقول لا أحسب اني حققت كل ما أصبو إليه، فسبيل الحديث الشريف واسع، وتاريخ العرب واسع أيضاً فلا شك ان في كتب الحديث النبوي الأخرى أخباراً كثيرة عن تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخهم، فلا ضير من الرجوع إليها ودراستها، كما لن يكون جهداً واحداً بديلاً عن جهود أخرى يمكن ان تصوب وتضيف، وحسب هذه الدراسة انها شخّصت الحاجة لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال كتب الحديث النبوي الشريف، وأنها شكلت محاولة أولى فهذه مساهمة متواضعة أردت ان ابين بها التاريخ العربي قبل الإسلام من خلال الحديث النبوي الشريف

في الصحيحين والإطلاع عليه من خلاله، ولعلي أسهم ولو بجزء يسير في ذلك وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في إعداد هذه الرسالة، ولا أدعي الكمال لأن الكمال لله عز وجل وحده، بل اعترف بأني بشر ملاكي النقص، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وآخر دعواي ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث
أسعد عبد العزيز علي

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

الحالة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام

توطئة

يُعدّ العمل الاجتماعي واحداً من العوامل المهمة في المجتمعات الانسانية، وهو المرآة التي تتصور فيها جميع نشاطات الانسان والاعمال التي يقوم بها ويقدمها للمجتمع من اعمال فكرية وجسدية وسلوكية، وباعتبار امة العرب قبل الاسلام احدى هذه المجتمعات التي مرت على مسرح التاريخ الانساني ، فلقد كان لهذا العامل دور كبير ومهم فيها.

ومن خلال دراستنا للحاديث النبوية في الصحيحين، وجدنا الحديث النبوي فيها قد ذكر لنا عدة جوانب اجتماعية، حيث اشار الى الحياة الاسرية والاجتماعية عند العرب قبل الاسلام، من انواع زواج وعلاقات وميراث وما يخص المرأة العربية من اعمال كانت تقوم بها، كما قدم لنا صورة عن بعض التقاليد الاجتماعية التي كانت موجودة عندهم من اخراج واعياد واطعمة واشربة واللبسة وزينة واحزان وغيرها من أمور كانت لديهم وطوقها، وأيضاً ذكر لنا بعض انساب العرب وما يلحق النسب من امور كانت عندهم متفشية في المجتمع العربي قبل الاسلام، كما تطرق الى العقوبات التي كانت عندهم من حدود وقصاص وضع ضد الجرائم التي ترتكب في مجتمعاتهم وكيفية التعامل معها، كما ذكر لنا بعض مآثر العرب قبل الاسلام والتي تعتبر من النواحي الاجتماعية المشرفة عند العرب وتاريخ الانسانية، وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل.

المبحث الأول الحياة الأسرية والاجتماعية

١- الزواج :

لقد ذكر لنا الصحيحان أحاديث نبوية شريفة عن أنواع من الزواج الذي كان سائداً عن العرب قبل الإسلام ومن هذه الأنواع التي ذكرها لنا ما جاء عن النبي (ﷺ) "أنه نهى عن نكاح الشغار"^(١)، والشغار هو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق أو مهر، أو يزوجه اخته ويزوجه الآخر اخته بغير صداق^(٢)، وقد خص به القرائب، فلا يكون الزواج إلا في الولية، فكان الرجل يقول للرجل: شاغرني أي زوجني اختك أو بنتك أو من تلي امرها حتى أزوجه اختي أو بنتي أو من ألي امرها، ولا يكون بينهما مهر^(٣)، وللوضع الاقتصادي والاجتماعي عند العرب قبل الإسلام في ذلك الوقت دخل كبير في هذا الزواج، لعدم وجود المهر فيه، إذ حل التقايض فيه محل المهر، ولهذا لم ينظر إليه نظرة استهجان لوجود هذا التقايض فيه الذي يقوم مقام المهر^(٤).

كما يخبرنا صحيح البخاري عن نوع آخر من زواج العرب قبل الإسلام بقوله "كانوا إذا مات الرجل من أوليائه أحق بامرأته أن شاء بعضهم تزوجها وأن شاؤا زوجوها وأن شاءوا لم يزوجهوا فهم أحق بها من أهلها..^(٥) وقد أطلق على هذا النوع من الزواج بـ(زواج المقت)، والمقت هو البغض الشديد، والبغض عن أمر قبيح، وهو زواج معروف وشائع من زواج العرب قبل الإسلام^(٦) ذلك كان إذا المرأة مات عنها زوجها قام ابنه الأكبر أو أحد أقربائه والقي بثوبه عليها فيرث زوجها بمهر أبيه، فإذا كانت جميلة تزوجه وإذا لم يكن الابن الأكبر بحاجة لها زوجها أحد أخوانه أو

(١) البخاري/الصحيح/٦/١٢٨/٦١/٨١٠؛ مسلم/الصحيح/٤/١٣٩.

(٢) البخاري/م.ن/٦/١٢٨/٨/٦١؛ مسلم/م.ن/٤/١٣٩؛ النووي/صحيح مسلم بشرح النووي (شرح مسلم)/٩/١٦٩؛ ابن حجر/فتح الباري شرح صحيح البخاري/٩/١٤٠.

(٣) جواد علي/المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/٥/٣٨؛ أحمد محمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٥١؛ إبراهيم فوزي/أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام/ص٤١.

(٤) جواد علي/م.ن/٥/٥٣٨.

(٥) البخاري/المصدر السابق/٨/٥٨.

(٦) الفراهيدي/العين/٥/١٣٢؛ ابن منظور/لسان العرب/٢/٣٩٦؛ الزبيدي/تاج العروس من جواهر القاموس/٩/٢٦٤؛ محمد محمود جمعة/النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السامية/ص٢٥.

أقربائه^(١)، وكان هذا النوع من الزواج محقوتاً وهو أشنع ما كانوا يفعلون، ويقال للرجل الذي يخلف على امرأة أبيه (الضيزن) والضيزن أي الشريك في المرأة وهو الذي يزاحم أباه في امرأته^(٢)، وقد ورد ذكره في الشعر العربي القديم، إذ ذكره أوس بن حجر في شعره إذ يقول:

والفارسية فيكم غير منكرة فكلهم لأبيه ضيزن سلف^(٣)

وكانوا يقولون للولد الذي يولد من هذا الزواج مقتي ومقيت^(٤)، ويبدو من رواية الطبري ومقاتل في تفسيريهما بأن هذا الزواج كان معروفاً بين أهل يثرب آنذاك^(٥) وقد استمر هذا الزواج حتى مجيء الإسلام، وقد حرم بقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف)^(٦)، وتكون زوجة الأب المتوفى في هذه الحالة كالمتاع فانها تورث كغيرها من الامتعة والاموال^(٧)، ويورد لنا ابن حبيب أسماء بعض من فرق الإسلام بينهم وبين زوجات آبائهم كمنظور بن زيان بن سيار الفزاري الذي كانت تحته مليكة بنت خارجة بن سنان المري خلف عليها بعد أبيه، وتميم بن أبي بن مقبل وكانت تحته دهماء امرأة أبيه وهو القائل فيها :

هل عاشق نال من دهماء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرجوم^(٨)

كما يذكر لنا الحديث نفسه أن هناك حالة أخرى تتبع توريث زوجة الأب ويبدو ان الدافع منها هو اقتصادي^(٩)، وذلك لبقاء ثروة واموال الاب عند ابنائه وأسرته، الا ان عرب قبل الاسلام قد زادوا في ذلك وظلموا زوجة الاب في بعض الاحيان ، فهم يمنعونها من الزواج بغيرهم اضراراً بها،

(١) ابن حبيب /المحبر/ص٣٢٥؛ الطبري/جامع البيان عن تأويل أي القرآن (التفسير) ٣٠٦-٣٠٧؛ ابن حجر/فتح

البارئ/٨/١٨٦، جواد علي/المفصل/٥/٥٣٤؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٥٣

(٢) ابن حبيب/م.ن/ص٣٢٥؛ ابن منظور/لسان العرب/١٣/٢٥٤؛ الزبيدي/تاج العروس/٩/٢٦؛ جواد علي/م.ن/٥/٥٣٤؛ احمد الحوفي/م.ن/ص٢٥٣.

(٣) أوس بن حجر/الديوان/ص٧٥

(٤) الفيروز ابادي/القاموس المحيط/١/١٦٤؛ ابن منظور/المصدر السابق/٢/٣٩٦

(٥) مقاتل/تفسير مقاتل بن سليمان (التفسير)/١/٢٢٩؛ الطبري/المصدر السابق/٤/٣٠٦

(٦) القرآن الكريم/النساء/٢٢

(٧) محمد محمود جمعة/النظم الاجتماعية والسياسية/ص٥٩

(٨) ابن حبيب/المصدر السابق/ص٣٢٦

(٩) محمد محمود جمعة/المصدر السابق/٦٤

حتى الموت او ان تفقدي نفسها بصادقها^(١) ويسمى هذا بـ(العضل)، وهو الحبس او المنع او التضييق، وعضل المرأة اذا لم تطلق، ولم تترك ولا يكون العضل الا بعد الزواج^(٢)، وقد ذكره القرآن الكريم بقوله تعالى (ياايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما اتيتموهن)^(٣) وكان العضل عند العرب قبل الاسلام يتم عن طريق القاء الثوب على المرأة الا انه لا يتزوجها ولا يزوجها لاحد ولا ينفق عليها، كما في قصة محصن بن ابي قيس بن الاسلت الانصاري، وزوجة ابيه كبيشة بنت معن بن عاصم الاوسي، حيث اتت النبي (ﷺ) فقالت " يارسول الله ان أبا قيس توفي فورث ابنه نكاحي وقد أضرنى وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يخلي سبيلي"^(٤)، وكان هذا جائزاً لهم في الجاهلية قبل الاسلام ، الى ان حرمة الاسلام فيما بعد بالاية السابقة الذكر^(٥)، وان العضل كان عند بعض العرب أيضاً ان ينكح الرجل المرأة الشريفة ولعلمهم لا يتوافقون، فيفارقها على أن لا تتزوج الا بأذنه، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد، فاذا خطبها خاطب، فأعطته وأرضته اذن لها والا عضلها^(٦) وواضح مما تقدم ان العضل من وراءه غرض اقتصادي، وهو ان تبقى في الاسرة والعشيرة ثروة الرجل المتوفى^(٧)، وكانت المرأة العربية قبل الاسلام تتخلص من هذا النوع من الظلم في الزواج والعضل من قبل ابناء الزوج والورثة بأن تذهب الى اهلها قبل ان يلقي عليها الثوب، فلا يكون حينئذ لهم عليها حق في تزويجها او عضلها^(٨).

(١) البخاري/الصحيح/٣/١٩٤، ٦/١٣٤ ؛ ابن حجر/فتح الباري/٨/١٨٦ ؛ الطبري/التفسير/٤/٣٠٥ ؛ العيني/عمدة القارئ

شرح صحيح البخاري/٢٠/١٢١ ؛ الالوسي/روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني/٤/٢٤٢.

(٢) الفراهيدي/العين/١/٢٧٨ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١١/٤٥١.

(٣) القرآن الكريم/النساء/١٩.

(٤) ابن حبيب/المحبر/ص٣٢٦-٣٢٧ ؛ الطبري/المصدر السابق/٤/٣٠٥.

(٥) الطبري/المصدر السابق/٤/٣٠٩.

(٦) الطبري/المصدر السابق/٤/٣٠٩.

(٧) احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٥٦ ؛ ويذكر ايضاً الدكتور الحوفي في نفس الصفحة بأن هناك سبب اجتماعي ايضاً للعضل عند العرب فكان هناك عضل الاب لبناته، ويرى الحوفي بأنه ليس له من باعث الا الانفة والغيرة.

(٨) محمد محمود جمعة/النظم الاجتماعية والسياسية/ص٦٥.

كما اورد لنا البخاري حديثاً عن عائشة (رض) انه كان ثمة انواع اخرى من الزواج عند العرب كنكاح البعولة، والاستبضاع والرهط والبغايا^(١)، فأنه باستثناء النوع الاول من الزواج وهو زواج البعولة ، فأن باقي اصناف الزواج يجب الوقوف عندها، وعدم التسليم بمثل هذه الانواع^(٢) من المغالطات واعتبارها ضرراً من انواع الزواج ، لانه اصلاً لا يمكن اطلاق لفظ الزواج عليها، وثانياً ان العرب اشتهروا بانهم اصحاب شهامة وحمية وعفة، فكيف يقرون لانفسهم بأن يدفع الرجل زوجته وهي في طهر للاستبضاع من رجل آخر يتحلى بصفات معينة كالشجاعة والكرم وما شابه ذلك بغية الحصول على ولد يحمل تلك الصفات، او ان يدفع زوجته الى عدة رجال آخرين معه، فأن هذا الامر مرفوض ولا يمكن قبوله في المجتمع العربي، وهو الذي عرف بشدة حساسيته وغيرته على حفظ الشرف والعرض والنسب.

واما زواج البعولة، هو الزواج القائم على الخطبة والمهر ، وعلى الايجاب والقبول وكان هذا النوع من الزواج هو الشائع عند العرب قبل الاسلام، ويتم بأن يخطب الرجل الى الرجل ابنته فيصدقها أي يعين صداقها ويسمي مقداره ثم يعقد عليها بالتراضي مع أهل الزوجة^(٣). كما فعل ابو طالب عند تزويج الرسول محمد (ﷺ) من السيدة خديجة (ع) قبل البعثة^(٤)، كما كان للمرأة عند العرب قبل الاسلام حرية اختيار الزوج، أي تستشار في الزواج المعروض ويؤخذ برأيها في مسألة القبول او الرفض، فعندما خطب دريد بن الصمة الخنساء من أبيها عمرو بن الشريدة، عرض عمرو عليها الامر فرفضت الخنساء الزواج من دريد وقالت أترك اولاد عمي وهم كالرماح العوالي

(١) البخاري/الصحيح/٦/١٣٢-١٣٣.

(٢) وهذه الانوع التي ذكرها الحديث هي: الاستبضاع وهو كان الرجل فيه يقول لامراته اذا ظهرت من طمثها أرسلني الى فلان فاستبضعي منه ويعزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها إن احب، وانما يفعل ذلك رغبة في نجاية الولد. واما المشاركة وهو ان يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت وقر ليال بعد ان اتضح حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو أبناك يا فلان تسمي من احبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمنع به الرجل. واما نكاح البغايا فهو كان يجتمع الناس فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا، وكن ينصبين على لبابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احدهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة ثم لحقوا ولدها بالذي يرون فالتاؤ به ودعي ابنه فلا يمنع من ذلك البخاري/٦/١٣٢-١٣٣ ؛ وعن انواع الزواج عند العرب أنظر : ابن الكلبي/المثالب/ورقة ١٧.

(٣) البخاري/المصدر السابق/٦/١٣٢.

(٤) المبرد/الكامل/٤/٤ ؛ احمد زكي صفوت/ جمهرة خطبة العرب/١/٣٨.

واتزوج شيخ بني جشم هامة اليوم او غد، فأثار هذا الموقف حفيظة دريد وهجا الخنساء في شعره^(١). وكذلك خطب مسافر بن ابي عمرو بن امية هند من ابيها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فاستشارها ابوها فيه^(٢)، وهذا ولم يكن العرب قبل الاسلام يحددون عدد زوجاتهم فكان مباحاً للرجل ان يتزوج من النساء ما احب ، وهذا التعدد مرتبط حسب القدرة الاقتصادية للرجل^(٣)، الى ان جاء الاسلام ونهى عن الزواج باكثر من أربعة نسوة^(٤)، وهذا الزواج هو الذي اقره الاسلام والذي عليه الناس اليوم.^(٥)

كما ذكر لنا مسلم في صحيحه، عن نهى الرسول (ﷺ) من الجمع بين الاختين في قوله لام حبيب بنت ابي سفيان زوجه ، عندما طلبت منه ان يتزوج اختها، فقل لها " انها لا تحل لي"^(٦)، فالجمع بين الاختين لزوج واحد كان زوجاً معروفاً عند العرب قبل الاسلام^(٧)، وقد ذكره الله تعالى بقوله (وان يجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف)^(٨). فقد كان العرب يفعلونه، وكان ممن جمع بين الاختين من قريش، ابو احيحة سعيد بن العاص بن امية، جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم^(٩)، وقد أبغض بعض العرب قبل الاسلام هذا النوع من الزواج^(١٠)، كما ذكر البخاري حديثاً نبوياً نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها^(١١)، ويبدو من نهى النبي (ﷺ) عنه انه كان معمولاً به قبل الاسلام. وهذا وكان العرب

(١) ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٣٤٣ ؛ ابو الفرج الاصفهاني/الاعاني/١٠/٢٧.

(٢) ابو الفرج الاصفهاني/م.ن/٩/٦٢ ؛ ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: ابن حبيب/المحبر/ص٣٩٨-٣٩٩ ، القالي/الامالي/٢/١١٧ ؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/١/٣١٢.

(٣) ابن حبيب/م.ن/ص٣٥٧ ؛ العيني/عمدة القارئ/٢٠/٩١ ؛ جواد علي/المفصل/٥/٥٣٠ ؛ هاشم الملاح/الوسيط في تاريخ العرب/ص٣٦٥.

(٤) القرآن الكريم/النساء/٣٠ ؛ وذلك بقوله تعالى "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع".

(٥) هاشم الملاح/المصدر السابق/ص٣٦٥.

(٦) مسلم/الصحيح/٤/١٦٥.

(٧) الطبري/التفسير/٨/٨٣ ؛ الالوسي/روح المعاني/٤/٢٦١ ؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٤١.

(٨) القرآن الكريم/النساء/٢٣.

(٩) الشهرستاني/الممل والنحل/٢/٢٤٥.

(١٠) احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٥٤.

(١١) البخاري/الصحيح/٦/١٢٨.

يحرمون الزواج من المحارم من النساء الذي اقره الاسلام فيما بعد^(١).

ومن الامور التي لها صلة بالحياة الاسرية، وبين الرجل والمرأة عند العرب قبل الاسلام والتي ذكرها الصحيحين هي الزنا وابن الزنا الذي ياتي عنه، وقد وافق الاسلام العصر الذي قبله في حكمه بابن الزنا، وذلك يقول النبي (ﷺ) " الولد للفراش وللعاهر الحجر"^(٢) والزنا البغي والفجور^(٣)، وهو عيب عند العرب ، فلا تقربه الحرة، وكان خاصاً للاماء لتكسبهن به^(٤)، وقد ذكره الله تعالى بقوله (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) ^(٥). فقد كانوا يكرهونها على الزنا لضريبة ياخذونها منها^(٦)، اما بعض الرجال فلا يرونه عيباً وقد كانوا يذهبون اليهن ويتصلون بهن في مقابل اجر^(٧)، وكانوا من ذوي الاخلاق المنحطة ومن سفلة العرب، حيث يذهبون اليهن سراً وفي الليل عندما يسدل الظلام، وكانوا يسدلون ثيابهم خلفهم كي تمحو اثارهم حتى لا يعرفونها احد فيعترف عليهم فيشتهرون بهم، ولذلك نجد العرب تمدح الرجل الذي لا يفعل ذلك فيقولون " لا يجر لمظلمة ازاره"^(٨)، وقد كان بعض العرب قبل الاسلام لا يرون بالزنا بأساً في السر، ويستقبحوه في العلن^(٩)، فاذا ولد مولود من الزنا الحقبة الزاني بنفسه، وعد ابناً شرعياً له الحقوق التي تكون للابناء من الزواج المعقود بعقد، ولا يعد الزنا عندهم نقصاً بالنسبة للرجل فلا يعاب عليه، فمن حق الرجال الاتصال بالنساء، وقد كان بعضهم يفتخر بذلك^(١٠)، الا ان هناك من

(١) ابن حبيب/المحبر/ص٣٢٥ ؛ الطبري/التفسير/٤/٣١٨ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٥ ؛ القرطبي/الجامع لاحكام

القران (التفسير)/٥/٨٤ ؛ ولكن/الامومة عند العرب/ص٦٤ ؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٥١

(٢) البخاري/الصحيح/٨/٢٢ ؛ مسلم/الصحيح/٤/١٧١

(٣) ابن منظور /لسان العرب/١٤/٣٥٩

(٤) ابن قتيبة/ادب الكاتب/ص٢٢٦ ؛ النووي/شرح مسلم/١٠/٣٤ ؛ القرطبي/المصدر السابق/٥/٨٥ ؛ العيني/عمدة

القارئ/٢٣/٢٥١ ؛ ناصر سعد الدين الرشيد/سوق عكاظ في الجاهلية والاسلام/ص١١٧ ؛ صالح العلي/محاضرات في

تاريخ العرب/ص١٥١

(٥) القران الكريم/النور/٣٣

(٦) الالوسي/روح المعاني/١٨/١٥٧ ؛ جواد علي /المفصل/٥/٣٦

(٧) جواد علي/م.ن/٥/١٣٣

(٨) الميداني/مجمع الامثال/٢/١٣٧

(٩) الطبري/التفسير/٨/٨٣ ؛ محمد كرد علي/الاسلام والحضارة العربية/١/١٢٦

(١٠) جواد علي/المفصل/٥/٥٦٠

عرب قبل الاسلام من ترك الزنا ولا يفعله لاخلاقه الحميدة وان هنالك من ترك الزنا وحذر منه ، ومن هؤلاء ، زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، حيث جاء عن اسماء بنت ابي بكر (رض) انها قالت " رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة في الجاهلية وهو يقول: يامعاشر قريش اياكم والزنى فانه يورث الفقر" (٢).

وقد ذكروا ان اول من حكم ان الولد للفراش قبل الاسلام هو اكثم بن صيفي، حكيم العرب، ثم جاء الاسلام فيما بعد لتقريره (٣)، كما فعل رسول الله (ﷺ) في حديث تنازع سعد بن ابي وقاص، وعبد بن زمعة في غلام (٤)، وهذا وكان العرب قبل الاسلام يعاقبون على الزنا، والزنا المعاقب عليه هو زنا المرأة المحصنة من رجل غريب بغير علم زوجها وهو خيانة وغدر، وكان من جملة عقوباتهم للزنا اخذ الفدية والتغريب (٥).

٢- الرضاع :

الرضاعة حالة غريزية موجودة عند الكائنات الحية ومنهم البشر، وفي حديث النبي (ﷺ) عن ابنة عمه الحمزة (ع) قال " ما حلت لي لانها ابنة اخي من الرضاعة ارضعتني وابا سلمة ثوبية" (٦)، فلم تحل له للزواج وذلك بسبب ان العرب كانت تقول بحرمة الرضاعة كحرمة النسب (٧)، وبذلك فلا يحق له الزواج منها كونها! ابنة اخيه من الرضاعة كما يخبرنا انس بن مالك في حديثه "ان ام ايمن كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب فقد احتضنت الرسول (ﷺ) عندما ولدته امه وتوفي

(٢) احمد بن يحيى ثعلب/مجالس ثعلب/٢١٩/١

(٣) القلقشندي/صبح الاعشى/٤٣٥/١؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٦٠؛ واكثم بن صيفي بن رباح في الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية واحد المعمرين وقد ادرك الاسلام فقصد المدينة مع قومه يريد الاسلام الا انه توفي في الطريق سنة (٩هـ)/الزركلي/الاعلام/١/٣٤٤

(٤) مسلم /الصحيح/٤/١٧١؛ حيث جاء في الحديث الشريف عن عائشة انها قالت "اختصم سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام فقال سعد هذا يارسل الله ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه انظر الى شبهه وقال عبد بن زمعة هذا اخي يارسل الله ولد على فراش ابي من وليدته فنظر رسول الله (ﷺ) الى شبهه فرأى شبيهاً بنيّاً بعتبة فقال هولك يا عبد الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجني منه ياسودة بنت زمعة.."

(٥) جواد علي/المصدر السابق/٥/١٣٨/٥٦٠

(٦) البخاري/الصحيح/٣/١٤٩ ، ٦/١٢٥٠ ؛ مسلم/المصدر السابق/٤/١٦٤

(٧) هاشم الملاح/الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام/ص ٣٦٨

ابوه^(١)، فقد كانت العرب قبل الاسلام ترتضع وكانت تكره رضع الاماء وكانت العربيات طلباً لنجاسة الولد^(٢)، فقد كان العرب قبل الاسلام يحضنون ويربون اولادهم عند مرضعات وحاضنات غير امهاتهم او جداتهم^(٣) ومن أشهر من ارتضع عند العرب قبل الاسلام ابناء الملوك، فقد أرسل المنذر ملك الحيرة ابنه النعمان، والاسود للارضاع والتربية، فقد كان النعمان في حجر آل عدي بن زيد، فهم الذين ارضعوه وربوه، واما الاسود فقد أسترضع في حجر بني مرينا^(٤) كما جعل الاسود بن المنذر، اخو الملك النعمان ملك الحيرة ابنه شرحبيل، في حضانة سلمى بنت ظالم زوجة سنان بن ابي حارثة المري لترضعه وتربيته^(٥)، ويذكر انه كان للملك ولد يرضعونه فنهشته حية فظن الملك انهم اغتالوه^(٦)، كما ذكر ايضاً رضاع رسول الله (ﷺ)، فبعد أن ولد اول من ارضعته بعد امه ثوبية مولاه عمه ابي لهب وكان لثوبية ابن اسمه مسروح، فارضعت رسول الله (ﷺ) بلبن ابنها مسروح، وارضعت ايضاً مع رسول الله (ﷺ)، عمه حمزة، وابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي، فهما اخو رسول الله (ﷺ) من الرضاع^(٧)، وذلك قبل قدوم حليلة السعدية من البادية واخذها للرسول (ﷺ) وارضاعه، وذلك كما قلنا سابقاً بانهم كانوا يفضلون رضاع العربيات على الارضاع الاماء، ثم رضع الرسول (ﷺ) عند حليلة السعدية^(٨).

وان الرضاعة عند العرب قبل الاسلام كانت يتخذنها بعض نساء البادية كمهنة او لطلب الاجر من اجل تفريج الشدة والازمة التي هم فيها^(٩)، وان الرضاع أيضاً كان مقتصراً على ابناء الملوك

(١) مسلم/الصحيح/١٦٣/٥ ؛ ام ايمن : اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك، مولاة النبي وحاضنته كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، زوجها النبي (ﷺ) من زيد بن حارثة مولاه وتوفيت بعد رسول الله (ﷺ) بخمسة اشهر ابن حجر/الاصابة/٤/٤٣٢

(٢) العيني/عمدة القارئ/٢٦/٢١ ؛ الحلبي/انسان العيون في مسيرة الامين والمأمون (السيرة الجلية)/١٤٦/١

(٣) الحلبي/م.ن/١٤٦/١ ؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص١١٢

(٤) محمد ابو الفضل ابراهيم/ايام العرب في الجاهلية/ص١٧ ؛ وبني مرينا: قوم من اهل الحيرة من قبائل العباد. محمد ابو الفضل/م.ن/ض١٧

(٥) ابن حبيب/المحبر/ص٤٦١ ؛ ابو الفرج الاصفهاني/الاغاني/١١٣/١١ ؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد/٥/١٤٨

(٦) الطبري/التاريخ/٢/٦٦

(٧) البلاذري/انساب الاشراف/١٠٥/١ ؛ النووي/شرح مسلم/٢٤/١٠ ؛ ابي الفدا/المختصر في اخبار البشر/١/١١٢

(٨) للاطلاع على رواية رضاعة حليلة للرسول واخذها له أنظر: ابن اسحاق/السيرة المغازي/ص٤٩ ؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٨٤-١٨٥ ؛ البلاذري/م.ن/١/١٠٢-١٠٣ ؛ ابي الفدا/م.ن/١/١١٣

(٩) عبد السلام هارون/تهذيب السيرة ابن هشام/ص٢٩ ؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٤٠٠

والإشراف والميسورين^(٢)، وذلك لانه يكلف ثمناً يدفع للرضعة وخير دليل على ذلك قول حليمة السعدية عندما رغبوا عن رضاعة الرسول (ﷺ) " لانه كان يتيماً وكانوا يرجون المعروف من ابي الصبي"^(٣)، ويبدو ان الحالة الاقتصادية والمعاشية للعرب لها دخل كبير في استرضاعهم، لانهما من عادة اشراف العرب.^(٤)

وهناك اسباب عدة تدفع العرب لارسال ابنائهم الى البادية منها، تعليم الطفل الفصاحة، لان البادية لا تنتشر فيها اللحن، فقد قال الرسول (ﷺ) لابي بكر (رض) حين قال له: ما رأيت أفصح منك يا رسول الله. فقال (ﷺ) وما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد. فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات^(٥). وكذلك لينشأ الطفل صحيح البدن قوي الجسم ، لان البادية خالية من الوباء الذي يكون عادة متفشياً في المدن، وكثيراً ما يصيب الاطفال^(٦). فقد بقي الرسول (ﷺ) عند مرضعه حتى غلظ وذلك لانه كانت تخشى عليه وباء مكة^(٧)، وكذلك عرفت العرب حمة يثرب وخيبر والحيرة^(٨)، هذا اضافة الى اكتسابهم الشجاعة والاقدام ، كما قال عمر (تمعدوا وتمعززوا واخشوشنوا)^(٩)، فتعلم خشونة العيش بالبادية والابتعاد عن الترف والدعة في المدن، فينشأ الصبي نشأة مبينة على القوة والجلد واكتسابه الصبر وقوة التحمل^(١٠).

وقد كانت للرضاعة عند العرب قبل الاسلام دور مهم في تقوية الروابط والوشائج بين المرضعين من ثدي واحد، فقد تعقد تحالف بين الاولاد من الرضاعة حيث يصبح راضعو المرأة

(٢) امير علي/روح الاسلام/ص ١٨ ؛ شاکر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام/ص ٥٣

(٣) ابن هشام/المصدر السابق/١/١٨٥ ؛ شاکر مجيد كاظم/م.ن.ص ٥٣

(٤) امير علي/المصدر السابق/ص ١٨

(٥) ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٨٧ ؛ السهيلي/الروض الانف/١/١٨٨

(٦) يحيى الجبوري/الجاهلية مقدمة لدراسة الحياة العربية في الادب الجاهلي/ص ٦٤

(٧) ابن هشام/المصدر السابق/١/١٨٦

(٨) شاکر مجيد كاظم/المصدر السابق/ص ٥٤

(٩) السهيلي/المصدر السابق/١/١٨٧

(١٠) شاکر مجيد كاظم/المصدر السابق/ص ٥٤

أخواناً لبعضهم، وأولاداً لها ومن هنا يصبح زوجها اباً لهم، وهذه الظاهرة كانت موجودة في عصر ما قبل الإسلام^(١)، وفي ذلك يقول الاعشى :

وضيعي لبان ثدي ام تحالفنا بأسمهم داج عوض لانفترق^(٢)

فيكون اللبن الذي اعطته الام شيئاً مشتركاً للراضعين سرى باجسادهم وربطهم ببعضهم بنوع من الذمة والتحالف^(٣). وقد كانت مدة الرضاعة عند العرب قبل الإسلام سنتين^(٤)، وقد أقر الإسلام ذلك بقوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة)^(٥).

كما كان بعض العرب قبل الإسلام يعيب الارضاع حتى انهم قالوا " تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها " أي انها تجوع ولا ترضع لقوم على جعل فيلحقها عيب، كما يمكن تفسيره على انه تجوع الحرة الكريمة ولا تكسب بالفحشاء لقمة عيشها^(٦)، وقد عبر حسان بن ثابت الانصاري، الاقرع بن حابس بانهم كانوا يرضعون^(٧). ولذلك فقد كان التكسب من الرضاع مقتصراً على نساء لقبائل الفقراء اللواتي كن يفدن الى المدن بحثاً عن الاطفال لارضاعهم واخذ الاجرة على ذلك.

٣- مكانة المرأة :

أ- عدة النساء :

(١) دلال جويد تعبان/الاخلاق في الشعر العربي قبل الاسلام/ص ٥٩

(٢) الاعشى/الديوان/ص ٢٢٥

(٣) دلال جويد تعبان/المصدر السابق/ص ٥٩

(٤) البلاذري/انساب الاشراف/١/١٠٤ ؛ شاعر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ٥٤

(٥) القرآن الكريم/البقرة/٢٣٣

(٦) ابي الهلال العسكري/جمهرة الامثال/١/٢٦١ ؛ الواحدي/الوسيط في الامثال/ص ٨٤ ؛ البكري/فصل المقال في شرح

كتاب الامثال/ص ٢٨٩/٢٩٠ ؛ الميداني/مجمع الامثال/١/١٦٨-١٦٩

(٧) احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص ٤٠١ ؛ والاقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي

الدرامي احد اشراف وحكماء الجاهلية ادرك الاسلام واسلم وقتل يوم اليرموك. ابن حجر/الاصابة/١/٥٨

العدة هي الاحصاء والحسب، او عدّ الايام^(١)، والعدة هي المدة التي تتربص بها المرأة على الزوج بعد وفاة زوجها او طلاقها منه^(٢)، أي ان اتخاذ المرأة للعدة تكون عند طلاقها وعند موت زوجها، وهي ايام حدادها على بعلها وامساكها عن الزينة، وان العدة كانت معروفة عند العرب^(٣)، الا ان بعض النساء لا تلتزم بها، فكانت المرأة المطلقة تتزوج في الجاهلية دون مراعاة العدة، واذا كانت حاملاً، عد حملها مولوداً من زوجها الجديد، وان كانت الام تعرف ان حملها هو من بعلها الاول^(٤)، ولقد انجبت بعض النساء على فراش زوجها الثاني، من زوجها الاول، ويورد ابن حبيب قائمة باسماء من ولدوا، حيث يقول " وهذا في قريش والعرب كثير ولو اردنا استقصاءه لكثير " ^(٥)، الا ان الحديث النبوي في الصحيحين يكشف لنا ان عدة المرأة المتوفى زوجها كانت عند العرب قبل الاسلام عاماً كاملاً وذلك بقوله (ﷺ) "وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول فقد كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً وليست شر ثيابها ولم تمس طيباً، كما كانت لا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً، ولا تمس طيباً حولاً، ثم تخرج بعد الحول، أي العام، باقبح منظر، ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به ثم تخرج فتعطي بعة فترمي

(١) الفراهيدي/العين/١/٧٩؛ الرازي/مختار الصحاح/ص٤١٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٣/٢٨١

(٢) الصنعاني/سبل السلام في شرح بلوغ المرام/٣/١٠٨٨؛ ابراهيم فوزي/احكام الاسرة في الجاهلية والاسلام/ص١٢٦

(٣) ابراهيم فوزي/م.ن/ص١٢٦

(٤) جواد علي/المفصل/٥/٥٥٦؛ اما الطلاق فكان معروفاً عند العرب قبل الاسلام، وهو ان يتنازل الرجل عن كل حقوقه التي كانت على زوجه ومفارقته لها، والطلاق الشائع بين العرب هو طلاق المرأة ثلاثاً على التفرقة، وهو طلاق اسماعيل(ع) فهو اول من طلق به واذا طلقها واحدة يحق له الرجوع اليها وهو احق الناس بها، وكان هناك عدة انواع للطلاق عند العرب قبل الاسلام كالظهار والايلاء والخلع، كما ان هنالك عدة الفاظ كان العرب يطلقوا بها زوجاتهم، كحيلك على غاربك، والحقي باهلك، وكثير غيرها، كما كان للمرأة العربية الحق ان تطلق زوجها ويكون ذلك في عقد الزواج بأن تشترط العصمة في يدها، كما فعلته سلمى النجارية مع هاشم جد النبي (ﷺ)، وكان هذا من شروط بنات الاشراف، كما كانت المرأة في البادية تطلق زوجها وذلك من خلال تغيير باب الجناء. وللمزيد من المعلومات انظر: ابن حبيب/المحبر/ص٣٠٩-٣١٠؛ ابي تمام/الوحشيات/ص٣٩؛ القالي/ذيل الامالي والنوادر/ص٤٢؛ ابن حجر/فتح الباري/٩/٣٨٢؛ العيني/عمدة القارئ/٢-٢٨١؛ جواد علي/م.ن/٥/٥٤٤؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٦٣-٢٦٧؛ زهير حطب/تطور بنى الاسرة العربية/ص٥٥-٥٦؛ ابراهيم فوزي/المصدر السابق/ص١١٩-١٢٤؛ ولكن الامومة عند العرب/ص٥٩

(٥) ابن حبيب/م.ن/ص٣٣٨-٣٤٠

ثم تراجع بعدما شاعت من طيب وغيره^(١)، والافتضاض بالدابة هي مسها او المراد منه الاغتسال بالماء العذب لازالة الوسخ واردة النقاء، اما رمي البعرة فيكون على الكلب عند مروره، وقد اختلف بتفسير المراد من ذلك، ف قيل هو اشارة الى نهار مت العدة رمي البعرة وقيل اشارة الى الفعل الذي فعلته من التبرص والصبر على البلاء الذي كانت فيه ولما انقضى كان عندها بمنزلة البعرة التي رمتها استحقاراً له وتعظيماً لحق زوجها ، وقيل بل ترميها على سبيل التفاؤل بعدم عودها الى مثل ذلك^(٢)

كما كانت عدة المرأة في الجاهلية ، اذا طلقها زوجها في طهر حيضة واحدة فاذا لم يراجعها قبل ان تحيض طلقت منه واصبحت حرة في الزواج من غيره، وان عدة الحامل في الجاهلية اذا طلقها زوجها اثناء الحمل، تنتهي بوضع حملها^(٣).

ب- الحيض

من العادات والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام، في المرأة الحائض ما روي عن رسول الله (ﷺ) "أنهم كانوا اذا حاضت المرأة فيهم فيجتنبون مجامعتهم ومواكلتهم وحتى كانوا يعتزلونهم في البيوت فلا يقترب منها^(٤). كما كان لا يسمح للحائض عندهم بالطواف بالكعبة او مس الاصنام لانها غير طاهرة^(٥)، فلما سالوا الرسول (ﷺ) قال لهم "واصنعوا كل شيء الا النكاح"^(٦) ، فغير ما كانوا عليه قبل الاسلام، كما تذكر السيدة عائشة (رض) بأن الرسول (ﷺ) "كان يدلي اليها برأسه في حجرتها فترجله وهي حائض"^(٧). وهو بهذا ينقض فعل العرب قبل الاسلام حيث كانوا يتجنبون ان ترجل المرأة شعرهم او ان تصبغ المرأة رأس زوجها^(٨).

ج- وأد البنات

- (١) البخاري/الصحيح/١٨٦/٦ ؛ مسلم/الصحيح/٢٠٢-٢٠٣
- (٢) النووي/شرح مسلم/٩٣/١٠ ؛ ابن حجر/فتح البارك/٩٣١-٩٣٢
- (٣) ابراهيم فوزي/احكام الاسرة في الجاهلية والمجتمع/ص١٢٨-١٢٩
- (٤) مسلم/المصدر السابق/١٦٩
- (٥) ابن الكلبي/الاصنام/ص٣٣ ؛ جواد علي/المفصل/٥٥/٥
- (٦) مسلم/المصدر السابق/١٦٩
- (٧) مسلم/المصدر السابق/١٦٨
- (٨) جواد علي/المفصل/٥٥/٥

من العادات الاجتماعية عند بعض العرب قبل الاسلام والتي جاء ذكرها الحديث الشريف في الصحيحين هي واد البنات ، وقد حرمها الرسول (ﷺ) حيث قال " ولائتدوا البنات" ^(٢)، والوَاد هو دفن البنت وهي حية بالتراب ^(٣). وقد ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (واذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت) ^(٤). وكانت هناك اسباب وعوامل تدفع بعض العرب ليئدوا بناتهم في التراب منها العامل الصحي، تشاؤمهم من وجود نقص بها او مرض كان تكون زرقاء او برشاء او شيماء او كسحاء، وامثال ذلك من الصفات التي كان يتشاءم بها العرب قبل الاسلام ^(٥)، او العامل الاجتماعي وهو الشعور بالغيرة والخوف من العار الذي قد تجلبه لهم اذا ما وقعت المرأة في سبي او اسر او خوفهم على بعض بناتهم من ان يتزوجن بغير الاكفاء ^(٦)، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى (واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسود وهو كظيم) ^(٧). واما العامل الثالث فهو العامل الاقتصادي خوفهم من الفقر والجوع والحاجة ^(٨)، وقد أشار اليها القرآن الكريم بقوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) ^(٩)، وقوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم من املاق ..) ^(١٠)، وخشية الاملاق هو الفقر واقرارهم على انفسهم بالشح

(٢) البخاري/الصحيح/٨٧/٣ ، ٧٠/٧ ؛ مسلم /الصحيح/١٣١/٥ .

(٣) الفيروز ابادي/القاموس المحيط/٣٥٤/١ ؛ الزمخشري/اساس البلاغة/ص ٤٩٠ ؛ المبرد/الكامل/٨٥/٢ ؛ الزبيدي/تاج العروس/٥٢٠/٢

(٤) القرآن الكريم/التكوير/٨-٩

(٥) الابشيهي/المستطرف/٧٧/٢ ؛ ابن منظور/لسان العرب/٤/٤٥٥ ؛ الزبيدي/المصدر السابق/٢/٥٢٠

(٦) ابن منظور/المصدر السابق/٤/٤٥٥ ؛ الزبيدي/المصدر السابق/٢/٥٢٠ ؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٨٨ ؛ زهير حطب/تطور بنى الاسرة العربية/ص ٢٢ ؛ خالد العسلي/تاريخ العرب قبل الاسلام/٢/٢٨٥ ؛ شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص ٧٥ /رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص ٢١٦

(٧) القرآن الكريم/النحل/٥٧

(٨) الابشيهي/المصدر السابق/٧٧/٢ ؛ ابن منظور/المصدر السابق/٤/٤٥٥ ؛ الزبيدي/المصدر السابق/٢/٥٢١

(٩) القرآن الكريم/الاسراء/٣١

(١٠) القرآن الكريم/الانعام/١٣٧

البالغ^(١)، كما ان شياطينهم حسنوا لهم ذلك خيفة العيلة^(٢)، فبعض العرب قتلوا اولادهم خشية الاملاق وخوف الفقر^(٣).

وقد وجدت عادة الوأد للبنات عند بعض العرب ، حيث كان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام ، وقد قل ذلك الا في بني تميم^(٤)، وهذا ما يؤكد المبرد بان الواد قبل الاسلام "كان في بني تميم بن مر.."^(٥)، كما عرف الوأد عند قيس ، وأسد ، وهذيل ، وبكر بن وائل^(٦). والملاحظ ان جميع هذه القبائل هي قبائل بدوية تنتمي الى ربيعة ومضر^(٧)، وهذا ما يؤكد لنا المفسرون بقولهم "وكانت ربيعة ومضر يدفنون البنات وهن احياء، غير بني كنانة لا يفعلون ذلك"^(٨). وان قولهم غير بني كنانة بانهم كانوا لا يفعلون ذلك، به شيء من المبالغة، وربما يراد به التقليل من هذا العمل لديهم بما هو لدى القبائل البدوية الاخرى من كثرة القيام به ، والا فما وجود جبل ابي دلامة الذي كان يئد فيه البنات قريش، الا دليل على ممارسة قريش للوأد ، وان قريش جزء من كنانة^(٩)، وعلى العموم فان الوأد لم يكن منتشراً عند جميع العرب بل عند بعض البطون منهم^(١٠)، كما لم ترد اخبار ونصوص لممارسة عرب الجنوب لهذه العادة^(١١)، لا كما ذهب احد الباحثين وجعلها عند جميع العرب قاطبة^(١٢).

(١) الزمخشري الكشاف/٢/٤١٤ ؛ الالوسي / روح المعاني/٨/٣٢

(٢) الطبري/التفسير/٨/٤٣

(٣) الفخر الرازي/التفسير/١٣/٢١٦ ؛ جواد علي / المفصل/ ٥/٩٥ ؛ شاکر مجيد كاظم /التنشئة الاجتماعية عند العرب ص٧٦-٧٩

(٤) جواد علي/م.ن/٥/٩١؛ خالد العسلي/تاريخ العرب قبل الاسلام/٢/٢٩٠-٢٩١ ؛ شاکر مجيد كاظم/م.ن/ص٧١

(٥) المبرد/الكامل/٢/٨٢

(٦) المبرد/م.ن/٢/٨٢

(٧) خالد العسلي/المصدر السابق/٢/٢٩١

(٨) مقاتل/التفسير/١/٤٠٣؛ ابي طاهر الفيروزآبادي/تتوير المقباس من تفسير ابن عباس/ص١٤٦

(٩) جبل ابي دلامة قرب مكة كانت قريش تأد فيه البنات. الابشيهي/المستطرف/٢/٧٧ ؛ خالد العسلي/المصدر السابق/٢/٢٩٢

(١٠) يحيى الجبوري/الجاهلية/ص٧٤

(١١) بهذا الخصوص انظر: شاکر مجيد كاظم/المصدر السابق/ص٧١-٧٤

(١٢) خالد العسلي/المصدر السابق/٢/٢٩٠

وبالرغم من وجود هذه العادة بين العرب قبل الاسلام الا ان هنالك من الرجال من وقف ضدها، فقد تأثر بعضهم من هذه العادة، وسعوا لابطالها، وكان بعض الموسرين منهم يفتدي البنات من القتل بدفع تعويض الى اهلهن واخذهن لتربيتهن^(١). فقد أورد لنا البخاري في صحيحه حديثاً عن اسماء بنت ابي بكر (رض) انها قالت "رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يامعاشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري، وكان يحيي المؤودة، يقول للرجل اذا أراد ان يقتل ابنته لا تقتلها انا اكفيكها مؤونتها فإذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤونتها"^(٢). ولم يكن زيد بن عمرو بن نفيل الوحيد الذي يحيي المؤودة فقد كان هنالك ايضاً ، صعصة بن ناجية بن عقال التميمي، وهو جد الفرزدق الشاعر المعروف، فقد كان يُفدي البنات من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل، وهذا وقد جاء الاسلام وعنده مائة واربع جوار اخذهن من ابائهن لئلا يؤدن^(٣) وفيه يقول الفرزدق :

وجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يؤد^(٤)

كما كان في بني اسد رجل يدعى منسم من الميسورين ومن ذوي القلوب الرقيقة يفتدي البنات من الوأد^(٥) كما كان في العرب قبل الاسلام من لم يؤد البنات ، بل يفضل أن يكون المولود البكر له أنثى، فكان بني عبس من القبائل التي تفضل ان يكون البكر أنثى ، فيتقاعلون بمولدها على عكس البكر الذكر فكانوا يتشاءمون منه اذا كان به عاهة^(٦).

كما فرق بعض الباحثين بين واد البنات والذي قدمنا له عوامله واسبابه وقتل الاولاد الذكور الذي هو أقل استعمالاً ويرجع الى عامل ديني، وخير مثال على ذلك هو قصة نذر عبد المطلب عندما أراد قتل ابنه عبد الله^(١)، وكما يرى بأن الواد لا يمكن ان يكون دليلاً على احتقار العرب للمرأة،

(١) جواد علي/ المفصل/ ٩٦/٥ ؛ سمير عبد الرزاق القطب/ انساب العرب/ص ٢٧٣

(٢) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٣.

(٣) ابن حبيب/المحبر/ص ١٤١ ؛ الابشيهي / المستطرف/٧٧/٢ ؛ عبد الرزاق سمير القطب/المصدر السابق/ص ٢٧٤.

(٤) الفرزدق/الديوان/ص ١٩٠.

(٥) مهدي عريبي الدخيلي /بنو اسد ودورهم في التاريخ العربي الاسلامي/ص ١٧٥.

(٦) نهلة عبد لازم الكناني /قبيلة عبس ودورها في التاريخ العربي الاسلامي/ص ١٢٤.

(١) ابن اسحاق/السيرة/ص ٣٢ ؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٧٦ ؛ السهيلي/الروض الانف/١/١٧٦ ؛ جواد علي

المفصل/٥/٩٧ ؛ علي عبد الواحد وافي/الاسرة والمجتمع/ص ١٢٢ ؛ خالد العسلي/تاريخ العرب قبل الاسلام/٢/٢٨٧

فأن بعض الالهة كن بنات^(٢)، والواقع ان المرأة كانت لها حقوقها فكان لها حق ان تمتلك املاكاً خاصة^(٣)، وخير مثال على هذا السيدة خديجة زوج النبي (ﷺ)^(٤). كما ان مظاهر الاعتزاز بهن فقد تكنى بعضهم بأسم ابنة كحاتم الطائي بأبي سفانة^(٥)، وربيعة بن رياح والذهير الشاعر، بأبي سلمى^(٦)، وغيرهم.

٤ - الميراث:

لقد كانت القاعدة العامة في الميراث عند العرب قبل الاسلام، ان لا يورثوا الا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل^(٧)، أي ان يكون الارث خاصاً بالذكور الكبار دون الصغار والاناث، على ان يكونوا ممن يركب الفرس ويحمل السيف أي المحارب^(٨)، فلا يورثون الجواري ولا الصغار من الغلمان، فلا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال، وكانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده، ممن كان لا يلاقي العدد ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا النساء منهم، فكانوا يخصصون بذلك المقاتلة دون الذرية^(٩)، بل ان بعض العرب قبل الاسلام قد ذهب الى اكثر من ذلك فقد جعلوا المرأة ضمن تركة المتوفى، فكان ابناء المتوفى يرثون امرأته كما بينا سابقاً في زواج المقت، ولذلك فقد عارض الاسلام حكمهم هذا وجعل للنساء نصيباً من الارث، فقد جاء في صحيح مسلم، "ان جابر بن عبد الله الانصاري كان متحيراً ما يصنع في مال

(٢) صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص١٣٩؛ كما اعتبر العرب قبل الاسلام الاله الشمس الام (الانثى)/منذر البكر معجم اسماء الالهة/ص١٤، ٣٠

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: بيغولفسكايا/من تاريخ اليمن في القرنين الخامس والسادس الميلاديين/ص١٥٧؛ كويشانونف/الشمال الشرقي الافريقي/ص٣١؛ يحيى الجبوري/الجاهلية/ص٧١-٧٤؛ شاكركاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص٧٩-٨٢

(٤) شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص٧٢-٧٣؛ حسين علي الشرهاني/السيدة خديجة بنت خويلد (ع) رسالة ماجستير/التربية/بصرة

(٥) الجاحظ/المحاسن والاضداد/ص٦٥؛ ابن الاثير/اسد الغابة/٥/٤٧٥

(٦) ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/١٤١

(٧) ابن حبيب/المحبر/ص٣٢٤؛ الفخر الرازي/التفسير/٩/٢١١

(٨) جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٦٢؛ ولكن الامومة عند العرب/ص٦١

(٩) الطبري/التفسير/٤/٢٧٥؛ ابن كثير/التفسير/١/٤٦٨؛ البيضاوي/التفسير/٢/١٢٠؛ الكازروني/الحاشية/٢/١٢٠؛ ابراهيم فوزي/احكام الاسرة/ص٨٢

ورثه فسال رسول الله (ﷺ) فنزلت يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين^(١) وان الاخبار متضاربة في موضوع ارث المرأة والزوجة قبل الاسلام، واكثرها انها لا ترث لصلاً ، غير ان هناك روايات يفهم منها ان من نساء العرب من ورثن ازواجهن وذوي قرباهن ، وانهن كن مستقلات في شؤون الخاصة المالية وتتصرفن به كما يشاءلهن^(٢) فأن عادة حرمان النساء الارث لم تكن سنة عامة عند جميع القبائل ، ولكن كانت عند قبائل دون قبائل^(٣)، فقد اعطى ذو المحاسد الشكري وهو عامر بن جشم بن حبيب ، الارث للمرأة البنت سهماً والذكر سهمين^(٤)، وقد جاء الاسلام فوافقه فيمــــا بعد ، كــــما قال تعــــالى
(وللذكر مثل حظ الانثيين)^(٥).

كما يخبرنا البخاري ايضاً عن أرث المتبنى في الجاهلية، ففي حديث عائشة (رض) انها قال " كل من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس اليه وورث ميراثه..^(٦)، فقد كان عند العرب قبل الاسلام المتبنون يرثون ، فاذا مات احدهما ورثه الآخر^(٧) ، فقد كانوا يعدونه من انفسهم فيورثونه كما يورثون الابن الصريح ويرثونه، وكثيراً ما كان العرب يرغبون في استلحاق مواليتهم، رغبة منهم في أن يرثوهم ، وقد يابى المولى ان يلحقوه اذا عرف عرصهم، فقد أبى بعض الموالي الاستلحاق ، اذا أراد مواليتهم ان يلحقوه بنسبهم فأبى وقال لهم والله لان اكون مولى لائثاً أحب الي من أن اكون دعياً لاحقاً ، وقد علمت انكم تريدون مالي^(٨).
٥- النظافة والطهارة :

(١) مسلم / الصحيح/ ٦٠/٥

(٢) الحلبي/السيرة الحلية/١٤٧/١٥٣٠ ؛ جواد علي/المفصل/٥٦٣/٥ ؛ عواطف اديب سلامة/قريش قبل الاسلام/ص٥٦

(٣) جواد علي/م.ن/٥٦٣/٥ ؛ ولكن/الامومة عند العرب/ص٦٢

(٤) ابن حبيب /المحبر /ص٣٢٤ ؛ ابن حزم /جمهرة انساب العرب/ص٣٠٨ ؛ ابن الجوزي/المدحش/ص٤٥

(٥) القرآن الكريم/النساء/ ١١ ، ١٧٦

(٦) البخاري/الصحيح/١١٥/٥

(٧) جواد علي/المصر السابق/٥٦١/٥

(٨) جرجي زيدان/تاريخ التحدث الاسلامي/٢٥/٤

من الامور التي كانت عند العرب قبل الاسلام ، وقد بينها لنا الصحيحين هي السنن الحنيفية الخمس لنظافة الانسان، وذلك بقول النبي (ﷺ) "الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط" (١). فقد كان عرب قبل الاسلام يوافون على طهارات الفطرة التي سنّها ابراهيم (ع)، كما تُعد في العرب خاصة ولم تكن في امة من الامم (٢) فاما الختان وهو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة والمستحب ان تستوعب من اصلها عند اول الحشفة واقل ما يجزره ان لا يبقى منها ما يتغشى به شيء من الحشفة عند الذكور (٣)، ولم يكن الختان مقتصرًا على الذكور فقط عند العرب قبل الاسلام ، بل كان هناك عندهم ختان للنساء ضمن صناعات نساء العرب قبل الاسلام (الخافضات) وهن اللاتي يختتن النساء (٤)، ففي يوم احد مر حمزة (ع) ، بسباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة بن عبد المطلب : هلم إلي يابن مقطعة البظور، وكانت امه ام انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، ختانة بمكة (٥)، كما اشتهرت الصحابة ام عطية الانصارية، بانها مــــن الخاتــــات ، لانها كانت تختن النساء ، وقد تلقت من النبي (ﷺ) درساً بهذا الخصوص (٦)، اما الاسحداد، فهو استعمال الموس في حلق الشعر من مكان مخصوص من الجسد، وهو حلق العانة (٧)، اما قص الشارب فهو قطع شيء من الشعر النابت اعلى الشفة العليا من غير

(١) البخاري/الصحيح/٥٦/٧ ؛ مسلم/الصحيح/٥٣/١

(٢) ابن عبد ربه/العقد الفريد/٣/٣٢٤ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٩ ؛ القلقشندي/صبح الاعشى/١/٤١٣ ، وانهم يجعلونها عشر ويضيفون الى هذه الاعمال الخمسة خمسة اخرى ، وذلك بقولها "خمس منها في الرأس، وخمس في الجسد، فأما اللواتي في الرأس فالممضضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك، واما اللواتي في الجسد فالاستئماء وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان". وانظر ايضا أحمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٤٦ ؛ محمد رشدي/مدينة العرب/ص٦٢

(٣) ابن حجر /فتح الباري/١٠/٢٨٦

(٤) ابن منظور/لسان العرب/١٦/٢٩٥ ؛ الزبيدي/تاج العروس/٩/١٨٩

(٥) الطبري/التاريخ/٢/١٦ ؛ احمد الحوفي/المصدر السابق/ص٢.

(٦) ابن الاثير/اسد الغابة/٧/٣٦٧ ؛ ابن حجر/الاصابة/٤/٤٧٧ ؛ احمد الحوفي/المصدر السابق/ص٤٠٢ ؛ كمال

السامرائي/مختصر تاريخ الطب العربي/١/٢٠٦ ؛ واما عن كيفية ختن النساء راجع :ابن حجر/فتح الباري/١٠/٢٨٦

(٧) ابن حجر/المصدر السابق/١٠/٢٨٩

استئصال^(١) ، واما تقليم الاظافر فهو قطع شيء منها من غير استئصالها ، وقد كانت العرب قبل الاسلام لا تغسل اليد عقب الطعام فيجتمع في تلك العضنون وسخ^(٢) ، واما نتف الابط فهو ازالة الشعر الموجود تحت الكتف اعلى اليد^(٣).

ولقد ادرك العرب اهمية النظافة والطهارة وانعكس ذلك ايضا على عبادتهم ، وخصوصاً عند بيوت عبادتهم، فقد كان العرب لا يسمحون للحائض ان تدخل بيوت العبادة وهي نجسة^(٤)، كما كان المتعبدون لا يدخلون بيوت الالهة الا بعد تطهير اجسادهم وتنظيفها ، احتراماً للمكان من التدنيس ، وقد عُثر على كتابات من فترة قبل الاسلام تبين ان العرب كانوا يعدون طهارة الملابس ، وطهارة الجسم من الامور اللازمة لمن يريد دخول المعبد، فأذا دخل انسان وهو نجس عُد آثماً^(٥)، كما لا يستبعد ان تكون الابار والينابيع المجاورة، احدى وسائل الطهارة عندهم^(٦).

(١) ابن حجر/فتح الباري/١٠/٢٨٠

(٢) ابن حجر/م.ن/١٠/٢٨٤

(٣) ابن حجر/المصدر السابق/١٠/٢٩٠

(٤) ابن الكلبي/الاصنام/ص٣٣

(٥) هاشم يونس عبد الرحمن/المثل والقيم الخلقية عند العرب/ص٤٤-٤٥ ؛ منذر البكر/معجم اسماء الائمة/ص٢١

(٦) هاشم يونس عبد الرحمن/م.ن/ص٤٥ ؛ شذى احمد /تدمر ابان القرش الثاني والثالث الميلاديين/ص١٤٠

المبحث الثاني الأنساب

لقد عُني العرب بحفظ النسب عناية لا نعلم احداً من الامم عني بها مثلهم ، والنسب عند العرب يختلف عما عند الشعوب الاخرى ليس في اصل نسب الاشخاص والقبائل فحسب كما هي الحال عند اليونان والفرس وطبقة النبلاء في اوربا وانما في ترتيب القبائل وشعبها وبطونها ايضاً ، والظاهر ان عناية العرب بالانساب كانت نتيجة لاسباب عديدة اجتماعية واقتصادية ، وايضاً لأسباب خارجية اذ ظهرت بظهور الشعوبية ودورها التخريبي في تاريخ العرب مما ادى الى اهتمام العرب بالنسب^(١) . وقد استمر اهتمام العرب بالنسب حتى بعد مجيء الاسلام ، فقد كان الرسول (ﷺ) يهتم بالانساب ويتكلم بها ويذكرها فقد قال ابن حزم في ذلك " وكان الرسول الله - صلى الله عليه وآله - عليه واله وسلم - يتكلم في النسب فقال : " عن بنو النضرين كنانة " وذكر اخاذ الانصار - رضي الله عنهم - اذ فاضل بينهم ، فقدم بني النجار ثم بني عبد الاشهل ثم بني الحارث بني الخزرج ، ثم بني ساعدة ، ثم قال عليه السلام " وفي كل دور الانصار خير " وذكر بني تميم ، وبني عامر بن صعصعة وغطفان ، واخبر - عليه السلام - ان مزينة ، وجهينة واسلم ، وغفارا ، خير منهم يوم القيامة ، وذكر بني تميم وشدتهم على الرجال ، واخبر - عليه السلام - ان بني العنبر بن عمرو بني تميم من ولد اسماعيل ، ونسب الحبشة الى ارفده ، ونادى قريشاً بطناً بطناً ، اذ أنزل الله عليه : " وانذر عشيرتك الاقربين " وكل هذا علم نسب " (٢) .

كما يؤكد لنا الصحيح في حديث نبوي ذكر الرسول (ﷺ) للنسب ورفعة نسب ابائه السابقين بقوله (ﷺ) " انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب " (٣) ، ويستدل ابن حزم في الجمهرة بهذا الحديث بانه يبطل ما روي عن بعض الفقهاء من كراهية الرفع بالنسب الى الاباء من اهل الجاهلية ويذكر الحديث السابق^(٤) .

١. انساب القبائل:

(١) منذر البكر/دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام/ص ٩٥

(٢) ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص ٤

(٣) البخاري/الصحيح/٩٩/٥

(٤) ابن حزم /المصدر السابق/ص ٥

لقد ذكرت لنا الأحاديث النبوية الشريفة في الصحيحين نسب القبائل العربية ومنها نسب قريش ، وذلك بذكر الرسول (ﷺ) لنسبه حيث قال " ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم " (١) ففي هذا الحديث يذكر لنا رسول الله (ﷺ) سلسلة نسبة، فكنانة هو ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ولد اسماعيل بلا شك في ذلك الا ان تسمية الاباء بينه وبين اسماعيل قد جهلت جملة (٢) وذلك كما اشار الرسول (ﷺ) الى عدم الدقة من قبل النسابين في ذكرهم الانساب وخاصة القديمة منها حيث قال " ماتجاوز معد بن عدنان فقد كذب النسابون " ثم تلى قوله تعالى بين ذلك كثير " (٣) ، واما قريش فهو فهر بن مالك بن النضير بن كنانة (٤) واما بشأن تسميته بقريش فهناك اراء عديدة منها انه ماخوذ من النقرش أي التكسب والتجارة او ماخوذه من النقرش أي التفتيش لان قريشاً كان يفتش عن حاجة الناس فيسدها بماله ، او من القرش وهو الحيران البحري (٥) ، واولد قريش أي فهر بن مالك ، غالب ، ومن ولد غالب ، لؤي ، ومن ولد لؤي ، كعب ، وولد كعب مرة ، فولد مرة بن كعب ، كلاب بن مرة ، فولد كلاب بن مرة ، قصي بن كلاب فولد قصي بن كلاب ، عبد مناف ، فولد عبد مناف بن قصي عمرو وهو هاشم وفيه العدد والشرف والمطلب وعبد شمس ونوفلاً ، فبني هاشم من قريش (١) ، ومن

(١) مسلم/الصحيح/٥٨/٧

(٢) ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص٧-١١ ؛ ابن دريد/الاشتقاق/ص٢٧-٣١ ؛ ابن قيم الجوزية/زاد المعاد/١/٢٩

(٣) ابن دريد/م/ن/ص٥ ؛ المسعودي/مروج الذهب/٢/٢٨٢-٢٨٣

(٤) ابن هشام/السيرة النبوية/١/١١٥ ؛ الطبري/تاريخ الرسل والملوك/٢/٢٥٦ ؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد/٣/٣١٢ ؛ المسعودي/م/ن/٢/٢٨١ ؛ ابن حزم/المصدر السابق/ص١٢ ؛ الفاسي/شفاء العزام باخبار البلد الحرام/٢/٦٣ ؛ السهيلي/الروض الانف/١/١١٥ ؛ السيوطي/المزهر في علوم اللغة/١/٣٤٤ ، فقد اجمعت هذه المصادر المعتمدة كلها على ترجيح بأن قريش هو فهر بن مالك وليس آخر غيره

(٥) انظر : ابن هشام/م/ن/١/١١٦ ؛ السهيلي/م/ن/١/١١٦ ؛ الفاسي/م/ن/٢/٦٤-٦٥ ؛ ابن كثير/البداية والنهاية/٢/٢٠١-٢٠٢

(١) ابن دريد/الاشتقاق/ص١٧-٢٤ ؛ ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص١٢-١٤ ؛ وهاشم : اسمه عمرو العلاء ولقب بها شم لانه اول من هشم الزيد والخيز لقريش عندما اصابتهم مجاعة ، وقد خصه مطرود بن كعب الخزاعي بقوله :

عمرو العلاء هشم الزيد لقومه
ورجال مكة مسنون عجاف

ابن دريد/م/ن/ص١٣

بني هاشم عبد المطلب، ونضله ، وابي صيفي، واسد، ومن بني عبد المطلب، عبد الله ،وهو والد رسول الله (ﷺ) (٢) .

كما اثبت لنا البخاري في صحيحه ،نسب خزاعة ،وهي من بني عمرو بن لحي وذلك بقوله (ﷺ) "وعمر بن لحي بن قملة بن خندف ابو خزاعة" (٣). الا ان النسابة واهل الاخبار قد اختلفوا في اصلها ،فقد قالوا ان اصل خزاعة من اليمن من قبائل الازد ،فبعد انهيار سد مارب ،وتفرق القبائل هناك تفرقت الازد فقسم ذهبوا للعمان وهم أزد عمان ،وقسم ذهبوا الى شنؤة وهم أزد شنؤة،وقسم ذهبوا الى الحجاز وهم الاوس والخزرج وقسم منهم اتجهوا نحو الشام وهم الغساسنة ،وقسم منهم ذهبوا الى مكة وهم خزاعة وسميت خزاعة لتفرقها (٤) ،الا ان هناك راي اخر يرجعها الى عرب الشمال ،وقولهم في ذلك ان الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، قد ولد عامر ، وهو مدركة وعمر بن طابخة ،وعمير وهو قملة ،وامهم خندف من قضاة فنسبوا اليها ،وان قملة المذكور في الحديث واسمه عمير بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ولده خزاعة فتكون خزاعة من العدنانيين (٥) ، ويؤكد لنا هذا الرأي مصعب الزبيري ،بعد ذكره لهذا الحديث الشريف فيقول "ان خزاعة ،كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن عدنان، يابون هذا النسب ،والله اعلم ،وان كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال ما روي -أي الحديث الذي ذكرناه - فرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وما قاله فهو الحق " (١).

(٢) ابن دريد/م.ن/ص ٨-١١ ؛ ابن حزم/م.ن/ص ١٤-١٥

(٣) البخاري/الصحيح/٤/١٦٠

(٤) البلاذري/فتوح البلدان/ص ٢٠/ابن دريد/المصدر السابق/ص ٤٦٨ ؛ المبرد/نسب عدنان وقحطان/ص ٣٢ ؛ الفلقشندي/قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان/ص ٩٦-٩٨ ؛ عبد الرحمن بن حمد المغيرة/الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب/ص ٦٣

(٥) مصعب الزبيري/نسب قريش/ص ٨ ؛ ابن حزم/المصدر السابق/ص ١٠ ؛ المبرد/م.ن/ص ٩ ؛ الفلقشندي/م.ن/ص ٩٨ ؛ وخندف :اسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحارث بن قضاة ، وخندف لقبها زوجة الياس بن مضر ، وقد نسب ولدها اليها، مصعب الزبيري/م.ن/ص ٨

(١) مصعب الزبيري/نسب قريش/ص ٩ ؛ ورواية مصعب الزبيدي ترجع خزاعة الى كعب بن عمرو بن لحي ، انظر/ص ٨/من نفس المصدر . ولمزيد من التفاصيل والادلة والاثباتات على ان خزاعة من العدنانية وانها ليست قحطانية أنظر : احمد عبد الرضا كريم/الانساب المتقطعة/ص ١١٤-١١٥

كما يرجع لنا صحيح البخاري في حديثه، بني اسلم، الى اسماعيل (ع)، وذلك بقوله (ﷺ) عندما رآهم يرمون السهام فقال لهم " ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان رامياً " ^(٢) واسلم، هؤلاء هم بنوا أفصى بن حارثة بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر، وهم ابناء عم خزاعة ^(٣)، فهم اذن من عرب الشمال العدنانية و ذلك بدلالة الحديث الشريف الذي يرجعهم الى سلالة اسماعيل (ع) ^(٤).

٢. الفخر بالاحساب والطعن بالانساب:

ومن الامور التي بينها لنا صحيح مسلم في احاديثه والتي كانت عند العرب قبل الإسلام، الفخر باحسابهم وايضاً الطعن بانسابهم، ففي فخرهم باحسابهم، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) انه قال "اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر في الأحساب ... " ^(٥)، كما نهى عن بعض الافعال التي كانت قبل الاسلام فقال "ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد... " ^(٦)، فقد كان العرب قبل الاسلام كثير ما يفخرون بافعال ابائهم ويذكروها، وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله (فاذكروا الله كذاكم ابائكم) ^(٧)، فقد كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسنهم ^(٨)، ويروى انه "كان اهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان ابي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال ابائهم " ^(٩).

والى جانب الوقوف بالمواسم وذكر مفاخر الالباء كان هناك مواقف وحالات تدعو العرب قبل الاسلام الى المفاخرة فيما بينهم وذكرهم لها ومنها التنازع على الرياسة، كما فعل عامر بن الطفيل

(٢) البخاري/الصحيح/١١٩/٤

(٣) ابن سلام/كتاب النسب/ص٢٨٧-٢٩١ ؛ ابن دريد /الاشتقاق/ص٣٥ ؛ ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص٢٤٠ ؛ المبرد/نسب عدنان وقحطان/٩٨ ؛ ياقوت الحموي/معجم البلدان/٥/٣٥٩ ؛ عبد الرحمن المغيرة/الكتاب المنتخب/ص٦٦ ؛ عمر رضا كحالة/معجم قبائل العرب/١/٢٦.

(٤) ابن كثير/التفسير/٣/٥٣٢

(٥) مسلم /الصحيح/٣/٤٥

(٦) مسلم/م/ن/٨/٦٠

(٧) القرآن الكريم/البقرة/٢٠٠

(٨) البيضاوي/انوار التنزيل/اسرار التاويل (التفسير)/١/٢٨٨ ؛ الكازروني/حاشية الكازوني/١/٢٨٨

(٩) ابن كثير/التفسير/١/٢٥٠

وعلقمة بن علاثة العامر بين لما تنافرا وافتخرا باحسابهم وانسابهم لما تنازعا الرياسة عندما اسر ابو براء ملاعب الاسنة^(٢) وايضاً عند التفاخر بين سادة القبائل عند الملوك^(٣).

وايضاً كان مما تفتخر به قبائل العرب احدها على الاخرى هو وجود اربعة اباء متوالين على رئاسة القبيلة وكانوا يعدون هذه من المفاخر العالية "فان كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تتشرف على قبيلة قال نعم قال باي شئ قال من كان له ثلاثة اباء متوالية رؤساء ،ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلة وطلب ذلك فلم يجده الا في ال حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس ،وأل ذي الجدين بيت شيبان وال الاشعث بن قيس من كنده المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب اليمنى ،وهذا كله يدل على ان الاربعة الاباء نهاية في الحسب"^(٤) .

كما كان العرب يفخرون اذا ما تعرضوا للطعن في نسبهم والتقليل من شأنهم كما رد الشاعر عندما تعرضت قبيلته أكلب الى طعن بقوله:

اني من القوم الذي نسبي اليهم كريم الجـد والعم والاب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني اليهم ترى اني بذلك اغلب

(٢) ابو الفرج الاصفهاني/الاجاني/١٦/٣٠٤-٣١٩ ؛ لتفاصيل اكثر حول المناظرة والتفاخر أنظر: ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٢٧٧ ؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/١/٨ ، وابو براء ملاعب الاسنة: هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة. احد اشهر فرسان ورؤساء العرب قبل الاسلام/ابن دريد الاشتقاق/ص٢٩٥ ؛ ابن قتيبة/م/١/٢٧٧ ، وعامر بن الطفيل : وهو ابن اخ عامر ملاعب الاسنة العامري وقد ادرك الاسلام ولم يسلم وكان احد أشهر فرسان العرب المشهورين/ابن حزم/جمهرة/ص٢٨٤-٢٨٥ ،وعلقمة بن علاثة:هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص العامري أدرك الأسلام وأسلم،ولاه عمر بن الخطاب حوران، وكان من أشرف قومه ومن سادتهم.ابن الأثير/اسد الغابة/٤/٨٧

(٣) انظر المفاخرة بن طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان عند احد ملوك حمير /القالبي/الامالي/١/١٠١-١٠٢
* الاحساب : جمع حسب ، وهو الشرف الثابت في الفعل وما يعده الانسان من مفاخر ابائه وافعالهم الصالحة الحسنة كالكرم والشجاعة وحسن الخلق والوفاء وغيرها/الفراهيدي/العين/٣/١٤٨ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١/٣٠١ ؛ الرزاي/مختار الصحاح/ص١٣٥ ، الانساب : جمع نسب وهي القرابات، أي عد الاباء والامهات والارتباط بهم/ابن منظور/م/ن/٢/٢٥٢ ؛ الرازي/م/ن/ص٦٥٦

(٤) ابن دريد/الاشتقاق/ص٣٥٩ ؛ ابن عبد ربة/العقد الفريد/٣/٣٣١ ؛ ابن رشيق/العمدة/٢/١٩٣ ؛ ابن خلدون/المقدمة/ص١٣٨

فان لا يمكن عماء خلفاً وناهاً فاني امروء عماء يكر وتغلب
ابونا الذي لم تركب الخيل قبله ولم بدر مرء قبله كيف يركب (١)

كما كان التعصب الى القوم والقبيلة والحب والاعجاب بها دافعاً الى الافتخار بافعالها واحسابها
،وابلغ ما قاله عربي قبل الاسلام في الافتخار هو قول عمرو بن كلثوم:

ونحن الحاكمون اذا اطعنا ونحن العائقون اذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الاخذون لما رضينا (٢)

وكذلك افتخاره باسلافه من بني قومه وما فعلوه من اعمال تبعث على الفخر والاعتزاز (٣) والى
جانب فخرهم بالاحساب والانساب كان من عادات العرب قبل الاسلام هو طعنهم بالانساب وهذا
ما يؤكد لنا صحيح مسلم في حديثه من خلال قول الرسول (ﷺ) " اربع من
امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن ..والطعن في الانساب .."(٤) او قوله (ص) "اثنان من الناس
هما بهم كفر الطعن بالانساب ..."(٥) ،فقد كان الطعن في الانساب من اعمال
الجاهلية (١) وكان هذا الطعن في اصل القبائل وانسابها يأتي من التداخل الحاصل في فروع القبائل
،فكانت القبائل الصغيرة غالباً ما تدخل ضمن نطاق القبائل الكبيرة والقوية لتتال مبتغاهما
وحمايتها (٢) ، كما كان بعض الافراد يدخلون الى القبائل من قبائل اخرى وبمرور الزمن يصبحون

(١) ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص٢٩٢ ؛ السهيلي/الروض الانف/١/٦٦ ؛ عبد الفتاح عبد الله محمود الحمداني/فيلة

خثعم ودورها في التاريخ العربي/ص٢٠-٢١

(٢) الزوزني/شرح المعلقات السبع/ص١٨٠ ؛ الخطيب التبريزي/شرح المعلقات العشر/ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ النويري/نهاية
الادب/٣/٢٠٠

(٣) انظر ابياته التي يذكر فيها بعض اسلافة كعلقمة بن سيف ومهلهلاً وكليباً وعتاباً وكلثوماً ، في الخطيب
الزوزني/م/ن/ص١٧٩ ؛ التبريزي/م/ن/ص٢٧٥ ؛ وتعتبر قصيدته في المعلقات اشهر ما قيل في الفخر بالقبيلة/يحي
الجبوري/الشعر الجاهلي/ص١٨٦

(٤) مسلم/الصحيح/٣/٤٥

(٥) مسلم/م/ن/١/٥٨

(١) النوي/شرح مسلم/٢/٤٩

(٢) البكري/معجم ما استعجم/١/٥٣

كافراد منها^(٣) . فاننا نشاهد بعض القبائل تنتسب الى اب غير ابيها او دخلت في نسب جديد^(٤) وذلك ما دفع رجل من خثعم ان يطعن بنسب اكلب بانها من ربيعة وليست من خثعم بقوله :

ما اكلب منا ولا نحن منهم وما خثعم بو الفخار واكلب
قبيلة سوء من ربيعة اصلها فليس لها عم لديناء ولا اب^(٥)

٣. العصبية القبلية:

من الامور التي لها صلة بالنسب عند قبائل العرب لاسلام والتي اشار اليها الصحيحان في الحديث الشريف " فعند ما اغضب رجل من المهاجرين رجلاً من الانصار او اقتتلا فنادى المهاجري يا للمهاجرين ،ونادى الانصاري يا للانصار فخرج النبي (ﷺ) وقال ما بال دعوى اهل الجاهلية " ^(٦) والعصبية القبلية تعني التضامن بين ابناء البطن او العشيرة او القبيلة تضامناً على الحق والباطل ،وكان افراط البدوي في الاعتزاز بحسبه سبباً في وجود مبدأ العصبية ،فقد كان العربي قبل الاسلام يرى عاراً عليه ان يفقد عن نضرة اخيه وابن عمه ضد خصمه ،حتى ولو كان الخصم من افراد القبيلة ،وقد يتنافس ابناء القبيلة الواحدة ويتصعب بعضهم ضد البعض الاخر ،كما حدث بين الاوس والخزرج وبين عبس وذبيان بني امية وبني هاشم ^(٧) والفرد العربي قد الف قومه يهرعون الى اول نداء له كما تكشف عن ذلك ابيات للشاعر قريظ بن انيف العنبري حيث يقول:

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا^(٨)

(٣) فيليب حتي/تاريخ العرب/ص٥٦ ؛ وحول هذا الموضوع وتداخل القبائل انظر: احمد عبد الرضا كريم/الانساب المنقطعة/ص٥

(٤) مصعب الزبيري/نسب قريش/ص٥-٧ ؛ ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ص١١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧،

(٥) السهيلي/الروض الانف/١/٦٦ ؛ عبد الفتاح عبد الله الحمداني/قبيلة خثعم/ص٢٠

(٦) البخاري/الصحيح/٤/١٦٠ ؛ مسلم/المصدر السابق/٨/١٩

(٧) ابراهيم جمعة/مذكرات في تاريخ العرب/ص٣٨-٣٩ ؛ عبد المنعم ماجد/التاريخ السياسي/ص٥١، احسان النص/

العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي/ص١٠٥، عبد العزيز قباني/العصبية بنية المجتمع العربي/ص٤٠

(٨) ابو تمام/ديوان الحماسة/٢٩

وقد ظهرت قدسية العصبية خاصة بالثأر، وكان من مظاهره الوقائع المستمرة بينهم ما يعرف ب (أيام العرب) ^(٢)، والاخت بالثأر من الصفات المتأصلة عند العرب قبل الاسلام وبلغ من شدة تاصل هذه الطبيعة في نفس العربي، أنها كانت تؤرقه وتضنيه من شدة التفكير بها، ذلك التفكير الذي يقض المضجع ويلهي عن تناول الطعام والشراب والملذات ويؤدي الى هزال الجسم حتى يدرك الثأر، وهذا ما فعله مهلهل التغلبي عندما قتل اخه كليباً ^(٣). وخير ما يدلنا على قوة تأثير النسب وارتباطه بالعصبية القبلية هو انه كانت جليلة بنت مرة الشيبانية اخت جساس بن مرة الشيباني زوجة كليب فقتل اخوها زوجها، وهي حبلى بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب وعرف من قتل ابيه تعصب اليه وقال:

اصاب ابي خالد وما انا بالذي	اميل وامري بين خالي ووالدي
واورث جساس بن مرة غصة	اذا ما اعترتني حرها غير بارد
يا للرجال لقلب ماله جلد	كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله وقتله فقال:

سن العداوة اباء لنا سلفوا فلن تبيد و للاباء ابناء ^(٤)

ومعنى هذا انه ربما اخذ الثأر من الابن او الحفيد ياخذ اخو القتل او ابن عمه او ابنه او حفيده، وهذه من اجلى صفات العصبية ومن الصفات المتأصلة عند العرب قبل الاسلام ^(١)، كما استجذبت المرأة العامرية التي اعترضها شباب قريش في سوق عكاظ فنادت يا آل عامر، فساروا وحملوا السلام، وحملته كنانة واقتتلوا وكانت بينهم حرب الفجار ^(٢) فكثيراً ما كان العربي يستعدي

(٢) عبد المنعم ماجد/المصدر السابق/ص ٥١-٥٢، احسان النص/العصبية القبلي/ص ١١٩

(٣) محمد احمد جاد المولى بك/ايام العرب قبل الاسلام/ص ١٥٢-١٥٣؛ ابراهيم جمعة/المصدر السابق/ص ٣٩؛ ومهلهل بن ربيعة التغلبي من بني وائل، وهو الذي قاد تغلب في حرب البسوس لاخت ثأر اخيه كليب من بني شيبان وكليب اسمه وائل ولقبه كليب بن ربيعة بن تغلب بن وائل، تولى رئاسة قبيلة تغلب زمناً بعد اخيه عندما قتله جساس بن مرة الشيباني وتآرت بسببه حب البسوس. ابن دريد /الاشتقاق/ص ٣٣٨ : محمد احمد جاد المولى/م.ن/ص ١٤٢

(٤) ابن حبيب /اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام/ص ١٣١-١٣٢؛ الابشيهي/المستطرف/١/٢١٢

(١) ابراهيم جمعة/مذكرات في تاريخ العرب/ص ٣٩

(٢) عن حرب الفجار أنظر: ابن هشام/السيرة النبوية/١/٢٠٩-٢١٠؛ السهيلي/العرض الانف/١/٢٠٩-٢٢١

ويستجد بقيلته وذلك للقرابة التي تربطه بها^(٣). ولهذا نرى ان العصبية القبلية لها اثر كبير في تاريخ العرب كونها احدى الصفات المتأصلة عندهم .وعندما جاء الاسلام عمل على القضاء عليها وجعل الناس متساوين في الحقوق والواجبات لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى حيث قال تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)^(٤).

٤. الاستلحاق بالنسب (التبني) :

ومن الامور التي لها علاقة بالنسب الاستلحاق او التبني وهو ان يدعى الرجل رجلاً يلحقه بنسبة ويوصله اليه ،وقد يكون عبداً او اسيراً او مولى فيسميه مولاه ،وينسبه اليه^(٥) وهذا الامر كان معروفاً عند العرب قبل الاسلام ،وقد د لنا عليه ،صحيح البخاري فالسيدة عائشة (رض) في حديثها تضرب لنا امثالاً وتخبرنا بذلك بقولها "ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدرأ مع النبي (ﷺ) تبني سالماً وانكحه بنت اخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لامرأة من الانصار ،كما تبني النبي (ﷺ) زيداً وكان من تبني رجلاً في الجاهلية دعاه الناس اليه وورث ميراثه..."^(٦) فقد كان الرجل من العرب قبل الاسلام يتبنى ابن غيره فينسب اليه دون ابيه من النسب ويرثه^(٧) ،وقد ذكر لنا ذلك القران الكريم بقوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فآخوانكم في الدين)^(٨) ،فقد كان الرجل في الجاهلية اذا عجب من الرجل جلده وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه ،وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان ،و كذلك كان يغلب نسب التبني على النسب الصريح ،فقد يغلب اسم التبني كحال المقداد بن عمرو فانه كان غلب عليه نسب التبني ،فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود ،فان الاسود بن عبد يغوث كان قد تنباه في الجاهلية وعرف به وكذلك سالم مولى ابي حذيفة كان

(٣) محمد احمد جاد المولى /ايام العرب/ص٣٢٤

(٤) القران الكريم/سورة الحجرات/١٣

(٥) الفراهيدي/العين/٤٨/٣/ابن منظور/لسان العرب/١٠/٣٣٨ ؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن/٤/٢٥

(٦) البخاري/الصحيح/٦/١٢٢

(٧) الفخر الرازي/التفسير/٩/٢١١ ؛ ابراهيم فوزي/احكام الاسرة/ص١٥

(٨) القران الكريم/الاحزاب/٥

يدعى لابي حذيفة الا انه سالم بن معقل ^(٢)، كما جاء في حديث ابن عمر (رض) انه قال " ان زيد بن حارثة مولى رسول الله (ﷺ) ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله " ^(٣) ويقول القرطبي بشأن هذا الحديث بانه دليل على ان التبني كان معمولاً به في الجاهلية ^(٤) كما ان من اشهر حوادث الاستلحاق قبل الاسلام هو استلحاق امية لابي عمرو ، فقد قبل ان ابي عمرو ذكوات بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي كان عبداً لاميه واستلحقه ^(٥) .

وكانوا يسمون المستلحق دعياً ، وقد يكون الرجل دعي ادعياء فيكون هو دعياً في رهطة ورهطة دعي في القبيلة مثل ابن هرمة ، فقد كان دعياً في الخلع والخلج ادعياء في قريش وكثيراً ما كانوا يستلحقون الرهط او العشيرة دفعه واحدة لنزولهم فيهم او لنصرتهم اياهم ^(٦) كما كانت العرب تستبعد ابناء الأماء الهجناء منها ، الا انهم يعودون ويستلحقوهم بانفسهم اذا انجبوا وظهرت منهم البسالة والقدرة ، فقد كان عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية العبسي قد ادعاه واستلحقه ابوة به بعد الكبر ، وذلك لانه كان ابن امة سوداء يقال لها زبيبة .

وكان العرب قبل الاسلام اذا كان للرجل منهم ولد من امة استبعد ، وكان سبب ادعاء واستلحاقه ابي عنترة اياه ان بعض احياء العرب اغاروا على قوم من بني عبس فاصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة فيهم ، فقال له ابوه كر يا عنترة : فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر ، فقال كر وانت حر ، فكر وهو يقول :

كل امرئ يحمي حره اسوده واحمـره

والواردات مشفرة

(٢) ابن عبد البر/الاستيعاب في معرفة الاصحاب/٢/٢٨٢ ، ١٠/٣٤٠ ؛ القرطبي/التفسير/٧/٩٠ ؛ ابن حجر/الاصابة في

تمييز الصحابة/٥/١٩٥ ، ٢/٢٨٤-٢٨٥

(٣) البخاري/الصحيح/٦/٢٢ ؛ القرطبي/م.ن/٧/٩٠

(٤) القرطبي/المصدر السابق/٧/٩٠

(٥) ابن الاثير/اسد الغابة/٥/٤٥١ ؛ وذكر ان هو احد اجداد الوليد بن عقبة والي المدينة زمن الخليفة عثمان (رض)

واخيه من امه/ابن الاثير/م.ن/٥/٤٥١

(٦) ابن دريد/الاشتقاق/ص ٤١٠ ؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن الاسلامي/٤/٢٥ .

فقاتل يومئذ فابلى واستنقذ ما كان بأيدي عدوهم من الغنيمة فادعاه ابوه بعد ذلك والحق به نسبة^(١). ويوضح لنا ابن حجر بان هناك طريقة اخرى للاستلحاق ، فيقول "ان هناك طريقة اخرى للاستلحاق ، فاما الاستلحاق فيكون مختصاً بالامة أي باستلحاقها او بالقافة ، كما في حديث عائشة عن انواع الزواج " ^(٢) وهذا يدل لنا على ان الاستلحاق ليس مختصاً بالرجال فقط وانما النساء ايضاً .

فالتبني كان موجوداً عند العرب قبل الاسلام ، وقد نهى الاسلام عنه بدليل الاية السابقة الذكر ، وقول الرسول (ﷺ) ، "ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر"^(٣) وقوله ايضاً "لا ترغبوا عن اباكم ممن رغب عن ابيه فهو كفر " ^(٤) وذلك قطعاً للعادة الجاهلية عند العرب والاهتمام بمعرفة الاباء والمحافظة على النسب .

٥- الحليف:

والحليف من الحلف وهو العهد ، يكون بين القوم ، والمعاهدة على التعاضد والساعد والاتفاقة والمتعاقد يكون امرهما واحداً بالوفاء ^(٥) ، فالحليف هو الذي لا ينحدر من الجد الاعلى للقبيلة ولا تربطه رابطة الدم والنسب ، ولكنه لجأ الى قبيلة ووضع نفسه تحت حمايتها او حماية افرادها وقد يكون الحلف فرداً او قبيلة ^(١) وقد اشار صحيح مسلم الى ذلك ، فعن علي (ع) في حديثه عن كتاب حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ) "يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امراً ملصقاً في قريش كان حليفاً لهم ولم يكن من انفسها ، وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها

(١) ابن قتيبة / الشعر والشعراء / ١٣٢-١٣١ ؛ ابي الفرج الاصفهاني / الاغانى / ١٤١-١٤٢ ؛ الامة: المرأة المملوكة وهي الام التي ليست حرة ؛ ابن منظور / لسان العرب / ٣٠ / ١٢ ؛ الهجين : ابن العربي من الامة المملوكة / ابن منظور / م.ن / ٤٣١ / ١٣

(٢) ابن حجر / فتح الباري / ٢٨ / ١٢

(٣) مسلم / الصحيح / ٥٧ / ١

(٤) البخاري / صحيح / ١٢ / ٨ ؛ مسلم / م.ن / ٥٧ / ١

(٥) ابن منظور / المصدر السابق / ٥٣-٥٥ ؛ دلال جويد تعبان / الاحلاف في الشعر العربي قبل الاسلام / ص ١

(١) صالح العلي / محاضرات في تاريخ العرب / ص ١٣٤ ؛ دلال جويد / م.ن / ص ٢٢-٤٥ ، اما عن حلف القبيلة فأنظر مثلاً حلف الاحابيس بين قبائل القرة والحيا والمصطلق و بني الحارث في كنانة / مصعب الزبيري / نسب قريش / ص ٩ ؛ ابن دريد / الاشتقاق / ص ١٩٣

اهلهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم بدأ...^(٢) فحلف الافراد مثلما يبين لنا الحديث النبوي الشريف ان الغرض منه ان ينال حماية القبيلة التي يحالفها ويستطيع ان يعيش في كفها بامان، ومثل هؤلاء الحلفاء عادة غرباء ياتون الى القبيلة ليتاجروا معها، او ليتزوجوا احسن نساءها ويسكنوا مع قبيلة المرأة، ولكنهم في الغالب من الخلفاء وهم الذين ارتكبوا جرائم القتل في قبائلهم الاصلية، او اساءوا السلوك لدرجة اصبح وجودهم في القبيلة غير مرغوب فيه فتخلعهم القبيلة لكثرة جرائمهم ولما كان من الصعب على الفرد ان يعيش بمفرده في الجزيرة، فقد كانوا مضطرين الى الالتجاء الى قبيلة اخرى يقعون في دخالها ويطلبون حمايتها^(٣)، وكان على رجل القبيلة ان يحميه ويدافع عنه، اذ ان رد الدخالة ليس من المروءة، والحلف قد يكون مؤقتاً او دائماً تدافع فيها القبيلة عن حلفاتها باعتبارهم افراداً منها، وترثهم ان لم يكن لهم وارث في القبيلة، وتعينهم في دفع دية القتل غير العمد الذي قد يرتكبونه، كما انها تطالب بديتهم ان قتلوا ولكن ديتهم عادة نصف دية الصرحاء (ابناء القبيلة الاصيلين)، كما ان الحليف لا يقتل بالصریح، ولا تكون لهم أي صلة بعد بقبائلهم الاصلية التي تركتهم ونفضت ايديها منهم فيكونون علاقة جديدة مع القبيلة الجديدة^(٤).

المبحث الثالث العادات والتقاليد الاجتماعية

١ - الافراح (الاعياد)

لقد أشار صحيح مسلم في احاديثه، للافراح والاعياد التي كانت سائدة عند العرب قبل الاسلام، وذلك بقول الرسول (ﷺ) "يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا"^(١) والعيد من العود، وهو اليوم الذي يعود فيه الفرح والحزن عند العرب^(٢)، فقد عرفت الاعياد عند العرب قبل الاسلام،

(٢) مسلم/الصحيح/١٦٨/٧

(٣) محمد محمود جمعة/النظم الاجتماعية والسياسية/ص ١٤٨؛ صالح العلي/المصدر السابق/ص ١٣٥؛ شاكر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ١٧٢-١٧٣

(٤) صالح العلي/المصدر السابق/ص ١٣٥-١٣٦؛ رشيد الجميلي/ص ١٩٨-١٩٩؛ علي عبد الواحد وافي/الاسرة

والمجتمع/ص ١٠

(١) مسلم/الصحيح/٢١/٣

(٢) الزبيدي/تاج العروس/٣٨/٢

ويصعب تحديد اسم عيد واحد لجميع العرب قبل الاسلام، وذلك على حد قول احد الباحثين لانه "كان العرب في جاهليتهم قبائل وشيعا وكان الاتصال بينهم صعباً صارت اعيادهم كثيرة غير متفقة في زمان او مكان، ذات صفة محلية ، لا يشترك فيها كل عرب جزيرة العرب، وهي مرتبطة بالاصنام في الغالب وبالمواسم التجارية التي تتجلى في انعقاد الاسواق ولذلك فأنا حين اتحدث عن اعياد اهل الجاهلية فلن استطيع ان آتي باسم عيد واحد ، أقول ان جميع العرب كانوا يعيدون ويفرحون جميعهم به ، لما ذكرته من انقسام الجاهليين الى قبائل وشيع وعدم وجود دين واحد لهم يجمع شملهم. ولذلك فأعياد الجاهليين هي اعياد موضعية تُعيد قبيلة او مدينة او مملكة بعيد، ولا يعرف عنه بقية العرب أي شيء" (٣).

فقد كان موسم الحج الى مكة واقامة الاسواق فيها من اهم المواسم للعرب في الحجاز ، وكانوا يتخذونها عيداً ، حيث يجتمع الناس من مختلف القبائل ومختلف الاماكن للتقرب الى الاصنام وايضاً للتلاقي في ظروف امن وسلام لا يحل فيها قتال ولا اعتداء ولا لغو ولا فحش (٤)، كما نُكر ان لاهل يثرب يومين يعيد ان فيهما، ويلعبون فيهما ويستأنسون هما: النيروز والمهرجان، فلما قدم النبي (ﷺ) ابدلها بيومي الفطر والاضحى (٥)، والظاهر ان هذين العيدين عند اهل يثرب قد أخذوا من الفرس لانها اعياد فارسية (٦)، كما كان من العرب قبل الاسلام من

(٣) جواد علي/المفصل/١٠٠/٥-١٠١

(٤) جواد علي/م.ن/١٠١/٥ ؛ رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص٢٢٨

(٥) جواد علي/المصدر السابق/١٠١/٥

(٦) ابو الحسن احمد بن فارس/كتاب النيروز/ص٤-٩ ؛ طه ندا/الاعیاد في الدولة العربية الاسلامية في القرن الاول والثاني الهجري/ص١٢ ؛ شاكر مصطفى /المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ١٣٥/٢

يجع الى ذي الشرى وقد خصصوا يوم ٢٥/كانون الثاني عيداً لهم^(١)، وقد ورد عيد في شعر النابغة الذبياني دعاه بـ (السباسب) حيث قال:

رقاق النعال طيب حجاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب^(٢)

الا ان هذا العيد يعتبر من اعياد النصارى ، وكانوا يسمونه بـ(يوم السعانيين) او (الشعانيين)^(٣) الا انه يبدو كان معروفاً عند عرب الحجاز واهل مكة ، فقد ورد في حديث للرسول (ﷺ) "ان الله تعالى ابد لكم بيوم السباسب يوم العيد"^(٤)، فهذا دليل على ان اهل مكة كانوا قد عرفوا هذا العيد وعيدوه وربما كانوا اخذوه عن النصرانية^(٥)، كما جرت العادة عند بعض القبائل المرتحلة ان تزور مقامها مرتين في العام، وهي ايام الاعياد، وفي هذه الاعياد والزيارات تقوم القبائل بتكريم معبودها والبتها بالذبايح^(٦).

والى جانب اعياد المشركين من العرب قبل الاسلام ، فقد كان لاهل الاديان والملل الاخرى اعياد ايضاً ، فقد كان العرب النصارى قد عيدوا باعيادهم الدينية، واحتفلوا بها ، وفي المواضع التي كانت فيها جماعة كبيرة منهم ، كانت احتفالاتهم بها أوضح ، ففي الحيرة، حيث تفشت النصرانية وانتشرت ، كان الناس يتزينون ويتجملون ويلبسون احسن ما عندهم من حلل في ايام اعيادهم ويحتفلون في اماكن عبادتهم كالبيع والكنائس والاديرة فرحاً بذكرى العيد ويخرجون صلبانهم^(٧). وقد كان من اشهر اعياد النصارى في جزيرة العرب قبل الاسلام هو عيد السباسب (عيد الشعانيين) الذي مر ذكره ، كما اشتهر عندهم ايضاً عيداً آخر هو (عيد الفصح) وهو عيد فطر النصارى، وقد اشار اليه الاعشى بقوله :

(١) منذر البكر/معجم اسماء الالهة/ص٢٢ ؛ وذو الشرى : هو احد الاصنام التي كان يعبدها عرب الانباط في الشمال وكان يعتبر الاله الاكبر اله الشمس عندهم، كما عبده من القبائل العربية قبل الاسلام بنو الحارث بن يشكر الازديون، وكما عبده ايضاً قبيلة دوس .انظر ابن الكعبي/الاصنام/ص٣٨ ؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص١٩٠

(٢) النابغة الذبياني/الديوان/ص٤٩

(٣) النابغة الذبياني/م.ن/ص٤٩ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١/٤٤٣

(٤) ابن منظور/م.ن/١/٣٣٤

(٥) جواد علي/المفصل/١٠٢/٥

(٦) علي ابراهيم حسن/التاريخ الاسلامي العام/ص١٢٧

(٧) ابن منظور/المصدر السابق/١/٤٤٣ ؛ القلقشندي/صبح الاعشى/٢/١٥٠

بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجوا الاله بما سدى وصنعاً^(١)

كما يوجد هناك اعياد اخرى للنصارى عرفت عندهم^(٢)، كما عرف اليهود في جزيرة العرب قبل الاسلام بعض الاعياد ، وقد اشار الحديث النبوي الشريف الى احد اعيادهم "حيث كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ويتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشاراتهم..."^(٣) ، فقد جاء الرسول (ﷺ) الى المدينة وكان اليهود عندهم عادة التعيد والتزيين والصوم في يوم عاشوراء فخالفهم فيه الرسول (ﷺ) وكانت الاعياد اليهودية تعتبر من الاعمال الدينية ، ولم يكونوا يشتغلون بها اذ يرون في الخروج عليها خروجاً عن الدين الذي منعهم من الاشتغال في ايام السبت والاعياد وحتم عليهم وجوب مراعاة حرمة تلك الايام مراعاة تامة ، ومن أعياد اليهود التي عرفت قبل الاسلام عيد رأس السنة وعيد الصوم الكبير (الكبور) وعيد (المظال) واعياد اخرى^(٤).

٢- المأكولات والمشروبات :

أ- الطعام:

لقد كان الطعام عند العرب قبل الاسلام متبايناً ويتناسب مع البيئة ، فقد كان طعامهم قاصراً على الالبان وما يستخرج منها كالسمن والزبدة والجبن ، ومن التمر والحبوب واللحوم ياكلونها على ابسط ما يكون من احوالها ، وهذا فعل اهل البادية وكان اكثر البانهم ولحومهم من الابل كما انهم قد يصنعون بعض انواع الاطعمة التي تتركب من نسب معينة من اللحم واللبن والخبز وهذا طعام اهل اليسار منهم، اما الفقراء، فكانوا اذا لم يحبوا ما يأكلونه ربما اكلوا الاعشاب النباتية وفي السنوات العجاف ياكلون وبر الابل اذا وجد وهو (العلهز) او الحيات والعقارب، كما انهم ياكلون أي شيء يقع تحت ايديهم ، كما ربطوا حجر المجاعة على بطونهم اذا زاد بهم الجوع^(٥).

(١) الاعشى / الديوان/ص ١٦١ ؛ الفراهيدي/العين/٣/١٢١

(٢) انظر جواد علي/المفصل/٥/١٠٤

(٣) مسلم / الصحيح/٣/١٥٠

(٤) للتفصيل عن ذلك راجع: جواد علي/المصدر السابق/٥/١٠٢-١٠٣

(٥) جرجي زيدان/م.ن/٥/٧٧ ؛ عبد المنعم ماجد/التاريخ السياسي للدولة العربية/١/٦١-٦٢ ؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٦٠

الا ان الصحيحين يذكran لنا بعض انواع هذه الاطعمة ، فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله "بأنه نهى عن اكل اللحوم الحمر الاهلية"^(١)، فقد اكل العرب قبل الاسلام لحوم الحمر الاهلية، و نهى الاسلام عن اكلها لما في ذلك من ضرر^(٢)، كما يذكر لنا الحديث النبوي الشريف أن الرسول (ﷺ) لم يأكل لحم الضب ، وقال عنه "ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجذني اعافه"^(٣) ، وهذا يدل على ان العرب قد اكلت لحم الضب، كما يدل ايضاً على ان بعض القبائل قد عافت اكل لحوم الضب وبعض الحيوانات^(٤)، فلم يكن الطعام واحداً عند جميع القبائل العربية فقد تختلف الاطعمة من مدينة لاخرى ومن شعب لآخر كما هو اليوم، كما أورد لنا الحديث النبوي الشريف عن اكل العرب قبل الاسلام للحوم السباع، وقد نهى عن ذلك الرسول (ﷺ) "بنهيه عن اكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير"^(٥)، فقد كان مذهباً من مذاهبهم انهم كانوا يرون ان اكل لحوم السباع تزيد في الشجاعة والقوة، وهذا مذهب طبي والاطباء يعتقدونه ، وقال بعض الاعراب وقد أكل فؤاد الاسد ليكون شجاعاً فعدا عليه نمر فجرحه فقال:

أكلت من الليث الهصور فؤاده لاصبح اجرى منه قلباً وأقداً
فأدرك مني ثأره بأبن اخته فبالك ثأراً ما أشد واعظماً^(٦)

وكان العرب قبل الاسلام يعتقدون ان اكل لحوم السباع تزيد في شجاعتهم وقوتهم وجراتهم على الاقدام، فاذا ما اكل احدهم من السبع شيء وخاصة الاسود فنه يصبح مثلها قوياً .

(١) البخاري/الصحيح/٥/٦٣ ، ٦/٢٣٠، ٢١٧ ؛ مسلم /الصحيح/٦/٦٦، ٣٣

(٢) جواد علي/المفصل/٥/٦٠

(٣) مسلم /المصدر السابق/٦/٦٦ ، ٦٨

(٤) جواد علي/المصدر السابق/٥/٦٠، ٧/٧٥

(٥) البخاري/المصدر السابق/٦/٢٣ ؛ مسلم/المصدر السابق/٦/٦٠

(٦) ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١٩/٤٠٢

هذا وقد عرف العرب أيضاً أنواعاً مختلفة من الاطعمة الاخرى المركبة^(١). كما قلنا سابقاً ، كما عرفوا أيضاً بأقامة الموائد للاطعمة في المناسبات الاجتماعية الخاصة والعامة^(٢).

ب- شرب الخمر:

من العادات الاجتماعية التي كانت عند العرب قبل الاسلام شرب الخمر وقد ذكر في صحيح مسلم، نهي النبي (ﷺ) عنها حيث قال .. ان الله تعالى حرم الخمر فمن ادركته هذه الاية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع...^(٣) وقال ايضاً (ﷺ) "ولا تشربوا مسكراً"^(٤) وكانت عادة شرب الخمر عند العرب قبل الاسلام من أشد واثق العادات الاجتماعية عندهم^(٥) ولشدة ولع العرب بها وحبهم وشربهم لها يقول انس (رض) "حُرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر"^(٦)، حتى ان من شدة تعلق العرب قبل الاسلام بالخمر فأن تحريمها كان بالتدرج ونوازل كثيرة ، لانهم كانوا مولعين بها^(٧).

فمن شدة تعلق العرب بالخمور ، حتى انها كانت تقدم في الاحتفالات الدينية، فقد ذكر الدكتور صالح العلي عن عبادة الانباط للاله الشمس فيقول "وانهم كانوا يقيمون له في عيده

(١) فمن اطعمة العرب المركبة من اللحم واللبن والخبز والدقيق والعسل، الرغيدة، والحررة ، والسخينة، والشقيقة، والربيكة والعبثية وغيرها. لتفاصيل اكثر انظر : ابن عبد ربه/العقد الفريد/٦/٢٩١-٢٩٢ ؛ جواد علي/المفصل/٧/٥٧١-٥٨٢

(٢) ومن انواع موائد الاطعمة التي كان العرب هي : طعام العرس الوليمة ، وطعام الولادة الخرس ، وطعام الختان الاعذار ، وطعام البناء الوكيرة ، وغيرها لمزيد من المعلومات أنظر : ابن قتيبة /ادب الكاتب/ص١٧٦-١٧٧ ؛ ماجد عبد الحميد/المائدة انواعها ورسومها واهميتها في صدر الاسلام والعصر الاموي/ص١١-٦٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١.

(٣) مسلم /الصحيح/٤٠/٥

(٤) مسلم /م.ن/٣/٦٥

(٥) شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص٧٠

(٦) النويري/نهاية الادب/٤/٨٠

(٧) فقد ذكر القرطبي بأن اول ما نزل بها في القرآن في سورة البقرة /اية ٢١٩/قوله تعالى "يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنفع للناس واثمها اكبر من نفعهما " وبعد انزل قوله تعالى في سورة المائدة/اية ٩٠ / "وانما الخمر والميسر والانصاف والالزام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" ، ثم نزل تحريمها قطعاً بعدها بأية "انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون"/القرطبي/التفسير/٦/١٧٣

احتفالات خاصة يشربون فيها الخمر"، كما كانت أيضاً عند العرب في تدمير حيث كانت تقام عادة حفلات دينية فخمة في بعض الاعياد، تشرب فيها الخمر^(١).

وقد تباهى العرب وافتخروا بها في اشعارهم، فهناك من افتخر بشربها وسبائها أي شرائها وقد كانت العرب تفتخر بشرائها ، وتضيفه الى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها وشاهد ذلك قول امرئ القيس:

كاني لم أركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل فبالك ثاراً ما أشد واعظما^(٢)

وقد جعلها بعض العرب كل شيء في حياته واستغنى بالخمرة عن اللذائذ الاخرى كقول
سحيم بن دثيل الرياحي :

ويحك لولا الخمر لم احفل العيش ولا ان يضـمني لـحـد
هي الحياة والحياة واللهو لا انت ولا ثـروة ولا ولـد^(٣)

كما يجعلها بعضهم من صفات الفتى الثلاث المشهورة عند العرب قبل الاسلام وهي الخمر
والفروسية والشجاعة ، والتمتع بالنساء، ويجعل شرب الخمر الاولى منهن وذلك كقول طرفة :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سيق العاذلات بشرية كُـميت، متى ما تعل بالماء تزبد^(٤)

وقد ذكر لنا ابي الفداء، عن شدة حب وتعلق العرب بالخمرة ،مَنْ شربها صرفاً حتى مات بقوله
"فلما أسن زهير الكاهن لصحة رأيه ، فإنه شرب الخمر صرفاً حتى مات، وقال ابن الاثير ومن

(١) صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب/ص ١٤ ، ٥٣

(٢) ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١٩/٤٠٢

(٣) الجاحظ/البيان والتبيين/٣/٣٠٥ ؛ علي سليمان/الشعر الجاهلي واثره في تغيير الواقع/ص ٧٢

(٤) طرفة بن العبد/الديوان/ص ٣٢ ؛ الخطيب البتريزي/شرح المعلمات العشر/ص ١١١ ؛ شوقي ضيف/العصر

الجاهلي/ص ٧١ ؛ العاذلة اللائمة ، الكميت : الخمر/الخطيب البتريزي/م/ن/ص ١١١

شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي ، وابو عامر ملاعب الاسنة العامري^(١) ، وربما ايضاً ادت الخمر الى القضاء على صاحبها وقتله مثلما فعلت مع المنخل اليشكري، وهو احد شعراء الجاهلية وكان ينادم النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فغضب عليه النعمان واتهمه بزوجه، فامر بقتله سنة (٥٩٧م) ، بأبيات شعر قالها ومنها :

ولقد شربت الخمر بالخيـل	الاثـناث وبـالذـكـور
فـاذا سـكـرت فـانـي	رب الخورنـق والسـدير
واذا صـحوت فـانـي	رب الشـوـهة والبـعير
يـارب يـومٍ لـلـمـنـخـل	قـدلـها فـيـه تصـير ^(٢)

والى جانب تعلق العرب وشدة حبهم لشرب الخمر ، فقد كان هناك منهم من حرّمها على نفسه وتركها لسوء فعلها به مثل عبد المطلب بن هاشم ، وعبد الله بن جدعان التميمي، وقيس بن عاصم المنقري وعامر بن الظرب العدواني ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة المخزومي وغيرهم^(٣)، كما كان الخليفتان ابو بكر وعثمان (رض) قد تركا شرب الخمر قبل مجيء الاسلام^(٤). ويذكر لنا الحديث الشريف ايضاً أنواع الخمور التي كانت عند العرب قبل الاسلام فعن ابي موسى قال "بعثني النبي (ﷺ) انا ومعاذ بن جبل الى اليمن فقلت يارسول الله ان شراباً يصنع بأرضنا يقال له المزّر من الشعير وشراب يقال له البتع من العسل ، فقال كل مكسر حرام"^(٥) ، وفي حديث انس بن مالك قال " لقد حرمت الخمر وكانت عامة خمورهم يومئذ خليط البسر

(١) ابي الفدا / المختصر في اخبار الشر/ ٧٦/١

(٢) الجاحظ/البيان والتبيين/ ٣٠٧/٣ ؛ ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٤٠٤-٤٠٥ ؛ الا ان في رواية ابن قتيبة تميم ايضاً بامرأة عمرو بن هند وقد قتله عمرو بن هند

(٣) انظر عنهم : ابن حبيب/المحبر/ص ٢٣٧-٢٣٨ ؛ ابو الفرج الاصفهاني/الاعاني/٨/٥ ؛ القالي/الامالي/١/٢٤٨-

٢٤٩ ؛ النويري/نهاية الادب في فنون الادب/٤/٨٨-٨٩

(٤) النويري/م.ن/٤/٨٨ ؛ السيوطي/تاريخ الخلفاء/ص ٣٢

(٥) مسلم/الصحيح/٦/٩٩

والتمر^(٢). فالحديث الاول يخبرنا عن اهل اليمن كان لهم شراب يُدعى المزر وهو من الشعير او الحبوب^(٣)، وكذلك كان عندهم البتع، وهو من العسل وهي الخمر اليمانية^(٤)، اما حديث مالك فهو عن خمر اهل لمدينة من البسر والتمر، وذلك لان لمدينة ارض زراعية يكثر فيها النخيل والتمر، وكان يقال لخمر التمر البتع والفضيخ^(٥).

٣ - اللباس والزينة :

لقد ذكر لنا الصحيحان في احاديثهما ، بعض انواع الملابس والزينة عند العرب قبل الاسلام وقد تباينت الملابس عندهم بتباين المنزلة والمكانة للشخص والتي سنبينها فيما يلي ، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) " أنه نهى عن اشتمال الصماء، وان يُحتبى الرجل في ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء"^(٦)، فقد كانوا يشتملون بالصماء، أي يرمي طرفي الثوب على شقه الايمن فيصير جانبه الايسر مكشوفاً ليس عليه من الغطاء شيء فتنكشف عورته اذا لم يكن عليه ثوب آخر فاذا خالف بين طرفي الثوب الذي لبسه واشتمل به لم يكن صماء^(٧)، ويبدو ان هذا النوع من الملابس كان يختص بالفقراء منهم، او العرب البدو العارقي في البداوة^(٨)، وقد ذكر لنا الصحيحان في احاديثهما النبوية انواعاً اخرى من الالبسة العربية قبل الاسلام، فقد جاء عن النبي (ﷺ) "أنه نهى عن المياثر الحمر والقسي ولبس الحرير"^(٩). فاما القسي فهي نسبة الى بلدة في مصر يقال لها القس^(١٠)، او انها بالزاي لا بالسين نسبة الى القز وهو الحرير، والقسي ثياب

(٢) مسلم/م.ن/ ٨٨/٦

(٣) ابن عبد ربه/العقد الفريد/٣٥٦/٦ ؛ ابن منظور/لسان العرب/٣٥٥/٤

(٤) ابن عبد ربه /م.ن/٣٥٥/٦ ؛ ابن سيده/المخصص/٨٤/٩

(٥) ابن عبد ربه /المصدر السابق/٣٥٥/٦ ؛ كما كان هناك عدة انواع من الخمور التي كانت موجودة عند العرب فالى جانب هذه الانواع التي ذكرها لنا الحديث واشربنا اليها كان هناك ، خمر اهل فارس من العنب ، وخمر الحبشة الشكركة وهي الذرة، كما كان يصنع الخمر من خمسة اشياء من البر والشعير والتمر والزبيب والعسل/ابن عبد ربه/المصدر السابق/٣٥٥-٣٥٦/٦ ؛ الصغاني/سبل السلام/٤/١٢٥٢/١٢٥٥

(٦) البخاري/الصحيح/٨٧/١، ٩٦

(٧) ابن حجر/فتح الباري/١٠/٢٣٥

(٨) ابن خلدون/المقدمة/ص٤٧

(٩) البخاري/الصحيح /٧/٤٦، ٤٤ ؛ مسلم/الصحيح/٦/١٣٥، وقد نهى عن لبس الحرير في الاسلام للرجال فقط لا للنساء

فهو مباح لهن . النووي/شرح مسلم/١٤/٢٧

(١٠) ياقوت/معجم البلدان/٤/٢٤٦

مضلعة أي فيها خطوط عريضة كالاضلاع والمراد بالمضلع ما نسج بعضه وترك بعضه او انها الثياب المخلوطة بالحرير^(٣)، واما الميثرة الحمراء ، فهي الفراش الواطيء والمعمول من الحرير او الديباج^(٤)، وقد لبس العرب قبل الاسلام هذه الالبسة مثل المياثر الحر والالبسة الحمراء القانية، وقد نهى النبي (ﷺ) عنها لانها كانت من زي الكفار^(٥).

كما يخبرنا الحديث في صحيح مسلم ايضاً عن ملابس اخرى للعرب ، فقد جاء عنه (ﷺ) انه "نهى ان يتزعفر الرجل"^(٦). فقد كان العرب يلبسون الثياب المصبغة وذكر ان ساداتهم كانوا يصبغون ثيابهم بالزعفران وان من الذين صبغوا اثيابهم بالزعفران عامر بن جشم ذي المجاسد اليشكري حكيم العرب وفتيها آنذاك^(٧)، وهذه الملابس تبدو من ملابس اشراف القوم واغنيائهم، وكانوا يلبسونها ويتجملون بها في افراحهم ومناسباتهم الخاصة، كما كانوا يتباهون بكثرة الملابس عندهم واطهار الالبهة والعظمة وخاصة رؤوسائهم واغنيائهم، فقد ضرب المثل في ابهة الملابس عند العرب بعمر بن مز يقياء، حتى قيل "اعظم في نفسه من ابن مز يقياء"^(٨)، كما قيل بحقه:

تمزق كلما امسى ثياب عليه وتسجد له ثياب^(٩)
فقد كان الاغنياء ، والشباب منهم يبالغون في البستهم فكان منهم من يُسمر بثوبه ومنهم من يسبله ويتركه يجر في الارض ومنهم من يبالغ في رداءه خيلاء ونبهاً وتكبراً، وبهذا يقول امرؤ القيس واصفاً :

خرجت بها نمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل^(١٠)

(٣) ابن حجر/فتح الباري/١٠/٢٤٦

(٤) ابن حجر/م.ن/١٠/٢٤٧.

(٥) ابن حجر/المصدر السابق/١٠/٢٤٧ ؛ جواد علي/المفصل/٥/٥٥

(٦) مسلم/المصدر السابق/٦/١٥٥

(٧) الزبيدي/تاج العروس/٢/٣٢٠ ؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٥

(٨) ابي الهلال العسكري/جمرة الامثال/٢/٧٨ ؛ الزمخشري/المستعطي في امثال العرب/١/٢٤٩ ؛ وابن مزقياء: هو عمرو بن عامر ماء السماء الحارث بن العظريف بن امرئ القيس بن ثعلبة من بني الازد ، ومن ولده الاوس والخزرج وملوك العناسة، وهو صاحب سيل العزم ولقب بمن يقياء لانه كان يلبس كل يوم حلة واذا امسى مزقها واستبدل غيرها.

الزركلي/الاعلام/٥/٢٤٩

(٩) ابي الهلال العسكري/م.ن/٢/٧٨ ؛ الزمخشري/م.ن/١/٢٤٩.

ونظراً لما في هذا اللبس من اثر في نفوس الفقراء لما فيه من اسراف وتبذير، فقد نهى عنه الاسلام وقد قال رسول الله (ﷺ) "لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء"^(٢).

اما في الزينة عند العرب قبل الاسلام، فقد ذكر لنا الصحيحان ان النبي (ﷺ) "قد نهى عن لبس خاتم الذهب"^(٣). فبالنسبة للرجال كان العرب قبل الاسلام يلبسون الذهب، وكانوا يصنعون من الذهب القلائد وتتشح بها النساء، كما كن يستعملن الاسورة في الرسغ والجبيرة في الساعد، والدملج في العضد والخلخال والخدمة في اسفل الساق، والاقراط في الاذن^(٤). كما عرفوا ايضاً الحلي التي ينظم فيها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت والجواهر، وفي ذلك يقول الشاعر:

وفضلاً عن أنان عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجواز الجراد مُفصل^(٥)

وفضلاً عن ذلك فقد ذكر الصحيحان ايضاً من لوازم التزيين عند نساء العرب قبل الاسلام وهي "الوشم والتنحص والتفلج والوصل"^(٦) والوشم هو العلامة ويكون باليد وذلك ان المرأة كانت تغرز ظهر كفها ومعصمها بأبرة او بمسلة حتى تؤثر فيه، ثم تحشوه بالكحل او النيل او بالنؤور وهو دخان الشحم فيزرق اثره او يخضر^(١)، وقد ذكره زهير بن ابي سلمى بقوله:

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم^(٢)

(١) امرئ القيس/الديوان/ص ٥٦؛ الزوزني/شرح المعلقات السبع/ص ٢٧؛ التبريزي/شرح المعلقات العشر/ص ٥٠؛ والمرط

المرجل: كساء عند العرب من خز او مر عري او صوف، ينقس به نقوس تشبه رجال الابل. التبريزي/م.ن/ص ٥٠

(٢) البخاري/الصحيح/٣٣/٧/مسلم/الصحيح/١٤٦/٦

(٣) البخاري/م.ن/٧/٥٤؛ مسلم/م.ن/٦/١٣٥؛ وقد نهى في الاسلام عن لبس الذهب للرجال فقط، لا النساء فهو مباح لهن/النووي/شرح مسلم/٢٧/١٤

(٤) جواد علي/المصدر السابق/٦٢-٦٤؛ علي الهاشمي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص ٨٢

(٥) ابي زيد القرشي/جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام/٢/٥٢٤

(٦) البخاري/المصدر السابق/٦٢/٧؛ مسلم/المصدر السابق/٦/١٦٥-١٦٧

(١) ابن منظور/لسان العرب/٦/١٢٤-١٢٥؛ الزبيدي/تاج العروس/٩/٩٤

(٢) زهير بن ابي سلمى/الديوان/ص ٧٤؛ ثعلب/شرح ديوان زهير/ص ٥؛ الزوزني/شرح المعلقات السبع/ص ١٣٥/النواشر:

عروق باطن اللغة/ص ٧١٥؛ الجوهري/الصاحح/٣/١٠٦٠؛ ابن منظور/م.ن/٨/٣٧٠؛ الزبيدي/م.ن/٤/٤٤٣

اما النمص وهو نتف الشعر وتنمست المرأة، اخذت شعر جبينها بخيط لتنتفه ، فالنامصة عندهم الناتفة للشعر، والمنتمصه هي التي تفعل ذلك بنفسها حتى قال الشاعر:

يا ليتها قد لبست وصواصا ونمست حاجبها تنماصا^(٣)

وقد عرفن نساء العرب قبل الاسلام بنتف الحاجب، وقد أحب العرب الحواجب المزججة الطويلة^(٤).

اما المتقلجة، فالفلج التباعد بالاسنان ما بين الثنايا والرباعيات ، والمتقلجات للحسن أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين^(٥).

اما الوصل فنظراً لما يترتب على الفرع الطويل من الحسن، فقد اطالت قصيرات الشعور منهن شعورهن بوصلة معارة^(٦)، وقد لعن النبي (ﷺ) "الواصلة والمستوصلة"^(٧) ، والوصل في الشعر ذلك ان تصل المرأة شعرها بشعر آخر زوراً ، والواصلة من النساء التي تصل شعرها بشعر غيرها والمستوصلة الطالبة لذلك وهي التي يفعل بها ذلك^(٨)، كما عرفت نساء العرب التطيب^(٩) والخضاب^(١٠) وقد تبادحت العرب قبل الاسلام بذلك^(١١).

(٣) ابن فارس/مجمل اللغة/ص ٧١٥ ؛ الجوهري/الصاح/٣/١٠٦٠ ؛ ابن منظور/المصدر السابق/٨/٣٧٠ ؛ الزبيدي/المصدر السابق/٤/٤٤٣

(٤) علي الهاشمي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص ٨٤

(٥) ابن منظور/المصدر السابق/٣/١٧١ ؛ الزبيدي/المصدر السابق/٢/٨٨

(٦) علي الهاشمي/المصدر السابق/ص ٨٤

(٧) مسلم/المصدر السابق/٦/١٦٥

(٨) ابن فارس/مجمل اللغة/ص ٧٥٣ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١٤/٢٥٣ ؛ الزبيدي/تاج العروس/٨/١٥٥

(٩) انظر: ابي زكريا البتريزي/شرح ديوان الحماسة/٤/٥٥ ؛ ويذكر فيه الكحل بقول بنت وقدان:

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا
نَّقَبَ النساءِ فبئسَ رهطُ المهرق

وكذلك يذكر لنا ابن سلام في طبقات الشعراء/ص ٧٣ ؛ قول ابي الذبال في طيب حبيته :

والمسك والزنجبيل عل به
انيا بها بعد غفلة الرصد

(١٠) والخضاب كان مستحسناً عند العرب قبل الاسلام، وقيل ان اول من خضب من اهل مكة هو عبد المطلب بن

هاشم/القلقشندي/صبح الاعشى/١/٤٣٦ ؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن الاسلامي/٥/٨٠

(١١) ابن عبد به/العقد الفريد/٦/٢٢٧ ؛ وقد تفاخر امرئ القيس بالزينة والتطيب مادحاً نساءً بقوله:

اذا التقت نحوي تضوع ريحها
نسيم الصبا جاءت بركيا القرنفل

٤- الحزن :

١- النياحة على الميت :

من العادات الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام التي اشار اليها الصحيحان، هي النياحة والبكاء على الميت فقد قال النبي (ﷺ) "أربع من امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن -وعدمنهن- النياحة"^(٥)، وفي حديث آخر قال (ﷺ) "هما بهم كفر - وعدمنها- النياحة على الميت"^(٦).
فقد كانت النياحة على الميت من الامور التي مارسها عرب قبل الاسلام^(٧)، فقد كان الاعلان على موت شخص بالبكاء، والنعي ، ويتوقف النعي والبكاء عليه على قدر منزلة الميت ودرجة اهله ومكانتهم الاجتماعية ، ويعد ذلك من وسائل التقدير والاحترام والتبجيل للميت^(٨).
ويذكر لنا الحديث النبوي ايضا الطريقة التي يباح بها على الميت وذلك بقول النبي (ﷺ) "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية"^(٩)، كما تبرء النبي (ﷺ) من "الصالقة والحالقة والشاقة"^(١٠)، فاما الصالقة فهي التي ترفع صوتها في المصائب، والحالقة التي تحلق شعرها عند المصائب والشاقة التي تشق جيبها في تلك الحال^(١١)، فقد كان من عادات العرب قبل الاسلام ضرب الخدود وشق الجيوب وخمش الوجوه والداعية بالويل والبثور والنياحة كقولهم واجبله ، واكفهاه ، واسناده^(١٢) وبما ان هذه الاعمال تعد من اعمال التبجيل والتقدير للميت ، لذلك نرى من كان يوصي قبل موته بنعيه للناس نعيًا يليق به فهذا الشاعر طرفة بن العبد يوصي ابنة اخته معبد، ان هلك فأشيعي خبر هلاكي بثنائي والبكاء والنوح وشق الجيب علي بقوله :

امرئ القيس /الديوان/ص٥٨ ؛ الخطيب البتريزي/شرح المعلقات العشر/ص٣٢

(٥) مسلم/الصحيح/٤٥/٣

(٦) مسلم/م.ن/٥٨/١

(٧) النووي/شرح مسلم/٤٩/٢

(٨) جواد علي/المفصل/٥٢/٥

(٩) البخاري/الصحيح/٨٣/٢ ، ١٦٠/٤ ؛ مسلم /المصدر السابق/٧٠/١

(١٠) مسلم/الصحيح/٧٠/١

(١١) مسلم / م.ن/٧٠/١ ؛ النووي/شرح مسلم/٩٢/٢ ؛ جواد علي /المفصل/١٥٥/٥

(١٢) النويري/المصدر السابق/٩٢/٢ ؛ ابن حجر /فتح الباري/٣/١٣٢-١٣٣

فأن مت فأنعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كأمرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي^(٤)

كما يروى ان عبد المطلب ، لما حضرته الوفاة ودنا اجله جمع بناته، وكن ست نسوة :
صفية وبرة وعاتكة وام حكيم البيضاء، وامية واروى، فقال لهن ابكين علي حتى اسمع ما تقلن قبل
ان اموت ، فأنشدته كل منهن شعراً^(٥)، وكانت النساء قبل الاسلام اذا اردن النياحة على الميت
يندبن وينحن وحتى المحجبات منهن كن يسفرن في المناحة، لان الفجيرة والحزن والنواح تحرف
المرأة عما اعتادت ان تستر وتقنع وبذلك يقول مهلهل في رثاء اخيه كليب بن وائل:

يخمش من ادم الوجوه حواسراً من بعده وبعدن بالاحزان^(٦)
وكذلك قوله ايضاً

اذا تشاء رأيت وجهاً واضحاً وذراع باكية علها برنس
تبكي عليك ولست لائم حرة تأسى عليك بعبرة وتنفس^(٧)

كما كانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فاذا أخذ بثأره بكيته^(٨) ، كما يبدو لنا
ان النياحة على الميت والبكاء عليه كان عند النساء اكثر، ان لم يكن خاصاً ، وهذا ما يؤكد لنا
الحديث الوارد عن ام عطية الانصارية حيث قالت "أخذ علينا رسول الله (ﷺ) مع البيعة الا
ننوح..."^(٩)، حيث يقول الدكتور الهاشمي "والنساء هن اكثر ما نجد في الندب والنواح على الميت
في الماتم والاحزان، وهذا ما يصوره لنا شعر الرثاء الجاهلي كمعن بن اوس وكذلك على نحو ما
نجد عند المهلهل، والربيع بن زياد، وقد ذكرت كثيرات منهن بكاءهن فيما صورنه من احزانهن ،
وذلك لان البكاء والنواح مما اختصت به النساء على مر العصور"^(١٠)، فالنساء أشجى الناس قلوباً
عند المصيبة واشدهم جزعاً على هالك لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف

(٤) طرفة بن العبد/الديوان/ص٤٣ ؛ الزوزني/شرح المعلقات السبع/ص٩٩ ؛ ابن حجر/فتح الباري/١٢٢/٣

(٥) ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٩٥

(٦) التبريزي/شرح الحماسة/٢/١٩٧؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٣٧٢

(٧) التبريزي/م/ن/٢/١٩٧؛ احمد الحوفي/م/ن/ص٣٧٣

(٨) الابشيهي/المستطرف/٢/١٠ ؛ جواد علي/المفصل/٥/١٥٦

(٩) مسلم /الصحيح/٣/٤٦

(١٠) علي الهاشمي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٢٨٧-٢٨٨ ؛ وكذلك نفس الرأي عند جواد علي/المصدر السابق/٥/١٥٥

العزيمة وعلى شدة الجزع بينى الرثاء^(٤). فقد بكت الخنساء وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، اخاها صخراً حتى عميت ، وانها كانت تقف بالموسم ، وتعظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد واخويها صخر ومعاوية ابني عمرو ، وتنشدهم فتبكي الناس^(٥) ، كذلك أشتهرت ليلي الاخيلية برثائها لتوبة بن حميد العقيلي في شعرها^(٦) ، وقد بكت صفية بنت عمرو الباهلية اخاها طويلاً ، حتى صارت ممن تعرف بشعر الرثاء ، وكن النساء يندبن ويكيبن قتلاهن ويروين شعراً في رثاءهم وذلك تذكيراً لبطولتهم وشجاعتهم او لنجدتهم وكرمهم او لشهرتهم او أي خلة او صفة حميدة كان يتمتع بها المقتول ، حتى صار الرثاء اكثر فنون الشعر النسوية في العصر الجاهلي^(٧).

ويجتمع النسوة اياماً لندب الميت وذكر مناقبه ، وتقوم بذلك نادبات متهنات او غيرهن ممن رزقن موهبة القول في مثل هذه الاحوال من افراد الاسرة او القبيلة او الحي او القرية ، وقد يمتد نعي الميت ورثاؤه حولاً كاملاً ، وهي مدة عزاء اهل الجاهلية ، فاذا انتهى الحول وقد يكون البكاء الذي يستحقه الميت عند اقرباؤه عن الاستمرار في بكائه الا في المناسبات ، وفي هذا يقول احد شعرائهم لابنيتة :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما من يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر^(١)

ويذكر لنا صحيح مسلم ايضاً عن عادة كانت عند نساء العرب قبل الاسلام الا وهي الاسعاد في النياحة ، وذلك "يقول ام عطية الانصارية، لرسول الله (ﷺ) عندما نزلت الاية يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة فقلت يارسول الله الا

(٤) ابن رشيق/العمدة/٢/١٥٣ ؛ الاب لويس شيخو/رياض الادب في مراثي شواعر العرب/١/١ ؛ علي الهاشمي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص ٢٨٨

(٥) ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٣٤٥-٣٤٦

(٦) ابن قتيبة/م.ن/١/٤٥٠ ؛ المبرد/الكامل/٤/٤٠-٤١

(٧) علي الهاشمي/المصدر السابق/ص ٢٩٠ ؛ ولمزيد من المعلومات حول شعر الرثاء النسوي انظر: لويس

شيخور/المصدر السابق/الجزء الاول ؛ الخنساء/الديوان/ص ٣٠، ٢٠، ١٦، ١٤، ١٣-٤٠ ، فما بعدها

(١) لبید بن ربیعۃ/الديوان/ص ١٢٦ ؛ جواد علي /المفصل/٥/١٥٤-١٥٥

آل فلان فانهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا يُدلي من أن أسعدهم" (٢). والاسعاد هو المعاونة والمساعدة، ولا تستعمل هذه المعونة الا في البكاء والنوح (٣)، وكانت النساء قبل الاسلام ، تقوم بالاسعاد في المناحات فتقوم المرأة فتقوم معها اخرى من جاراتها اذا أصيبت احداهن بمصيبة فيمن يعز عليها بكت حولاً ، واسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها فيجتمعن معها في عداد النياحة واورقاتها ويتابعنها ويساعدنها ما دامت تتوح عليه وتبكيه، فاذا أصيبت صواحباتها بعد ذلك بمصيبة اسعدتهن (٤)، كما فعلت اسماء اخت كليب بن وائل حيث تطلب اسعادها في النياحة والندب على اخيها كليب عندما قتل بقولها:

أسعدوني اخوتي ثم اندبوا سداً كان فخار المحفل (٥)
فيقمن النساء ياسعادها وذلك كعادتهن التي كانوا عليها، فهي النبي (ﷺ) عن هذا الاسعاد (٦).

وقد احترم العرب قبل الاسلام الموت والميت ، فعن عائشة (رض) قالت "كان اهل الجاهلية يقومون لها أي الجنازة - ويقولون اذا راوها كنت في اهلك ما انت مرتين" (١). وقد كان اهل الميت واقرباؤه واصدقاؤه يسيرون امام الجنازة وخلفها الى المقبرة (٢)، وقد كانت النساء قبل الاسلام يعفرن رؤوسهن بالتراب وبالرماد والطين ويلطمن خدودهن بايديهن، كما يلطخن رؤوسهن بالطين ويسرن مه الجنازة اظهاراً للحزن والجزع على الفقيد ، وترافقهن النادبات والمولولات ، بندين الميت ويولون عليه ، ويسرن حافيات مبالغة في اظهار الحزن (٣) ، وقد نهى النبي (ﷺ) عن اتباع النساء للجناز (٤)، وذلك كونها لا تتاسب الحشمة والحياء للمرأة، كما كن يفعلن قبل الاسلام.

(٢) مسلم/الصحيح/٤٦/٣

(٣) الفراهيدي/العين/٣٢٣/١ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١٩٨/٤ ؛ الجوهري/الصاحح/٤٨٤/١ ؛ وانظر قول الخنساء في

رثاء صخر: الا يا عين ويحك اسعديني فقد عظمت مصيبة وجلت/الديوان/ص ٢٠

(٤) الزبيدي/تاج العروس/٣٧٩/٢

(٥) لويس شيخو/رياض الادب/٧/١

(٦) الزبيدي/المصدر السابق/٣٧٩/٢

(١) البخاري/الصحيح/٢٣٥/٤

(٢) العيني/عمدة القارئ/٢٩٣/١٦ ؛ جواد علي /المفصل/١٥٦/٥

(٣) جواد علي/م.ن/٥٦/٥

(٤) مسلم/الصحيح/٤٧/٣

هذا وقد عرف العرب قبل الاسلام تجهيز الميت ، فقد كانوا يغسلون امواتهم فلما مات عبد المطلب، اعظمت قريش موته وُغسل بالماء والسدر وكانت قريش اول من غسل الموتى بالسدر^(٥)، وكذلك غسل العرب موتاهم بالخطمي والاشنان، وما شابه ذلك من مواد لازالة الاوساخ عن جسم الميت وتطهيره^(٦). كما كانوا يكفنونهم ويطيبونهم ، فقد كان عطر المشم هو احد العطور التي يضعوها عند اشتداد القتال والقتل^(٧)، وقد ذكره زهير بن ابي سلمى بقوله :

تدار كتما عيس وذييان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم^(٨)
كما ذكر طيب الحنوط عند عبيد بن الابرص بقوله :
صبراً على ما كان من حلفاءنا مسك وغسل في الرؤوس يشيب^(٩)

وقد وضع الطيب مع الكفن ليطيب الميت ، وقد كان الاغنياء من العرب يكفنون موتاهم بالالبسة الغالية وذلك لتقديرهم ومكانتهم، وقد لف عبد المطلب، في خلتين بما نيتين ثنيتين^(١٠)، كما كان العرب يصلون على امواتهم وذلك بذكر مناقبهم، فقد كانت صلاتهم اذا مات الرجل حمل على سريره ، ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفن، ثم يقول: عليك رحمة الله وبركاته، فقد قال رجل من كلب في الجاهلية لابن له:

أعمرو ان هلكت وكنتُ حياً فأنني مكثر لك في صلاتي
واجعل نصف مالي لابن سام حيّاتي ان حييت وفي مماتي^(١١)

فهذا يدل على انهم كانوا يقومون بصلاة على امواتهم وهي ذكر المحاسن والثناء على الميت. ومن ثم يدفنونهم في القبور وذلك بأن يوارى الميت في حفرة ثم يهال التراب عليه^(١٢).

(٥) ابن حبيب/المحبر/ص ٣١٩ ؛ اليعقوبي/التاريخ/١٣/٢

(٦) جواد علي/المصدر السابق/١٥٧/٥

(٧) البكري/فصل المقال في شرح الامثال/ص ٤٨٥ ؛ ابن منظور /لسان العرب/١٢/٥٧٧

(٨) زهير بن ابي سلمى/الديوان/ص ٧٩ ؛ ثعلب/شرح ديوان زهير/ص ١٥ ؛ الخطيب البشيري/شرح المعلقات العشر/ص ١٤٢

(٩) عبيد بن الابرص /الديوان/ص ٣٦

(١٠) ابن حبيب/المحبر/ص ٣٢١ ؛ اليعقوبي/التاريخ/١٠/٢

(١١) ابن حبيب/م/ن/ص ٣٢٠-٣٢١ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٩

ب- بناء القبور

لقد اخبرنا صحيح مسلم، عن عادة كان يمارسها العرب قبل الاسلام لامواتهم وهي بناء القبور، فقد روي عن الرسول (ﷺ) " انه نهى ان يُحصص القبر وان يُعقد عليه وان يبنى عليه" (٤)، فقد كان العرب قبل الاسلام اذا دفنوا الميت وخاصة اذ كان من اشرفهم جصصوا قبره وبنوا عليه، وكتب على قبره وبنوا عليه، وكتب على قبره اسم صاحبه وما يناسب المقام (٥).

وكانوا يبنون البيوت والابنية فوق القبور، فقد نادى الشاعر لبيد للذي يبنى قبر ابن عمه بان يضعف من سمك القبر وان يرفع الحائط او السقف حتى يكون هناك متسع من فضاء فوق القبر (٦)، وقد كان على قبر كليب التغلبي قبة رفيعة (٧)، كما كانت على قبر (أبي احيحة) قبة مشرفة (٨)، وقد عظم العرب قبل الاسلام قبور سادتهم ورؤسائهم فكانوا يزورونها وقد بلغ من بعضهم ان جعلها حمى وملاذاً ، فمن دخل اليها امن ومن لجأ اليها وكان محتاجاً قُضى حاجته، ومن طلب العون واستغاث بصاحب القبر أغيث (٩)، كأستجارة ابي البحتري عند قبر حاتم الطائي لاضافته ولارجاع ناقته فأستجير وقضيت حاجته (١٠) ، ولعل سبب نهى النبي (ﷺ) عن هذا الفعل الذي كان يمارس قبل الاسلام الى تقديس اهل الجاهلية لتلك القبور كتقديسهم للوثان وتقريبهم اليها (١١).

اما قبور الاعراب والفقراء عامة الناس ، فهي بسيطة ، حفرة تحفر في الارض يوارى فيها الميت ، ثم يهال عليه التراب او الرمال او الحجارة حسب طبيعة الارض فتكون قبر ذلك الميت

(٣) جواد علي/المصدر السابق/١٦١/٥

(٤) مسلم/الصحيح/٦٢/٣

(٥) جواد علي/المفصل/٦١/٥

(٦) لبيد بن ربيعة/شرح ديوان لبيد/ص ٢٩٢

(٧) احمد جاء المولى بك/ايام العرب/ص ١٦٥

(٨) البلاذري/انساب الاشراف/١/١٤٢ ؛ وابي احيحة: هو سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس القرشي رسمي ايضاً ذو العمامة فكان اذا اعتم بمكة لم يعتم معه احد/الزركلي/الاعلام/٣/١٤٨

(٩) تقي الدين الدباغ/الفكر الديني القديم/ص ١٦٠-١٦١

(١٠) انظر القصة: ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٢٤٩ ؛ ابن عبد ربة/العقد الفريد/١/٢٨٩-٢٩٠ ؛ المسعودي/مروج

الذهب/٢/١٧٢ ؛ القالي/ذيل الامالي/ص ١٧٣ ، الاب لويس شيخو/شعراء النصرانية قبل الاسلام/ق ١/١٠٤

(١١) جواد علي/المفصل/١٦٩/٥

وقد يسوى القبر بالارض فلا تظهر آثاره ولا تبرز معالمه ، وقد وُفِع التراب بعض الشيء ليكون علامة عليه، وقد توضع عصي او احجار فوقه لتكون إشارة تشير الى مكانه، وليس في امكان الاعراب النازلين في البوادي البعيدة عن الحضر، فعل غير ذلك، لاسيما اذا كان الموت قد وقع حين نزول القبيلة في ارض جاءت اليها في الموسم لترعى العُشب، او في اثناء التنقل فانها لا تستطيع ان تصنع قبراً لميتها غير هذا القبر^(٥).

وكانت هناك عادة عند العرب قبل الاسلام الا وهي عقر الابل على القبور ، وقد اختلف في سبب هذا العقر على القبر، فقال قوم: انما كان يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الابل في حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول الشاعر:

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذباح

فهذا يفسر ظاهرة الكرم وجذورها العقائدية في العصر الجاهلي، ووجه آخر يفسر هذه الظاهرة فقد قال قوم انما كانوا ينحرون الابل اعظاماً للميت، كما كانوا يذبحون للاصنام، كأنها بقايا من عبادة الموتى^(١). ويخبرنا الحديث النبوي الشريف عن نهي النبي (ﷺ) عن قتل البهائم عند القبور وذلك بصبرها^(٢). وتؤكد لنا الروايات التاريخية ان هذا الفعل أي صبر البهائم وقتلها كان سبب عقائدي ديني بحت ، وهو النظر الى الآخرة والمبعث والحشر فقد روي ان الرجل كان اذا مات، عمدوا الى راحته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها الى يدها، ملفوفة الرأس في وليتها، فلا تعلف ولا تُسقى حتى تموت ليركبها اذا خرج من قبره وكانوا يقولون : ان لم يفعل هذا ، حُسر يوم القيامة على رجله، وكانت تلك الناقة التي يُفعل بها هذا تُسمى "البلية" والخيط الذي تُشد به (ولية) ويقول جريبة الفقعسي في ذلك :

**ياسعد اما اهلكن فاني اوصيك ان اخا الوصاة الاقرب
لا تترك اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين دينك**

(٥) جواد علي/م.ن/١٧١/٥ ؛ وقد عرف عرب الشمال في تدمير انواع كثيرة من القبور والمدافن للاطلاع عليها أنظر: شذى احمد/تدمير في القرنين الاول والثاني الميلاديين/ص١٤٤-١٤٩

(١) ابي عبيدة/ايام العرب قبل الاسلام/٢٩٥-٢٩٦ ؛ جواد علي/المفصل/١٦١/٥

(٢) مسلم/الصحيح/٧٢/٦ ؛ وصبرها : أي حبسها ليقتلها/ابن منظور/لسان العرب/٣٧/٤

واحمل اباك على بعير صالح وثق الخطيئة ان ذلك اصوب
ولعل لي حما جمعت مطية في الحشر اركبها اذ قيل اركبوا^(٣)

ولابن ابي الحديد ، تعقيب على هذه الابيات هو ان هذه الابيات لاتتعلق بالموت والحشر،
وانما هي وصية من والد الى ولده ان يعقر مطيته بعد موته اما لكيلا يركبها غيره بعد، او على
هيئة القربان كهدي المعقور بمكة كما كانوا يعقرون عند القبور^(٤)، ونحن لا نتفق مع ما ذهب اليه
ابن ابي الحديد عندما قال ان هذه الابيات ليس فيها دلالة على الحشر، كما ان هناك قسماً من
العرب قبل الاسلام من أقر بالبعث والحشر والحساب^(٥).

٥- عادات اخرى:

أ- العدوى والطيرة والهامة والصفير:

لقد اخبرنا صحيحا البخاري ومسلم عن قسم من المعتقدات الجاهلية التي كانت عند العرب
قبل الاسلام، وهي العدوى والطيرة والهامة والصفير، فقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال "لا عدوى ولا
طيرة ولا هامة ولا صفير"^(١).

فاما العدوى، فهي عدوى المرض، حيث ورد عن النبي (ﷺ) انه قال "لا تورثوا المرض
على المصح"^(٢)، وعندما قال النبي (ﷺ) لا عدوى ولا هامة ولا صفير، قال اعرابي يارسول الله فما
بال ابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها فقال رسول الله (ﷺ) فمن
أعدي الاول أما العدوى فمعناها ان المرض يتعدى من صاحبه الى من يقاربه من الاصحاء
فيمرض بذلك وكانت العرب تعتقد ذلك في امراض كثيرة منها الجرب^(٣).

(٣) ابن حبيب/المحبر/ص٣٢٣ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٥ ؛ ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١٩/٣٨٨ ،

مصطفى عبد اللطيف جياووك/الحياة والموت في الشعر الجاهلي/ص٨٦-٨٧

(٤) ابن ابي الحديد/المصدر السابق/١٩/٣٨٨-٣٨٩

(٥) انظر ابن حبيب/المصدر السابق/ص٣٢٢ ؛ الشهرستاني/المصدر السابق/٢/٢٣٦ ؛ شاکر مجيد وجواد كاظم/الحياة

العقائدية والاجتماعية عند العرب/ص٧

(١) البخاري/الصحيح/٧/٢٧ ؛ مسلم /الصحيح/٧/٣١-٣٢

(٢) البخاري/م.ن/٧/٣١

(٣) الماوردي/ادب الدنيا والدين/ص٢٣٥ ؛ ابن رجب الحنبلي/الطائف المعارف/ص٦٧

اما الطيرة ، فلغة تعني التشاؤم^(٤)، ولا تكون الا في السوء، وهي تكسر النية ، وتصدر عن الوجهة وتثني العزيمة^(٥) وكذلك تعرف بالزجر ، وهي في معنى واحد^(٦)، وقد عرف ايضاً من الزجر بانه ما يحدث عند بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر او حيوان او الفكر فيه بعد معينة ، والزجر ايضاً الاستدلال باصوات الحيوانات، وحركاتها وسائر احوالها وخاصة طيرانها على حاضر الانسان ومستقبله^(٧)، وقد كان العرب قبل الاسلام، اذا ارادوا سفراً ، او أي شيء ارادوا ان يقوموا به ، فانهم كانوا يزجرون او يثيرون الطيور او غيرها من الحيوانات، فما تيامن منها واخذ جهة اليمين سموه سانحاً ، وما تياسر منها واخذ جهة الياسر سموه بارحاً ، وما استقبلهم فهو الناطح ، والعقيد الذي ياتي من خلفهم^(٨). والعرب كانت من اعظم ما يتطيرون منه الغراب ويسمونه حاتماً لانه كتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور، كذلك على وجه التطير اذ كان اصح الطير بصراً^(٩)، وكذلك تطير العرب من الغراب للغربة اذ كان اسمه مشتقاً منها^(١٠) كما تطير العرب بالابل وسبب ذلك كونها تحمل اثقال من ارتحل وفي ذلك قال الشاعر:

زعموا بان مطيهم سبب النوى **والمؤذنيات بفرقة الاحباب**^(٤)
وكان تطير العرب قبل الاسلام بالجمل، كان اذ رأوا الجمل موقراً حملاً تشاءموا ، وان رأوه واصفاً حملة يتمنوا^(٥)، وتطير العرب ايضاً بالجراد، كما تطيروا بالعطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها^(٦).

(٤) ابن سيدة/المخصص/٢٤/١٣

(٥) ابن رشيق/العمدة/٢٥٩-٢٦٠ ؛ شاعر مجيد كاظم وجواد كاظم منشد/الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب/ص ٢١-٢٢

(٦) القلقشندي/صبح الاعشى/١/٣٩٩

(٧) احمد شوكت الشطي/مجموعة ابحاث في الحضارة العربية/ص ٥ ؛ جواد علي/المفصل/٦/٧٨٧

(٨) ابي الفرج الاصفهاني/الاجاني/٩/١٥٧ ؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد/٢/٣٠٣ ؛ الابشيهي/المستطرف/٢/٨٤ ؛ جواد علي/المفصل/٦/٧٨٩

(٩) ابن قتيبة/ادب الكاتب/ص ١٢ ؛ ابن رشيق/العمدة/٢/٢٦٠ ؛ الابشيهي/م.ن/٢/٨٤ ؛ جواد علي/م.ن/٦/٧١١.

(١٠) ابن عبد ربه/المصدر السابق/٢/٣٠٢

(١١) الابشيهي/المصدر السابق/٢/٨٤

(١٢) ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٨٠

وقد اختلف العرب قبل الاسلام في التيامن والتشاؤم في السانح والبارح، فكان اهل نجد يتشاؤمون بالبارح ويتيامنون بالسانح ، بينما اهل الحجاز وما جاءها فقد تشاءموا بالسانح ويتيامنوا بالبارح^(٧)، كما ان هنالك من العرب من لا يعتقد بالتطير ولا بهذه الاشياء كلها ، فقد قال شاعرهم:

اذا ما اردت الامر فأَمْضُ لوجهه كل لهوينا جانباً متائباً
ولا يمنعك الطير مما أردته فقد حظ في الالواح كما كنت لاقياً^(٨)

وقال آخر:

لا يمنعك من بغاء	الخير تعقاد التمام
ولا التشاؤم بالعطا	من ولا التيامن بالمقاسم
ولقد غدوت وكنت لا	اعدوا على واحد وحاتم
واذا الاشائم كالايامن	والايامن كالاشائم
قد خط ذلك في الزبو	والاوليات القدائم ^(٩)

وهناك فرق بين الفأل والطيرة التي كانت عند عرب قبل الاسلام ، فقد تفاعل الرسول (ﷺ)، ونهى عن التطير وذلك لان الفأل تقوية للعزيمة، وتحضيض على البغية ، واطماع في النية، أما الطيرة فتكسر النية وتصد عن الوجهة وتثني العزيمة^(١٠)، لذلك نهى الرسول (ﷺ) عن هذا الفعل بقوله "لا عدوى لا طيرة ولا هامة ولا صفر"^(١١).

(٦) ابن قتيبة/كتاب الجرائم/ق/١/٢٩٤ ؛ ابن رشيق/المصدر السابق/٢/٢٦٢ ؛ ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١٩/٣٧٨

(٧) ابو الفرج الاصفهاني/الاجاني/٩/١٥٧ ؛ ابن رشيق /المصدر السابق/٢/٢٦٣

(٨) ابي عبادة النجدي/الحماسة/ص٢٥٨

(٩) ابن قتيبة/عيون الاخبار/ص١٠٩ ؛ ابن رشيق/العمدة/٢/٢٦٢ ؛ ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١٩/٣٧٥

(١٠) الماوردي/دب الدنيا والدين/ص٢٣٧؛ ابن رشيق/المصدر السابق/٢/٢٥٩ ؛ ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٨٢ ؛ ولمزيد

من المعلومات انظر: شاكر مجيد كاظم وجواد كاظم منشد/الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب/ص٢١-٢٥

(١١) البخاري/ الصحيح/٧/٢٧ ؛ مسلم/الصحيح/٧/٣١

اما الهامة فأن العرب قبل الاسلام كانوا يعتقدون انه اذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثاره خرجت من رأسه هامة وهي دودة فتدور حول قبره فتقول اسقوني اسقوني فأن ادرك ثاره ذهبت والا بقيت، وكانت اليهود تزعم انها تدور حول قبره سبعة ايام ثم تذهب، في حين يعتقد قسم من العرب ان الهامة طائر من طير الليل كانه البومة وكانوا يتشاءمون بها اذا وقعت على بيت احدهم يقول نعت الي نفسي او أحد من اهل داري ، وكانو يزعمون ان عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الطائر الصدى ^(٤) وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة، والنواويس ، مصارع القتلى ويزعمون ان الهامة عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ^(٥)، وقد جسد احد الشعراء تلك المعاني بقوله:

يا عمرو لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني ^(١)

كما ان هذا الاعتقاد عند العرب قبل الاسلام يؤدي الى القول بمعرفة العرب قبل الاسلام للروح ومبدأ تناسخها، وهذا ما صرح به بعض اهل الاخبار، فيقول الشهرستاني "ومن العرب من يعتقد بالتناسخ فيقول: اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فأنصب طيراً هامة، فيرجع الى راس القبر كل مئة سنة" ^(٢)، وكذلك يذكر ابن ابي الحديد هذا بقوله "وكان من العرب من يفقد التناسخ وتنقل الارواح في الاجساد، ومن هؤلاء ارباب الهامة والتي قال عليه السلام عنهم لا دعوى ولا هامة ولا صفر" ^(٣)، وهذا مما دفع ببعض الباحثين في هذا الجانب الى القول بمعرفة العرب قبل الاسلام للروح وتناسخها بل وحتى عبادتها ^(٤)، فهذه عقيدة العرب في الهامة.

^(٤) الماوردي/المصدر السابق/ص ٢٣٥؛ ابن حجر/المصدر السابق/١٠/٢٠٦

^(٥) الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٣٧؛ الايشيهي/المستطرف /٢/٧٩؛ ابن ابي الحديد / المصدر السابق/١٩/٣٩١-

٣٩٣؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص ٧٤

^(١) الماوردي/أدب الدنيا والدين/ص ٢٣٥؛ ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١/١١٩؛ القلقندي/صبح الاعشى في صناعة الانشا/١/٤٠٤

^(٢) الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٣٧

^(٣) ابن ابي الحديد/المصدر السابق/١/١١٩

^(٤) انظر: ابراهيم عبد الرحمن محمد/الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية/ص ٥٦؛ عفيف طيارة/روح الدين الاسلامي/ص ٩١؛ ومصطفى جياووك/اثر العقائد الدينية في القيم الاجتماعية والخلقية في العصر الجاهلي/ص ١٨٨

اما الصفر، فقد تعددت فيه الآراء، ولا يكاد ان يُحدد له معنى خاص، فقد قالوا ان الصفر هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي اعدى من الجرب عندهم، فاذا ما جاع الانسان عضته^(٥)، كما قيل هي الجوع بعينه، وليس انها تعض بعد حصول الجوع، وقد قال شاعرهم :

لا تبارئ لما في القدر يرقيه ولا يعض على شرسوفة الصفر^(٦)

وكذلك قالوا المقصود بصفر وهو الشهر وما كان العرب يفعلونه في الشيء، فكانوا يحلون المحرم وبحرمون صفر مكانه^(٧)، كما قالوا ايضاً ان المقصود هو الشهر الذي كان العرب يتشاءمون منه ويقولون انه شهر مشؤوم، فكثير من الجهال. والى الآن يتشائم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه ، والتشائم بصفر هو من جنس الطيرة التي تحدثنا عنها سابقاً وكذلك الشتاء بالايام كيوم الاربعاء^(٨)، فهذه المعتقدات والافعال التي ذكرناها وهي العدوى والطيرة والهامة والصفر معتقدات كان يمارسها العرب قبل الاسلام.

ب- الصيد:

عُرف العرب قبل الاسلام باهتمامهم بالصيد وكان من وسائلهم استخدامهم للكلاب، وقد اشار الى ذلك الحديث النبوي في الصحيحين ، فقد ورد عن عدي بن حاتم الطائي (رض) بانه سأل الرسول (ﷺ) بانهم كانوا يتصيدون بالكلاب حيث قال "انا قوم نتصيد بهذه الكلاب ، فقال اذا أرسلت كلابك المعلقة وذكرت اسم الله فكل مما امسكن عليك الا ان ياكل الكلب فلا تأكل ..."^(٩) وقد غالى العرب في اقتناء الكلاب ليستعينوا بها على صيدهم^(١٠) وقد وجد من بين العرب قبل الاسلام من يقوم بتدريب الكلاب على مطاردة الغريبة واصطيادها ، كما انهم كانوا يقتنصون الحمر الوحشية والبقر والوعول والماعر الجبلي والظباء ووحوش الصحراء الاخرى^(١١)، ويعد الصيد عند العرب وسيلة للكسب ، في حين كان يمارسه الملوك وابناء الاشراف على انه اسلوب للهو

(٥) الماوردي/ المصدر السابق/ص٢٣٥؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص٧٤ ، ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٤٤ ؛

محمد كرد علي/الاسلام والحضارة العربية/١/١٢٧

(٦) ابن ابي الحديد/المصدر السابق/١٩/٣٩٣.

(٧) ابن رجب الحنبلي/المصدر السابق/ص٧٤ ؛ ابن حجر/المصدر السابق/١٠/١٤٤

(٨) ابن رجب الحنبلي/ لطائف المعارف /ص٧٤

(٩) البخاري/الصحيح/٦/٢٢١ ؛ مسلم/الصحيح/٦/٥٦

(١٠) جرجي زيدان/تاريخ التمدن الاسلامي/٥/١٥٠

(١١) يحيى الجبوري/ الجاهلية مقدمة في الحياة العربية/ص٨٧

والمرح^(٥)، اما الفرسان وذوو الشرف فما كانوا يرون الكسب الا في الغزو والفارة ولذلك فقد استندلوا التكبس بالصيد وحقروه، فهذا احد فرسان العرب عمرو بن معد يكرب الزبيدي يهجو بني زياد لانهم اهل قنص وصيد لا اهل حرب بقوله :

أبني زياد انتم في قومكم ذنب ونحن فروع أصل طيب
نصل الخميس الى الخميس وانتم بالقهر بين مربق ومكالب
حيدر عن المعروف سعى ابيهم طلب الوعول بوفضة وكلب^(٦)

ولم يكن الكلب عند العرب قبل الاسلام هو الحيوان الوحيد المستعمل للصيد وانما كان هناك من الطيور الجارحة كالباز والشاهين والعقاب^(٧) ، كما ان اهمية الكلب عند العرب لم تتوقف عند الصيد، بل له اهمية كبيرة في الحراسة واجتذاب الضيف^(٨).

(٥) يحيى الجبوري/م.ن/ص ٨٧

(٦) عمرو بن معد يكرب/الديوان/ص ٣١ ؛ الجاحظ/الحيوان/٢/٣٠٩-٣١٠

(٧) جرجي زيدان/المصدر السابق/٥/٥٠

(٨) ابن عبد ربة/العقد الفريد/١/٢٨٩ ؛ رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص ٢١٠

المبحث الرابع مآثر العرب

لقد أتصف العرب قبل الاسلام بالمآثر الكريمة والافعال الحسنة التي يُفتخر بها ، وقد ذكر لنا الصحيحان بعض من هذه المآثر التي كانت عندهم، فعن حكيم بن حزام، انه قال "يارسول الله أرأيت امور كنت اتحنث بها في الجاهلية. وفي رواية اخرى أرأيت اموراً كنت اتحنث بها في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم ، فهل فيها من اجر. فقال النبي (ﷺ) اسلمت على ما سلف من خير"^(١)، كما ذكر لنا الصحيحان عملاً حسناً آخر من اعمالهم الا وهو التكافل الاجتماعي فيما بينهم حيث جاء عن النبي (ﷺ) انه قال "ان الاشعريين اذا أرملوا في الغزو وقل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في اناء واحد بالسوية فهم مني وانا منهم"^(٢) وستتكم عن هذه الصفات على شكل نقاط كما يلي:

١ - الصدقة:

الصدقة هي البذل والعطاء، ويبدو لي انها من المصطلحات الاسلامية^(٣)، وقد استعملت هنا والمقصود بها الجود والكرم واطعام الطعام عند العرب قبل الاسلام ، وهي من اشهر صفاتهم واخص ما اتصفت به امتهم^(٤) ، فكانت سفانة بنت حاتم الطائي قد افتخرت بهذه الصفة عندما اتى بها المسلمون ضمن اسرى طيء فافتخرت بأبيها الذي كان يفك العاني ويحمي الذمار ويقرئ الضيف ، ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفش السلام فأمر رسول الله (ﷺ) باطلاق سراحها وقال "ان اباها كان يحب مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق"^(٥)، ويرجع بعض الباحثين سبب

(١) البخاري/الصحيح/٢/١١٩/٣/٣٩، ١٢١، مسلم /الصحيح/١/٧٩؛ حكيم بن حزام: هو حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزيز القرشي، ابن اخي خديجة (ع)، ولد بمكة وقالوا في الكعبة، وقد عمر كثيراً حتى قيل ١٢٠ سنة، وكان من سادات قریش في الجاهلية واسلم يوم الفتح وتوفي في المدينة عام (٥٤هـ/الزركلي/الاعلام/٢/٢٩٨)

(٢) البخاري/م.ن/٣/١١٠؛ مسلم/م.ن/٧/١٧١؛ والاشعريين: هم قبائل اليمن وهم عدة بطون ابن دريد/الاشتقاق/ص٤١٦ (٣) لقد عدها الباحث من المصطلحات الاسلامية كون معنى الصدقة يطلق على البذل والعطاء للفقراء في سبيل الله وابتغاء مرضاته. الرازي/مختار الصحاح/ص٣٥٩/ابن منظور/لسان العرب/١٢/٦٤، وكونها ايضاً استلهمت هنا عندما دخل الاسلام

(٤) غوستاف لوبون/حضارة العرب/ص٧٣

(٥) الطبري/التاريخ/٣/١١٣؛ ابو الفرج الاصفهاني/الاعاني/١٧/٢٧٩؛ عمر رضا كماله/اعلام النساء/٢/١٩٧

اشتهار العرب بهذه الصفة الى الطبيعة المحلية أي البيئة، التي تقسوا فيها عليهم في كثير من الاوقات فيضطر قوم الى طلب المعونة من اخرين او يعرجون عليهم في ظعنهم من مكان الى مكان سعياً وراء القوت ، ولذلك لعب الكرم دوراً هاماً في حياتهم^(٢) وكان افضل الجود لديهم عندما يكون هنالك جذب وعسر بالناس فهذا حاتم الطائي يقول:

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والمحمل جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب^(٣)

وقد اشتهر بين العرب قبل الاسلام بكثرة الكرم والجود وبذل المال والطعام ثلاثة تفروهم: حاتم بن عبد الله الطائي، وكعب بن مامة الايادي، وهرم بن سنان المري^(٤)، وقد ضرب المثل بهم حتى قيل "اجود من حاتم" و(اجود من كعب)^(٥)، واما هرم بن سنان المري الذي مدحه زهير بقوله :
ان البخيل ملوم حيث كان ولـ كن الجود على علاقة هرم^(٦)

وايضاً قال بحقه وبحق الحارث بن عوف:

يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم^(٧)

(٢) جرجي زيدان /تاريخ التمدن الاسلامي/ ٥/٥١ ؛ ابراهيم جمعة/مذكرات في تاريخ العرب/ص ٣٨ ؛ شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص ٦٨

(٣) حاتم الطائي/الديوان/ص ٢٣ ؛ ابن عبد بة/العقد الفريد/١/٢٣٦

(٤) الجاحظ/المحاسن والاضداد/ص ١١٥-١١٧ ؛ ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٢٤١ ؛ ابن عبد ربة/م.ن/١/٢٧٨ ؛ النويري/نهاية الادب/٣/٢٠٨ ؛ محمد رشدي/مدينة العرب في الجاهلية والاسلام/ص ٦٨ ؛ وكعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الايادي ابو داود، كريم جاهلي ضرب به المثل في الجود وحسن الجار/الزركلي/الاعلام/٦/٨٥/هرم بن سنان بن ابي حادثة بن غيظ بن مرة من غطفان بن سعد بن قيس عيلان، كان من اجود الجاهلية ، وهو الذي سعى في انتهاء الحرب بين عيسى وبيان ، وقد ذكره زهير كثيراً في شعره ، ومات هرم قبل الاسلام وهو متوجه الى النعمان في ارض بني اسد/الزركلي/م.ن/٩/٧٧

(٥) ابي الهلال العسكري/جمهرة الامثال/١/٢٣٦-٢٣٨ ؛ والواحدي/الوسيط في الامثال/ص ٦٤-٦٥ ؛ الميداني/مجمع الامثال/١/٢٥٣-٢٥٤ ؛ الزمخشري/المستقصى في امثال العرب/١/٥٣-٥٤

(٦) زهير بن ابي سلمى/الديوان/ص ٩١ ؛ ابن دريد/الاشتقاق/ص ٢٨٨ ؛ ابي هلال العسكري/م.ن/١/٢٣٨

(٧) زهير بن ابي سلمى/الديوان/ص ٧٩ ؛ ثعلب/شرح ديوان زهير/ص ١٤

اما كعب بن مامة الايادي فمن جوده روي انه آثر على نفسه وجاد بها في ركب لهم فعضشوا فأثر رفيقه بالماء وجعله يشرب نصيبه حتى اضربه العطش فمات^(٢)، اما حاتم الطائي فأخباره كثيرة وخاصة بالجدود والكرم والعطاء^(٣)، فقد كان حاتم اذا اهل الشهر الاصم وهو رجب الذي كانت تعظمه العرب قبل الاسلام نحر كل يوم عشرة من الابل فأطعم الناس واجتمعوا اليه^(٤) كما كان يفتخر باطعامه اطيب اللحم بقوله:

الم تعلمي اني اذا الضيف نابني وعز القرى اقري السديف المسرهدا^(٥)

كما تتنافس اشراف مكة على الكرم وخسن اضافة الحبيج والطعام وبذل الاموال فيه ، فقد كان هاشم يطعم الحجاج في كل موسم ن كما كان عبد المطلب اول من جهز الحجاج بالماء العذب ، كما كان يمزجه بالزبيب، وكان سويد الجرهمي اول من اعطى الحجاج الحليب ليشربوا، كما اعطى ابو امية بن المغيرة المخزومي الحجاج عسلاً^(٦)، كما اشتهر عبد الله بن جدعان بن عمرو السيلال التميمي في مكة قبل الاسلام باطعام المساكين والضيافة والكرم ، فعن عائشة (رض) انها قالت " كان ابن جدعان في الجاهلية يطعم المسكين..."^(٧)، وقد روي عن كرم ابن جدعان ، ان رسول الله (ﷺ) كان يستظل بظل جفنته ، وكان المنادي ينادي الا من اراد اللحم والشحم فليأت الى دار بن جدعان^(٨) كما كان من كثرة بذله وعطاءه فان قومه لما كبر قاموا بالسيطرة على امواله ومنعوه من التصرف بها خشية اتلافها ، فكان اذا ساله سائل قال : كن مني قريباً اذا جلست فاني سألظمك ، فلا ترضى الا بأن تلظمني بلظمتك او تقتدي لظمتك بفداء ترغبه وترضاه وله يقول الشاعر:

(٢) الجاحظ/المحاسن والاضداد/ص ١١٧ ؛ النويري/نهاية الارذب/٣/٢٠٨

(٣) لمزيد من الاطلاع على اخبار حاتم وجوده وكرمه انظر: ابن الكلبي/كتاب ديوان حاتم واختياره ، وكذلك انظر ديوان شعره فتسجد اكثر شعره بالجدود والكرم ، وانظر ابي الفرج الاصفهاني/الاعاني/١٦/٩٤ فما بعدها

(٤) القالي/ذيل الامالي/ص ١٧٠

(٥) حاتم الطائي/الديوان/ص ٣٣ ؛ ابن الكلبي/المصدر السابق/ص ٢٣١ ؛ والسديف:شحم سنام البعير وهو اطيب لحمه ، المسرهد: المقطع/الديوان/ص ٣٣

(٦) ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٥٧ ؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/١/٣٢ ؛ كستر/الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية/ص ٥٥-٥٦

(٧) مسلم /الصحيح/١/١٣٦

(٨) الفاسي/شفاء الغرام/٢/١٠٤ ؛ السهيلي/الروض الانف/١/١٥٨

والذي ان اشار نحوك لظماً تباع اللطم نائل وعطاء^(١)

ولم يكن الكرم والبذل والعطاء قبل لاسلام مقتصرأ على الرجال فقط بل ايضاً النساء ، ومن اللاتي اشتهرن بهذا منهن غنية بنت عفيف بن عمرو بن احزم، ام حاتم الطائي ، فقد كانت من اسخى الناس واقراهم للضيف وكانت لا تمسك شيئاً تملكه، حتى لامها اخوتها على هذا البذل ومنعوها^(٢)، ويعترف العرب بأن حاتم الطائي ورث الجود من امه^(٣)، كما اشتهرت ابنته سفانة بالكرم ايضاً^(٤).

٢- العتاقة :

العتاقة من العتق وهي الحرية^(٥)، وعرف العرب العتق منذ ان عرفوا الرق^(٦)، وفي الحديث الشريف عن حكيم بن حزام "انه اعتق في الجاهلية مائة رقبة"^(٧). وقد كان العرب قبل الاسلام يعتقدون لاسباب ودوافع مختلفة ، منها الكرم كما فعل حاتم الطائي مع عبده حينما اعتقه بقوله:

او قد ، فان الليل ليل قُرُ والريح ياموقد ريح صرُ
عسى يرى نارك من يمرُ ان جلبت ضعيفاً فانت حرُ^(٨)

او يكون عتقهم وسيلة لاستلحاق عبد من عبيدهم، او ابن موهوب ولد من جارية مكافأة على عمل عظيم قام به ، كما فعل شداد بن عمرو العبسي، مع ابنه عنتره^(٩) ، كما كانوا يعتقدون من الاسر

(١) ابن حبيب/المحبر/ص١٣٨

(٢) ابن الكلبي/ديوان شعر حاتم واخباره/ص١٠ ؛ ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٢٤٢ ؛ ابو الفرج الاصفهاني/الاجاني/١٦/٩٣-٩٤ ؛ القالي/ذيل الامالي/ص٢٧ ؛ الاب لويس شيخو/شعراء النصرانية قبل الاسلام/ق١/٩٨-٩٩

(٣) الميداني/مجمع الامثال/١/٢٥٤ ؛ شاعر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص٥١

(٤) ابن الكلبي/المصدر السابق/ص٢٧ ؛ القالي/المصدر السابق/ص٢٨ ؛ الاب لويس شيخو/المصدر السابق/ق١/٩٩

(٥) الرازي/مختار الصحاح/ص٤١١

(٦) مصطفى الرافي/حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة/ص٢٨

(٧) البخاري/الصحيح/٣/١٢

(٨) حاتم الطائي/الديوان/ص٥٠ ؛ ابن الكلبي/المصدر السابق/ص٢٧٦ ؛ مصطفى الرافي/المصدر السابق/ص٢٨١ ؛

الاب لويس شيخو/المصدر السابق/ق١/١١٦

فقد روي انه مر حاتم في سفره على بني عنزة، وفيهم اسير ، فاستعان بحاتم ولم يحضره فكاكه ، فاشتراه من العزييين واطلقه ، واقام مكانه في القيد حتى ادى فداءه^(٢).

كما يخبرنا الحديث الشريف عن نوع من العتاقة عند العرب وهي السائبة فعن عبد الله قال " ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية يسيبون"^(٣)، والسائبة هو العبد الذي يقول له سيده لا ولاء لأحد عليك وانت حر سائبة يريد بذلك عتقه وان لا ولاء لأحد عليه وقد يقول له اعتقتك سائبة او انت حر سائبة^(٤)؛ فهذه هي انواع العتاقة التي كانوا يقومون بها العرب قبل الاسلام والتي تُعد مفخرة من مفاخرهم العظيمة.

٣- صلة الرحم:

صلة الرحم من القيم الاجتماعية التي نشأ عليها الفرد العربي ، والحفاظ عليها امر ضروري ومن امارات هذه الصلة ان يكون الفرد لين الجانب لأبناء القبيلة والابتعاد عن الغلظة والفضاضة، وكانوا يوصون ابنائهم عليها^(٥)، فهذا أب يوصي ابنه بقوله "يا بني ان اباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني : ان جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك"^(٦)، كما جمع دريد بن الصمة ابناء عمومته ونصحهم فقال "عليكم بصلة الرحم فانها تعظم الفضل وتزين النسل"^(٧).

وقد ذكرها شعراؤهم فمن الذين وصلوا الرحم هرم بن سنان الذي مدحه زهير بقوله:

ومن ضريبة والتقوى ويعصمه من سيء العثرات الله والرحم^(٨)

-
- (١) راجع موضوع الاستلحاق الذي مر سابقا/ص ٣٩ ؛ مصطفى الراعي/حضارة العرب/ص ٢٨
(٢) ابن عبد ربه/العقد الفريد/٢٨٨/١ ؛ عبد الرحمن المغيري/الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب/ص ٨٠-٨١ ؛ عنزة : عنزة بن وائل اخوة بكر بن وائل احدى قبائل العرب/ابن دريد /الاشتقاق/ص ٣٢١
(٣) البخاري/الصحيح/٩/٨
(٤) ابن حجر/فتح الباري/٣٥/١٢ ؛ جواد علي/المفصل/٥/٥٦٧-٥٦٨
(٥) شاكر مجيد/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ١٨٢
(٦) ذي الاصبغ العدواني/الديوان/ص ٧١
(٧) السجستاني/المعمرون والوصايا/ص ١٨
(٨) زهير بن ابي سلمى/الديوان/ص ٩٥ ؛ ثعلب /شرح ديوان زهير/ص ١٦٢

كما كان العرب يُذكرون بصلة الرحم عندما يعتدي عليهم احد من ذوي ارحامهم فيذكروهم بالصلة بينهم ، كقول زهير:

خذوا حضكم يا آل عكرم واذكروا اواصرنا والرحم بالغيب تذكر^(٢)

فذكرهم زهير في حظهم من صلة القرابة و ألا يفسدوها فيما بينهم ، والرحم التي بين زهير وبينهم ان زهير من مزينة من ولد بن طايفة بن الياس بن مضر، وهؤلاء أي آل عكرم من ولد قيس عيلان بن مضر^(٣). وهنا حاتم الطائي الذي يحفظ صلة رحم ابن عمه بقوله:

ولا اظلم ابن العم ان كان اخوتي شهوداً وقد ادى باخوته الدهر^(٤)

كما كان العرب قبل الاسلام يصلون جارهم ايضاً ، ومن الذين فعلوا هذا حاتم الطائي ويخبرنا عن ذلك قوله:

وما تشكيني جرتي غير انها اذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلمها اليها ولم يُقصر علي ستورها^(٥)

ان رابطة الدم والنسب رابطة قوية تشد ابناء القبيلة بعضهم الى بعض فهم كالجزء الواحد فالخير يصيبهم كلهم والشر يعمهم جميعهم^(٦)، وقد تمسك العرب بالقرابة وصلة الرحم حتى غدت لها قدسية اصبح لزاماً على كل واحد ان ينصر أخاه ويؤازره ويقبل عثرته ويقدم التضيحيات من اجله ، وانهم لم يتخلوا عن القريب مهما كانت علاقته بهم^(٧).

٤ - التكافل الاجتماعي:

(٢) زهير بن ابي سلمى/م.ن/ص ٣١ ؛ ثعلب/م.ن/ص ٢١٤

(٣) ثعلب/المصدر السابق/ص ٢١٤

(٤) حاتم الطائي/الديوان/ص ٥٤ ؛ ابن الكلبي/ديوان شعر حاتم و أخباره/ص ٢٤٧

(٥) حاتم الطائي/م.ن/ص ٥٤ ؛ ابن الكلبي/م.ن/ص ٢٤٧

(٦) ابي الهلال العسكري/جمهرة الامثال/٢/٢٩

(٧) شاكر مجيد/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ١٨٤

التكافل من الكفل وهي الاعالة والانفاق والضم ، والكافل هو العائل والقائم بامر اليتيم والمربي له^(١)، اما اصطلاحاً ، فالتكافل الاجتماعي هو ضمان الاغنياء والمقتدرين من الناس وولاية الامر تحملهم مسؤولية المؤونة والانفاق على الفقراء والمحتاجين والاخذ بأيدي الضعفاء ورفع الظلم عنهم واعالة الايتام حتى يبلغوا اشدھم ، ورعاية الارامل والمقعدين والمرضى ن وغرس بذور الحب والتعاون والمؤاخاة بين ابناء المجتمع، لخلق مجتمع قويم^(٢).

لقد اهتم العرب قبل الاسلام بالتكافل الاجتماعي ، حتى ان الرسول (ﷺ) كان يتكفل اليتامى ويرعى ارامل قبل بعثته النبوية ،حيث وصفه عمه ابو طالب بقوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصاة للارامل^(٣)

فقد برزت ظاهرة اجتماعية سلبية في مكة ، بفعل الفقر والجوع عرفت بأسم الاعتقاد واستمرت هذه الظاهرة حتى زمن هاشم بن عبد مناف^(٤)، والاعتقاد هو ان يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل احداً حتى يموت جوعاً فكانوا اذا اشتد بهم الجوع وارادوا الاعتقاد اغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من الشجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً^(٥). وهكذا كانت تجري الامور حتى نشأ هاشم فلما نبل وعظم قدره في قومه، جمع قريشاً وقال لهم "يا معشر قريش ان العز مع الكثرة ، وقد اصبحتم اكثر العرب اموالاً واعزهم نفراً وان هذا الاعتقاد قد اتى على كثير منكم" ثم بسط لهم رأيه الذي قبله قريش وذلك ان يلحق بكل رجل غني رجلاً فقيراً ، فالفقير يعين الغني في رحلاته مع القوافل ويعيش في ظله بفضل امواله ، وكان ذلك قطعاً للاعتقاد فألف هاشم بين الناس^(٦). وقد سجل لبني عبد مناف هذه المنقبة الشاعر مطرود الخزاعي بقوله:

(١) الفراهيدي/العين/٣٧٣/٥ ؛ الزمخشري/اساس البلاغة/ص٥٤٨ ؛ ابن منظور/لسان العرب/١١/٥٨٩-٥٩٠ ؛ الزبيدي/تاج العروس/٩٩/٨

(٢) مؤيد ابراهيم محمد/التكافل الاجتماعي في صدر الاسلام والعصر الاموي /ص٦

(٣) ابي طالب/الديوان//ص١٩٣ ؛ ابن هشام/السيرة النبوية/٢/١٤ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٩ ؛ السهيلي/الروض الاتف/٢٨/٢

(٤) صالح موسى درادكة/بحوث في تاريخ العرب قبل الاسلام/ص١١٣

(٥) ابن منظور/المصدر السابق/٤/٢٨٧

(٦) السيوطي/الدر المنثور/٦/٢٩٧ ؛ صالح موسى درادكة/المصدر السابق/ص١١٣ ؛ كستر/الحيرة ومكة/ص٥٠

يا ايها الرجل المحول رحله هلا سالت عن آل عبد مناف
الخالطين غنيهم بفقيروهم حتى يعود فقيرهم كالكافي (١)

كما مدح حاتم الطائي بني بدر بن عمرو بن فزارة لتكافلهم ايضاً بقوله :

الخالطين نحيثهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذوي الفقر (٢)

كما كان حكيم بن حزام ، اعتاد على توزيع ارباح قوافله على فقراء ومحتاجي قومه
فلقد جاء عنه انه قال "كنت اعالج البر في الجاهلية وكنت رجلاً تاجراً اخرج الى اليمن
والى الشام في الرحلتين (رحلة الشتاء والصيف) وكنت أرباحاً كثيرة واعود على فقراء
قومي" (٣).

كما ان العرب قبل الاسلام سواء كانوا في البوادي او في الحواضر، فانهم شملوا الاطفال
بالعناية والاهتمام، اذ لم يقتصر ذلك على ابائهم فقط، اذ كانوا موجودين ، بل تعدى الى مساهمة
بعض الاهل والاقارب واشراف القوم في كفالة ابناء الفقراء والانفاق عليهم ، كما فعل الرسول (ﷺ)
قبل البعثة الشريفة في كفالة ابن عمه علي بن ابي طالب (ع) ، وتكفل العباس بن عبد المطلب
امر الانفاق على جعفر بن ابي طالب (ع) ورعايته ، لما وصف به ابي طالب بانه كان كثير
العيال، قليل المال (٤) ، فكانت فكرة المخالطة بين الاغنياء والفقراء ورعاية الاغنياء للفقراء، والارامل
واليتامى والمحتاجين وتكافلهم هذا ، من المثل العليا في المجتمع العربي قبل الاسلام.

(١) ابن هشام/السيرة النبوية/٢٠٣/١ ؛ السهيلي/الروض الانف/٢٠٤/١

(٢) حاتم الطائي/الديوان/ص٤٧ ؛ ابن الكلبي/ديوان شعر حاتم واخباره/ص٢١٧ ؛ والنحيث : الرديء من كل شيء،
النضار: الذهب/حاتم الطائي/م/ن/ص٤٧

(٣) مصعب الزبيري/نسب قريش/ص٣٦٧ ؛ عبد القادر بدران/تهذيب تاريخ دمشق الكبير/٤/٤١٧ ؛ كستر الحيرة
ومكة/ص٥٣

(٤) ابن هشام/المصدر السابق/٢٨٥/١ ؛ مؤيد ابراهيم/التكافل الاجتماعي/ص٢١

المبحث الخامس عقوبات العرب

١- الحلف:

من الامور التي كانت عند العرب قبل الاسلام ، وقد ذكرها لنا الحديث الشريف في الصحيحين الحلف فقد روي عن رسول الله (ﷺ) انه قال "من كان حالفا فلا يحلف الا بالله فكانت قريش تحلف بابائها فقال لا تحلفوا بابائكم"^(١)، وفي حديث اخر عنه (ﷺ) قال " لا تحلفوا بابائكم .. ولا تحلفوا بالطواغي ولا بابائكم..."^(٢)، والحلف هو القسم او اليمين ، وهو عقد بالعزم والنية ، وقد سمي يمينا لان العرب من عاداتها في القسم انها كانت اذا تحالفت ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه او انهم كانوا يتماسحون بايمانهم فيتخالفون ، ومن هنا اطلق اليمين^(٣). ومن شدة افراط العرب قبل الاسلام بتعظيم ابائهم وحلفهم بها ، فقد نبذها الاسلام حيث قال الرسول (ﷺ) في خطبة يوم فتح مكة "ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها للاباء..."^(٤). فقد كان العرب قبل الاسلام يقفون بالموسم ويذكرون اباؤهم^(٥). وكان العرب قبل الاسلام كثيراً ما يحلفون بابائهم ويذكرونهم في ايمانهم ولذلك نهى النبي (ﷺ) عن فعلهم هذا.

وهناك عدة صيغ اتبعها العرب قبل الاسلام في اداء الحلف او اليمين ، فقد ذكر لنا الحديث الشريف اعلاه بأن العرب كانت تحلف بالطواغي^(٦)، فقد حلفت العرب قبل الاسلام باصنامها وانصابها ، فكانوا يقولون " لا واللات والعزى ومناة"^(٧)، فهذا طريف بن العاصي الدوسي مخاطباً الحرث بن ذيبيان في حضرة احد ملوك حمير في معرض رده عليه "اما والاصنام المحجوبة والانصاب المنصوبة ، لئن لم تربع على ظلعك وتقف عند قدرك لأدعن حزنك سهلاً..."^(٨) وبالرغم من هذا الا ان الحلف بالله كان رأس الايمان لدى غالبية العرب الذين هم على ملة الحنيفية وورثة كل بني اسماعيل (ع) ، واخوانهم من جرهم عامة ومن هبط بطحاء مكة من خزاعة ، وقريش وان دخلتها الشوائب الوثنية في تلك الفترة التي امتدت من عهد عمرو بن لحي الخزاعي الى قيام

(١) البخاري/الصحيح/٢٣٥/٤ ؛ مسلم/الصحيح/٨١/٥

(٢) البخاري/م.ن/٩٨/٧ ، ١٧٠/٨ ؛ مسلم /م.ن/٨٢/٥ ؛ والطواغي : جمع طاغية وهي ما كانوا يعبدونه من الاصنام وغيرها. ابن منظور /لسان العرب/ابن الاثير /جامع الاصول/١٢٨/٢

(٣) ابن منظور/م.ن/٥٣/٩ ؛ الزبيدي /تاج العروس/٣٧٢/٩ ؛ النجيري/ايمان العرب في الجاهلية/ص ٣٤

(٤) الطبري/التاريخ/٦١/٣ ؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/٥٢/١

(٥) العيني/عمدة القارئ/١٧٩/٢٣ ؛ عبد الكريم المدرس/مواهب الرحمن في تفسير القرآن/٣٥٤/٢

(٦) البخاري/المصدر السابق/٩٨/٧ ؛ مسلم/المصدر السابق/٨٢/٥

(٧) النجيري/المصدر السابق/ص ٢٣

(٨) احمد زكي صفوت/المصدر السابق/١/٥-٧

الدعوة الإسلامية ، فقد كان من عاداتهم ان يحلفوا بالله وهو الرب الاعظم في جزيرة العرب^(١) ،
واقسمت العرب بالهتها وقد اشركتها بالله وان الله تعالى اكبر منها ، وذلك لقول اوس بن حجر :
وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهم اكبر^(٢)

كما كانت من صيغهم بالحلف بالله قولهم "لا والذي يراني من فوق سبعة اربعة" وقولهم " لا
ورب الشمس والقمر " و " ايم الله " ورب الحل والاحرام " وغيرها^(٣) كما اقسمت العرب بالماء والسماء
والنجوم كقولهم " لا والسماء ، لا والماء ، لا والطارقات .."^(٤) . كما كان من أيمانهم " لا وجدك " والجد
هو الحظ^(٥) ، كما قسموا بالعمر كقولهم " لا وعمرك "^(٦) . كما كانوا يحلفون بالدم ، فكانوا يقولون " الدم
الدم والهدم الهدم " والمعنى دماننا ودمائكم وهدمنا هدمكم والهدم اسم البناء البناء المهدوم أي فما
هدم لكم من بناء او شأن فقد هدم لنا وما اريق لكم من دم فقد أريق لنا ، يلزمنا من نصرتم ما
يلزمنا من نصرة انفسنا ، وعبروا على استعمال ذلك يتوارثونه الى ان اتى الله بالاسلام^(٧) ، كما
كان العرب يستعملون عبارات للتوكيد على ايمانهم ومن هذه العبارات انهم كانوا يقولون " ما بل
بحرصوفه ، ومارسا ثبير وغيره من الجبال فكل قبيلة كانت تذكر الجبال التي تعرفها ، وما اقام
رضوى وعهد لا يزيده طلوع الشمس الاثدا وطول الليالي الامدا .."^(٨) . كما كانوا لتوكيد العهد
على الحلف بينهم يمسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على انفسهم ، كما فعلت قريش والاحابيش على
الركن عند الكعبة^(٩) كما تحالفوا عند بيوت اصنامهم وانصابهم وذلك لتقديمهم لها واعتقادهم بقدرتها

(١) النجيري/ ايمان العرب/ ص ١-٤ ؛ Rodinson\Mohammed, P.16

(٢) اوس بن حجر/ الديوان/ ص ٣٦

(٣) لمزيد من المعلومات عن صيغ الحلف بالله وايمان الجاهلية به انظر: النجيري/ المصدر السابق/ ص ١٤-٢٢ ؛ جواد
علي/ المفصل/ ٥١١/٦-٥١٤

(٤) النجيري/ المصدر السابق/ ص ٢٧

(٥) النجيري/ المصدر السابق/ ص ٢٦

(٦) جواد علي/ المصدر السابق/ ٥١٤/٦

(٧) النجيري/ المصدر السابق/ ص ٢٩-٣٠

(٨) الجاحظ/ ايمان والتبيين/ ٣/٥-٦ ؛ ابي الهلال العسكري/ الاوائل/ ص ٢٨-٢٩ ؛ النجيري/ المصدر السابق/ ص ٣٠ ؛
دلال جويد تعبان/ الاحلاف في الشعر العربي قبل الاسلام/ ص ٥١

(٩) الفاسي/ شفاء العزائم/ ٢/٧٦-٩٨

بانزال العقاب على من ينقض الحلف او العهد كما انهم يضيفوا لها مسحة القداسة بما يردته ويعتقدونه مقدساً^(٢).

وكانت العرب قبل الاسلام تحلف اليمين. وكانوا يمتنعون منها بدءاً ليغروا غرماًؤهم بذلك وكانوا يأتون باليمين في البيع والشراء والدين وفكه ، كما قال الاخيل بن مالك الكلابي:

تمنيت لما قيل لي احلت هنية لتحلوا في النوكي الخيساس يميني
فلما راوا مني التمتع خيلوا صعوبتها عندي كقطع وتيني
ولم يعلموا اني قديماً اعداها لغل خناقي من وثاق ديوني^(٣)

كما انهم كانوا يحلفون اليمين على الاشياء الخطيرة والكبيرة ، لا على أي شيء فيقول شاعرهم:

يقولون لا تحلف فقلت مبادراً أبى الله اني في اليمن مخاطر^(٤)

كما ايضاً كان من العرب من يتبجح باليمين ويبدلها لغريمه من غير تمنع ، كما قال احد شعرائهم:

لهان علينا حلقة ابن محلق اذا رفعت اخفاقها حلقةً صغرا^(٥)

(٢) دلال جويد تعبان/الاخلاق في الشعر العربي قبل الاسلام/ص ٣

(٣) ابي عيان البتري/الحماسة/ص ١٧٤

(٤) البحتري/م.ن/ص ١٨٤

(٥) البحتري/المصدر السابق/ص ٢٠٤

وقد ذكر لنا صحيح البخاري ، احدى طرق الحلف واليمين عند عرب قبل الاسلام ، ففي حديث ابن عباس انه قال " فَأَنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَحْلِفُ فَيَلْقِي سَوْطَهُ أَوْ نَعْلَهُ أَوْ قَوْسَهُ" (١) فيبدو ان القاء السوط او النعل او القوس وهي من مراسيم الحلف او الكيفية له عند العرب ، كما كانت لديهم كيفية اخرى للحلف ، فقد كانوا يوقودون ناراً تعرف باسم نار الحلف (٢) فيعقدون حلفهم عندها ويذكرون منافعها ويدعون بالحرمان والمنع من غيرها على من ينقض العهد ويحل العقد ويهولون على من يخاف على الغدر، وفي حق هذه النار قال اوس بن حجر:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (٣)

٢- السرقة :

لقد اخبرنا صحيحا البخاري ومسلم، عن حال السرقة وقصاص عرب قبل الاسلام بحق السارق وذلك بقوله (ﷺ) "انما هلك الذين قبلكم انهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف" (٤)، فالحديث الشريف يخبرنا عن حد من حدود الجاهلية تجاه جريمة السرقة كانوا يمارسونها ضد السارق قبل الاسلام، فقد كانوا يميزون في قصاصهم بين الشريف والوضيع ، فقد كان في الجاهلية ان بيت مقيس بن عبد القيس السهمي كان مألفاً لشبان قریش وكان له قينتان يقال لهما اسماء وعثمة يغنيانهم ، وكان ديك ودييك الخزاعيان يخدمانهم فنفذ شرابهم ذات يوم ونقثهم فعمد ابو لهب وكان من جملتهم ، الى غزال كان في الكعبة فتناول له ليلاً وكسره واخذ ما فيه من ذهب وياقوت وكان له قرطان وهبهما لاسماء وعثمة ثم صاروا الى عير نزلت بالابطح تحمل الخمر فاشتروا ، ثم مر العباس بن عبد المطلب ، بدور بني سهم عشياً فسمع القينتين تتغنيان وتقولان بسرقة واخذ غزال الكعبة فعرف العباس، ابا طالب فجاء في نفر حتى دنوا الباب

(١) البخاري/الصحيح/٢٣٨/٤

(٢) النويري/نهاية الارب/١/١١١ ؛ القلقشندي/نهاية الادب في معرفة انساب العرب/ص٤٦٢ ؛ السويدي/سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/ص١١٩

(٣) اوس بن حجر/الديوان/ص٦٩ ؛ الجاحظ/البيان والتبيين/٣/٥ ؛ ابي الهلال العسكري/ديوان المعاني/١/٢٨٧ ؛ النويري/المصدر السابق/١/١١١ ؛ النجيري/ايمان العرب /ص٣١ ؛ دلال جويد تعبان /المصدر السابق/ص٥١

(٤) البخاري/المصدر السابق/٨/١٦؛ مسلم /الصحيح/٥/١١٤ ؛ ورواية مسلم ".. اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد"

فسمعوا قول القينتين فلما صحوا هرب بعضهم واخذت القينتان فوجد عندهما القرطان فقالتا انما نحن امتان فخليتا واخذ ديك فقطعت يده وتجاफوا عن ابي لهب لشرفه ، وكان الغزال اهداه الى البيت اسفنديار الفارسي حين سمع بذكر البيت بحجج اليه^(١)، وتخبرنا الراويات التاريخية ان اهل مكة قبل الاسلام كانوا يقتصون من السراق وكانوا يعاقبونه بقطع يده اليمنى^(٢)، وان قريش هم اول من قطع الايدي في السرقة قبل الاسلام^(٣)، ويقال ان اول من قطع من قريش هو عبد المطلب ، جد الرسول (ﷺ)^(٤)، بينما هناك من يرجعها الى الوليد بن المغيرة المخزومي، بانه اول من قطع يد السارق، فصار عمله سنة في معاقبة السرقة^(٥)، وكانت حد القطع من طرف الزند، أي قطع الكف باكملها ، وذلك لقول مالك بن عميلة بن السباق ، مخاطباً حميد بن زهير وهو ابن عم مليح ومـدرك بـن عـوف وكان يلقب درواساً عندما سـرقا الكعبة :

ليالي بانت كفه من ذراعه فأصبح لايدنو لقرن ينازعه
ودواس مخزوم تركنا مجدلاً بما قدمت اظفاره واشاجعه
فامسى ثليلاً للسباع تنوبه تسيل دماء آرايه وكراسعه^(٦)

ويذكر لنا ابن حبيب من قطعت قريش رجالاً في الجاهلية في السرقة منهم (وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سرق في الجاهلية فقطعت يده وعوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وعبيد الله بن عثمان بن عمرو من يتم ، قطع في سرقة

(١) ابن دريد/الاشتقاق/ص ١٢١ ؛ ابي الهلال العسكري/الاوائل/ص ٤٢-٤٣

(٢) ابن حبيب/المحبر/ص ٣٢٧ ؛ الديار بكري/تاريخ الخميس/١/١٨١ ؛ الشهرستاني/الملل والنحل/٢/٢٤٩ ؛ ابن

حجر/فتح الباري/١٢/٧٧

(٣) ابن كثير/التفسير / ٥٥/٢

(٤) ابن رسته/الاعلاق النفسية/ص ١٩١ ؛ جواد علي/المفصل/٥/٦٠٥

(٥) الطبري/التفسير/٦/١٤٨ ؛ ابن الجوزي/المدحش/ص ٤٥ ؛ القلقشندي/صبح الاعشى/١/٤٣٥ ؛ طاهر خليل

حبوش/اوائل العرب عبر العصور والحقب/ص ٢٧٥

(٦) ابن حبيب/المصدر السابق/ص ٣٢٨ ؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص ٢٤٥ - ٢٤٦

ابل ، ومدرک بن عوف بن عبید بن مخزوم، ومليح بن شريح بن الحارث بن اسد ومقيس بن قيس السهمي وكانا سرقا حطي الكعبة في الجاهلية^(١)، ويبدو من خلال هذا النص ان عقوبة القطع كانت عقوبة عامة لمن سرق، دون الاخذ بنظر الاعتبار للشيء المسروق وكميته ، فنلاحظ بانهم قطعوا يد من سرق الابل وكذلك من سرق الحطي الذهبية من الكعبة ، ولذلك عندما جاء الاسلام ، فيما بعد قد هذبها وحدها ، ووضع لها حدود وشروط لقطعها ، وذلك يقول الرسول (ﷺ) "لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا"^(٢).

٣- القسامة

ومن اساليب القصاص التي كانت عند العرب قبل الاسلام، وقد ذكرها لنا الصحيحان القسامة وهي كلمة مشتقة من القسم وهو اليمين، وكان من اعراف العرب قبل الاسلام انه اذا قتل شخص في منطقة ولا يعرف قاتله يطلب اهل المقتول ان يقسم خمسون رجلاً من اهل البلد او القوم الذي وجد فيها القتيل، وليس يكون فيهم صبي ولا امرأة ولا مجنون بأن لا علم لهم ولا دراية بقاتل القتيل، فان قسم المدعون استحقوا الدية ، وان أقسم المتهمون لم تلزمهم الدية^(٣)، وقد وردت القسامة في حديث ابن عباس (رض) قال فيه "اول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم ، فكان رجل من بني هاشم وهو عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف ، استأجره رجل من قريش، وهو خدّاش بن عبد الله بن ابي قيس من بني عامر بن لؤي ، فأطلق معه في ابله فمر عمرو بن علقمة وقد انقطعت عروة جوالقه* فقال اغتني بعقال اشد به عروة جوالقي، لا تنفر الابل فاعطاه عقلاً فشده به عرق جوالقه فلما نزلوا عقلت الابل الا بعيراً واحداً فقال خدّاش ، ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الابل قال ليس له عقال قال فأين عقاله قال فحذفه بعصا كان فيها أجله، فمر به رجل من أهل اليمن فقال لئنهد الموسم قال ما اشهد وربما شهدته قال هل انت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر قال نعم قال فكنت اذا انت شهدت الموسم فنادا يا آل قريش فاذا اجابوك فناد يا آل بني هاشم فان اجابوك فأسأل عن ابي طالب فاخبره ان فلاناً -أي خدّاش- قتلني

(١) ابن حبيب/المحبر/ص٣٢٨؛ وكذلك ايضاً انظر: ابن الكلبي/المثالب/ورقة ١٠

(٢) مسلم /الصحيح/١١٢/٥؛ الصنعاني/سبل السلام/٤/١٢٣٠

(٣) الخوارزمي/مفاتيح العلوم/ص١٥ ؛ النووي/تاج العروس/شرح مسلم/١١/١٢٦-١٢٧ ؛ ابن حجر/فتح

البارئ/١٢/٢٠٧؛ العيني/عمدة القارئ/٢٤/٥٩ ؛ الزبيدي/تاج العروس/٩/٢٦ ؛ جواد علي /مقومات الدولة

العربية/ص٦٦

* الجوالق: الأوعية، وهو الوعاء الذي يوضع فيه الطعام. أبن منظور/لسان العرب/١٠/٣٦

في عقال ومات المستأجر - عمرو بن علقمة بن المطلب - فلما قدم الذي استأجره - أي خدّاش - اتاه ابو طالب فقال ما فعل صاحبنا قال مرض فأحسنّت القيام عليه توليت دفنه قال قد كان اهل ذاك منك، فمكث حيناً ، ثم ان الرجل الذي اوصى اليه ان يبلغ عنه وافى الموسم ، فقال يا آل قريش قالوا هذه قريش قال يا آل بني هاشم قالوا هذه بنو هاشم ، وقال اين ابو طالب قالوا هذا ابو طالب ، قال أمرني فلان - أي عمرو بن علقمة - ان ابلغك رسالة ان فلاناً - أي خدّاش - قتله في عقال، فأثاه ابو طالب فقال له اختر منا احدى ثلاث ان شئت ان تؤدي مائة من الابل فانك قتلت صاحبنا، وان شئت حلف خمسون من قومك ، انك لم تقتله فان أبيت قتلناك به، فاتي قومه فقالوا تحلف ، فأثته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم وقد ولدت له فقالت يا ابا طالب احب ان تجيز ابني هذان بغيران واقبلهما عني ولا تصبر يميني حيث تصبر الايمان فقبلهما ، وجاء ثمانية واربعون فحلفوا ، قال ابن عباس فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية واربعين عين تطرف^(١)، فهذا الحديث الوارد يخبرنا بأن اول قسامة كانت في بني هاشم ، الا اننا نرى القسامة كحكم من الاحكام الجنائية عند العرب قبل الاسلام لا يمكن القطع بتحديد زمان ظهوره وبانه كان في بني هاشم او انه ظهر قبيل الاسلام وان ابا طالب هو اول من حكم به ، وذلك لان العرب قبل الاسلام كانوا يقتلون بالقسامة^(٢)، كما انه يستفاد من الرواية السابقة الذكر بانه كان معروفاً عند العرب، وذلك لما طلبت المرأة الهاشمية من ابي طالب ان يعفوا ابنها من القسم، ولما فدى الرجل منهم فسه ببيعيرين ولما قبلوا قوم خدّاش اصلاً القسامة ، لو لم يكونا يعرفونها جيداً ، كما ان هناك روايات تاريخية تذكر ان غير ابي طالب من حكم بالقسامة ، فقد جاء ان اول من حكم بالقسامة لقريش هو الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك لقول أي طالب:

هلم الى حكم ابن صخره انه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان يقضى في امور تنوينا فيعمد للامر الجميل ويفصل^(٣)

(١) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٦-٢٣٧؛ مسلم/الصحيح/٥/٦٨؛ وقد ذكر الرواية كذلك ابن حبيب/المحبر/ص٣٣٥-٣٣٧؛

ابي الهلال العسكري/الاوائل/ص٣٦-٣٧

(٢) ابن حجر/فتح الباري/١٢/٢٠٩

(٣) ابي طالب/الديوان/ص٣٤١ ؛ ابن حبيب/المصدر السابق/ص٣٣٧ ؛ ابن رسته /الاعلاق النفسية/ص١٩١ ؛ ابن

الجوزي/المدهش/ص٤٥

كما يذكر ابن حبيب في رواية أخرى بأنهم رضوا بحكم أبي سفيان بن حرب، ويروي قيس بن أبي طالب أن يقول فيه:

هلم إلى حكم ابن حرب فانه سيحكم فيما بيننا ثم يفصل^(١)

الا أن المرجح هو الوليد بن المغيرة لانه يومئذ اسن قريش^(٢) ومما تقدم يتبين لنا بأن القسامة كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام ولو لم تكن معروفة . لما أمر بها ابو طالب مباشرة للاحتكام. وقد اقر الاسلام القسامة كما كانت عليه عند العرب قبل الاسلام، وذلك بحديث "ان رسول الله ﷺ امر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية"^(٣) وقد حكم بها الخليفة عمر (رض) فيما بعد^(٤).

٤- الدية

لقد اشار الحديث السابق في القسامة الى نوع من انواع القصاص والحكم عند العرب قبل الاسلام ألا وهي الدية، وذلك بقول أبي طالب للقاتل "... ان شئت ان تؤدي مائة من الابل فانك قتلت صاحبنا..^(٥) والدية هو التعويض عن وقع الضرر عليه وغرمًا يؤديه الجاني من ماله^(٦)، وكانت الدية عند العرب من الابل وتعطى لأولياء المقتول، وتختلف الدية باختلاف درجات القبائل ومنازل الناس ، فقد تكون عشرة من الابل ، وقد تبلغ ألفاً ، فاذا كان القتل من عامة الناس ومن القبائل الصغيرة الضعيفة كانت ديته قليلة، اما اذا كان من اشراف القبيلة زادت ديته عن ذلك تبعاً لمنزلة القتل ولمكانته الاجتماعية واذا كان القتل ملكاً ، كانت ديته ألفاً من الابل، وتسمى هذه الدية ب(دية الملوك)^(٧). وتكون دية الصريح دية كاملة (مائة من الابل) اما اذا كان القتل حليفاً تكون ديته عندئذ نصف دية الصريح، وكذلك اذا كان القتل هجيناً ، فتكون ديته ايضاً نصف دية

(١) ابي طالب/الديوان/ص ٣٤١٤ ؛ ابن حبيب/المحبر/ص ١٣٨

(٢) جواد علي/المفصل/٥/٦٠٣ ؛ طاهر جليل حبوش/اوائل العرب/ص ٢٧٧

(٣) مسلم/الصحيح/٥/١٠١ ؛ ابن سلام/سبل السلام/٣/١١٨٩

(٤) للمزيد من المعلومات راجع : الشافعي/الام/٧/٢٥٦

(٥) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٧ ؛ مسلم/المصدر السابق/٥/٦٨

(٦) القالي/الامالي/١/١٠٤ ؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٩٢

(٧) حيث دفع سيار بن عمرو الفزاري واخيه لامه الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف الصاردي، الف بغير لاسود بن

المنذر ملك الحيرة دية قتل ابنه من قبل الحارث بن ظالم بن غيظ المري له. ابو الفرج الاصفهاني/الاجاني/١١/١١٧ ؛

الالوسي/عقوبات العرب/ص ٦٠-٦٢؛ جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٩٢

الصريح، وتكون دية المرأة نصف دية الرجل، كما كانت هناك بعض القبائل قد حددت هي دية قتلها وفرضتها فرضاً^(١)، كما كان هناك نوع من الديات تغطي في الحروب بين القبائل فبدل ان تعطى الابل والاموال او القتل، فأنهم كانوا يرهنون ابناءهم عند القبائل الاخرى ، مثلما حصل في حرب الفجار الثانية بين كنانة وقريش وبين قيس، فعندما زادت قتلى قيس على كنانة بعشرين رجلاً رهن حرب ابن امية ابنه ابا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة العبدى ابنه النضر، ورهن سفيان بن عوف ابنه الحارث^(٢)، الا ان اغلب الحكام كانوا يحكمون بمئة من الابل في ديات القتلى ، كما ذكر الحديث ، وقد نسب هذا الحكم الى (ابي سيارة عميلة بن الاعزل) فهو اول من جعل الدية مائة من الابل، وان اول من أودي بالابل من العرب قُرَيْد بن بكر بن هوازن قتله اخوه معاوية^(٣). كما نسب هذا الحكم الى (عبد المطلب) جد الرسول (ﷺ) فقالوا انه اول من سن الدية مئة من الابل^(٤) هذا وتدفع الدية الى ولي القتيل او الى اوليائه الشرعيين، أي الذين لهم حق المطالبة بدم القتيل ، وهم وحدهم لهم حق الفصل في موضوع الدم^(٥). هذا مع ان قتل القاتل أفضل الحلول عندهم^(٦)، ومع ذلك فقد كان هناك من العرب من يأخذ دية القتيل الذي يقتل له من قوم القاتل ويصالحون عنه بالدية ، فيخرج القاتل وقد أمن في نفسه فيقتله ويرمي اليه بالدية^(٧)، وذلك في حين ان منهم من يأنف من اخذ الدية ويراهها من العار^(٨).

- (١) جواد علي/المفصل/٥/٥٩٢-٥٩٣ ؛ والصريح: هو الذي يرتبط بالقبيلة عن طريق الدم والنسب، الحليف : هو الذي يأوي الى قبيلة من قبيلة اخرى فتقبله القبيلة بينها الا انه لا يرتبط بها عن طريق الدم والنسب ، اما الهجين : فهو الذي يكون ابوه غير معروف او امه . الفيروز ابادي/القاموس والمحيط/٤/١٣٣، ٢٧٩،
- (٢) محمد احمد جاد المولى بك/ايام العرب في الجاهلية/ص٣٣٧
- (٣) السهيلي/الروض الانف/١/١٤٦-١٧٦ ؛ ابن رسته/الاعلاق النفسية/ص١٩
- (٤) ابن سعد/الطبقات/١/٨٩ ؛ ابن رسته/م.ن/ص١٩١ ؛ ابن الجوزي/المدش/ص٤٥ . ؛ القلقشندي/صبح الاعشى/١/٤٣٥ ؛ كما كان ابو بكر الصديق ولي امر الديات والعزم في قريش قبل الاسلام/السيوطي/تاريخ الخلفاء/ص٣١
- (٥) جواد علي /المصدر السابق/٥/٥٩٧
- (٦) جواد علي/المصدر السابق/٥/٥٩٨ ؛ عبد المنعم ماجد /التاريخ السياسي للدولة العربية/ص٥٣ ؛ فيليب حتى/تاريخ العرب/ص٥٥ ؛ الالوسي/عقوبات العرب/٤٢-٤٦
- (٧) السيوطي/الدر المنثور/١/١٧٣
- (٨) الالوسي/المصدر السابق/ص٣٨-٣٩

الفصل الثاني

الحالة الفكرية عند العرب قبل الإسلام

توطئة

لقد احتلت المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية والمعارف والعلوم حيزاً كبيراً ومهماً في حياة الجماعات الإنسانية منذ القدم، فليس هناك جماعة من الجماعات لم تحيي حياة دينية * على نحو معين، فالدين قديم قدم الإنسان نفسه، وأثاره واضحة في الجانب الحضاري، وفي تحديد الأطر الاجتماعية للتقاليد والعادات، وفي الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية، لهذا فالدين من بين أهم النظم البشرية التي سيطرت على نفسية الفرد، واتخذت أشكالاً وصوراً متنوعة باختلاف الجماعات الإنسانية أو ضمن نطاق الجماعة الواحدة. وقد كان العرب قبل الإسلام من بين الأمم التي تنوعت عندهم المعتقدات والعبادات الوثنية في شبه الجزيرة العربية ^(١).

وقد ورد في الصحيحين من أحاديث ذكرت العديد من أصناف العبادة عند العرب قبل الإسلام، كما جاء فيه الإشارة إلى ذكر طقوس العبادات والمعتقدات عندهم، بالإضافة إلى أن الحديث النبوي تطرق أحياناً إلى بيان ما كان سائداً عند العرب قبل الإسلام من معارف وعلوم، وهذا ما سنوضحه من خلال سير البحث.

* يعد الدين من جملة الموضوعات التي يصعب وضع تعريف لها ويعود ذلك إلى التنوع الهائل للأديان في المجتمعات الإنسانية وقد بذل العلماء، ما في وسعهم بغية الحصول على وجوه مشتركة لتعريف الأديان ولكن النجاح لم يحالفهم الأمر الذي أدى إلى وضع تعاريف لا حصر لها للدين تفتقد جميعها إلى الجامعة والمانعية فقد قيل في تعريف الدين أنه الاعتقاد بأمر مقدس، وقيل: هو الإيمان بموجودات روحانية وقيل: إن الدين عبارة عن الاعتقاد بقوة أو قوى فوق البشرية ينبغي إطاعتها وعبادتها. وللتفصيل راجع: حسين توفيق/ دروس في تاريخ الأديان/ ص ٩-١٠.

^(١) راجع اليعقوبي/ تاريخ اليعقوبي/ ١/ ٢٥٤-٢٥٧؛ ابن رسته/ الاعلاق النفسية/ ص ٢١٧؛ المسعودي/ مروج الذهب/ ٢/ ١٣٣-١٣٤؛ ابن حزم/ جمرة انساب العرب/ ص ٤٩١؛ محمد جمال الدين سرور/ قيام الدولة العربية الإسلامية/ ص ٥٤-٦٣؛ سيد أمير علي/ مختصر تاريخ العرب/ ص ٩؛ عبد العزيز سالم/ تاريخ العرب في عصر الجاهلية/ ص ٤٥٧-٤٩٠؛ غوستاف لويون/ حضارة العرب/ ص ٩٧-١٠٠؛ ابراهيم نمير سيف الدين وآخر/ تاريخ العرب وعصر النبوة/ ص ١٦-١٨؛ صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب/ ١٦٩-١٧١.

المبحث الأول المعتقدات والمعبودات

١- الأصنام والأنصاب:

كانت الديانة الوثنية هي السائدة عن العرب قبل الإسلام حيث عبدوا الأصنام والأنصاب، وقد أشار الصحيحان إلى هذه العبادة، فقد قال عبد الله بن مسعود (رض) " دخل النبي (ﷺ) مكة وحول البيت ثلثمائة وستون نصباً فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول جاء الحق وزهق الباطل ^(١) وهذا الحديث يدل على ما كان لهذه العبادة من أهمية في حياة عرب قبل الإسلام، فقد كانت هذه العبادة رئيسية ومنتشرة انتشاراً واسعاً قبل الإسلام في جزيرة العرب ^(٢).

حتى إن الأخبار التاريخية وصفتهم بأنه " كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله ان يتمسح به، وإذا قدم من سفره، كان أول ما يصنع إذا دخل منزله ان يتمسح به أيضاً .. وأشتهرت العرب في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بين نصب حجراً امام الحرم وامام غيره، مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت، فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رياً، وجعل ثلاث اثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر، فعل مثل ذلك " ^(٣) فقد كان عباد الانصاب يمثلون السواد الأعظم من الأمة ^(٤).

^(١) البخاري/ الصحيح/ ٣/ ١٠٨/ ١/ ٥/ ٩٣؛ مسلم/ الصحيح/ ٥/ ١٧٣؛ وقد ذكر الحديث النبوي كلمة نصب، وبقي المصادر تذكر صنم، فلذلك هي نصب على حد لحفظ الحديث الشريف والنصب: هي حجارة منصوبة امام الحرم يطوفون بها ويذبحون عندها، ابن الكلبي/ الأصنام/ ص ٣٣؛ ابن منظور/ لسان العرب/ ١٥/ ٢٤١؛ Sabic Dictionary، Beston، P. 111، أما الأصنام وهو ما كان معمولاً من خشب أو ذهب أو فضة وله صورة وجسم. ابن الكلبي/ م. ن. ص ٥٣، ابن منظور/ م. ن. ١٥/ ٢٤١، كما يطلق على الصنم أيضاً كلمة وثن، والمزيد من التفاصيل حو هذا الموضوع ينظر: ابن منظور/ م. ن. ١٧/ ٣٣٣/ محمود سليم الحوت/ في طريق الميثولوجيا عند العرب/ ص ٣٦-٣٨، جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٦/ ٧٤؛ صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب/ ١٩٦-١٩٧.

^(٢) عفيف عبد الفتاح طيارة/ روح الدين الإسلامي/ ص ٩٠؛ ثابت اسماعيل الراوي وآخر/ محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام وحياة الرسول/ ص ٦٦؛ شوقي ضيف/ العصر الجاهلي/ ص ٨٩.

^(٣) ابن الكلبي/ الأصنام/ ص ٣٣؛ ابن هشام/ السيرة النبوية/ ١/ ١٠٦.

كما ان حديث ابن مسعود (رض) يعطينا صورة عن هذا الانصاب التي كانت تعبد والتي دخل رسول الله (ﷺ) إلى مكة وكسرها، وهي ثلثمائة وستون نصباً، وشكك أحد الباحثين بهذا العدد حيث يقول " لو جمعت أصنام العرب ل زاد عددها على مئة صنم " (٢). كما ان هنالك من يزيد في هذا العدد (٣) ويرى الدكتور صالح العلي " ان الانصاب كثيرة في الجزيرة، وهي لا تبقى ثابتة بل تتغير وتتبدل ويروى انه كان في الكعبة يوم الفتح (٣٦٠) صنماً ولا ريب ان الكعبة لا تتسع لمثل هذا العدد من الاصنام، كما لم يذكر العرب اسم أي صنم بالكعبة أو قريبها غير هبل واساف ونائلة، والراجع ان المقصود بذلك الانصاب، وانها لم تكن في داخل الكعبة بل حولها وفي مكة نفسها " (٤).

وبالبحث يتفق مع هذا الرأي، فالحديث يشير بصراحة إلى انها كانت حول مكة، كما ان هناك من الباحثين من يؤكد وجود هذا العدد داخل مكة (٥).

وان وجود هذا العدد الكبير من الانصاب عند العرب قبل الإسلام، قد أعطى انطباعاً لدى البعض بأن العرب كانوا شديدي التدين بهذه الانصاب وعبادتها، حتى ان منهم من تسمى بأسماء معبودهم مثل: عبد ياليل، وعبدنهم، وعبد كلال، وعبد رضى (٦) وعبد شمس، وهب اللات وزيد مناف... ويدل هذا على انتشار عبادة هذه الانصاب التي جاءت بأسماء كما يدل على شدة ارتباطهم به وتفاؤلهم بعبادته (٧)، كما يبدو ذلك واضحاً في معركة أحد هتف أبو سفيان باسم صنمهم قائلاً (أعل هبل أعل هبل) (٨) إلا ان هنالك من الروايات التاريخية التي تقول على عكس

(١) عمر رضا كحالة/ العالم الإسلامي / ٥٨/١

(٢) أنظر محمد الحوت/ في طريق الميثولوجيا/ ص ٤١-٤٣

(٣) محمود الحوت /م.ن/ ص ٤٠

(٤) صالح العلي/ محاضرات في تاريخ العرب/ ص ١٩٨

(٥) علي حسين الخربوطلي/ تاريخي الكعبة/ ص ٣٨؛ عواطف أديب سلامة/ قريش قبل الإسلام/ ص ٢٩٠-٢٩١؛

Vol.2/P.591. ، Ency of Islam، Mecca،A.J. Wensinck

(٦) ابن الكلبي/ المصدر السابق/ ص ٣٠

(٧) جواد مطر رحمه/ الديانة اليمينية القديمة وما بعدها قبل الإسلام/ ص ٤٠؛ شاكراً مجيد كاظم/ مذاهب العرب

في تسمية أبناءهم قبل الإسلام/ ص ٢٠-٢١

(٨) ابن الكلبي / الأصنام/ ص ٢٨؛ ابن هشام/ السيرة النبوية/ ٤٥/٣

ذلك وأما بعض العرب كانوا ينكرون هذه المعبود لأنفه الأسباب فكانوا لا يرون بأساً من أكلها إذا كان المعبود قد عمل من مادة غذائية كما فعل بنو حنيفة بألههم، وكان مصنوعاً من التمر، فقال فيهم شاعر:

أكلت حنيفة ربها زمن التقم والمجاعة (١)

وكذلك الرجل الكناني الذي يُقبل على صنم قبيلته والمسمى بـ (سعد) فتتفر إبله من منظر الدماء المراقبة عليه فيرميه بحجر ويقول للصنم (لا بارك الله فيك أنفرت عليّ إيلي) (٢)، وهذا أمرؤ القيس ابن حجر الكندي يريد أن يثار لأبيه من بني أسد لقتلهم أياه فيستشير الصنم فيخرج الناهي عند الأخذ بالثار فيكسر القداح وضرب بها وجه الصنم، ويغلظ له بالقول ويشتمه . (٣) وهذا يمر بالصنم فيرى الثعلب يبول على رأس الصنم، فيغضب ويضرب الصنم ويكسره ويقول:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب (٤)

وقد دلت هذه الروايات وغيرها عند بعض الباحثين، والمستشرقين إلى قلة التدين عند عرب قبل الإسلام، بالرغم من اعترافهم الضمني بأنهم كانوا أحياناً شديد التعظيم للآلهة المنصوبة حول الكعبة وفي غيرها من البيوت والأماكن المقدسة كما أنهم عند كلامهم يصفون العربي بالبدوي، ويعتقد أن المقصود بقلة التدين هم اعراب البادية وليسوا أهل المدن الكبيرة كمكة والأماكن الأخرى (٥)، وهذا ما سنراه عند كلامنا عن الحس لاحقاً .

(١) ابن قتيبة/ المعارف/ ص ٢١٩

(٢) ابن الكلبي/ المصدر السابق/ ص ٣٧؛ ابن هشام/ المصدر السابق/ ١٠٤/١

(٣) ابن الكلبي/ الأصنام/ ص ٤٧؛ مهدي عريبي حسن الدخيلي/ بنو أسد ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي/ ص ١٢٣

(٤) كمال الدين الدميري/ حياة الحيوان الكبرى/ ١٧٤/١

(٥) أنظر محمد الحوت/ في طريق الميثولوجيا/ ص ٣٢؛ طه حسين/ في الأدب العربي/ ص ٩١؛ عبد المنعم ماجد/ التاريخ السياسي للدولة العربية/ ١-٥٦-٥٧؛ نبيه عاقل / الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لمقاومة ترتيب الدعوة للإسلام/ ص ٨٨؛ جواد مطر رحمة الحمد/ الديانة اليمنية القديمة/ ص ٢٩-٣٤؛ جاك ريسلر/ الحضارات العربية/ ص ٢٥؛ كارل بروكان/ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية/ ص ٧؛ وكذلك رأي رينان (فقللاً عن علي الهاشمي/ المرأة في الشعر الجاهلي/ ص ٣٥)

وقد عبد العرب قبل الإسلام هذه الأصنام وغيرها وذلك لأنهم يعدونهم شفعاء أو وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه، وهذه لا تكون الا بوسيط، كي تقربهم إلى الله تعالى زلفى، كما ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)^(١) ومنهم من جعلها مشاركة لله تعالى، واعتقد العرب ان تلك الآلهة كانت تشفي المرض وتأتي بالذرية والنسل وابعاد المجاعة واقصاء الوباء^(٢).

ويخبرنا الحديث الشريف بأن أصنام قوم نوع (ع) قد صارت في العرب، فقد روى ابن عباس (رض) ذلك حيث يقول " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح من العرب بعد ما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أومى الشيطان إلى قومهم ان غاضوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصاباً وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت^(٣)، وقد كانت هذه المعبودات اسماء رجال صالحين فلما ماتوا اقاموا لهم الناس منحوتات لهم كي يتذكروهم ويحترمهم، حتى إذا جاء بعدهم اجيال عدة ومع مرور الزمن وتقادم العهد فتحول الناس من النظر إلى هذه المنحوتات من الاحترام والتبجيل إلى العبادة والتقديس^(٤) فعبد العرب قبل الإسلام هذه المعبودات المعروفة بأصنام قوم نوح (ع). وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام، ثم صارت في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل^(٥)، ولم تنزل هذه المعبودات تعبد حتى بعث الله النبي (ﷺ) فأمر

(١) القرآن الكريم/ الزمر/ ٣

(٢) ابن ابي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ١/ ١١٩؛ علي ابراهيم حسن / التاريخ الإسلامي العام/ ص ١٢٩-١٣٠، عفيف طيارة/ روح الدين الإسلامي/ ص ١٠٠-١٠٣؛ عمر رضا كحالة/ العالم الإسلامي/ ٤/ ٨١/ شريف يوسف/ الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام/ ص ١٩٣

(٣) البخاري/ الصحيح/ ٦/ ٧٣

(٤) أبن الكلبي/ الأصنام/ ص ٥٧؛ ابن هشام/ السيرة النبوية/ ١/ ١٠٤؛ الفخر الرازي/ تفسير الفخر الرازي/ ٣٠/ ١٤٤-١٤٥؛ ابن كثير/ التفسير / ٤/ ٤٢٦؛ السيوطي/ الدر المنثور/ ٦/ ٢٦٩؛ عباس محمود العقاد/ الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، ص ٣١؛ صالح العلي؛ محاضرات في تاريخ العرب/ ص ١٨٨-١٩٠

(٥) ابن الكلبي/ م.ن. ص ٦؛ ابن الاثير/ جامع الأصول/ ٢/ ٤١٤؛ ابن كثير/ البداية والنهاية/ ٢/ ١٩٠

بهدمها^(١) وكانت هذه المعبودات مجسدة تجسداً، لأن العرب قبل الإسلام مثل غيرهم من الشعوب السامية لا يميلون إلى التجريد، ولا يتعبدون بسبب ذلك إلا لآلهة مجسمة فقد عمدوا إلى تجسيد هذه الآلهة السماوية التي كانوا يعتقدون بألوهيتها^(٢) كما كانت لهذه المعبودات تلبيات خاصة وسدنة^(٣).

أما بيوت العبادة، فقد جعل عرب قبل الإسلام لانصابهم والتهتهم أماكن خاصة للعبادة، فوضعوا فيها انصابهم، وقد مر بنا بأن رسول الله (ﷺ) قد دخل الكعبة وحولها (٣٦٠) نصباً وذلك لعلمهم لما لهذا المكان من قدسية خاصة عند العرب قبل الإسلام، وبهذا الخصوص قد ورد في البخاري عن رسول الله (ﷺ) حيث قال " ان مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة " ^(٤) فقد جعلت مكة محرمة، وهذا ما أكسبها أهمية، وجعلها مأوى الناس في الحج وقصد العرب قبل الإسلام لها، وهذا ما سنراه لاحقاً في الحج.

فقد اتخذ بعض العرب بيوتاً وكعبات لعبادة نصبهم، ووضعوها في أجوافها^(٥) وجاء في الأخبار انه لما استولى عمرو بن لحي على زمام الأمور في مكة وصار أمر الكعبة إليه بعد ما نازع* جرهم عليها^(١)، فقد جلب إليها الاصنام والانصاب ووضعها داخل الكعبة وخارجها وكان

(١) ابن الكلبي/المصدر السابق/ص ٥٨؛ عبد العزيز سالم/تاريخ العرب/ص ٤٦٩

(٢) ابراهيم عبد الرحمن محمد/الشعر الجاهلي وقضاياها الفنية والموضوعية/ص ٤٥؛ أما عن أشكالهم ومجسدااتهم فقد كان وداً على هيئة رجل ضخم ما يكون وله حلتين، ويغوت على هيئة أسد، ويعوق على شكل فرس، ونسم على هيئة الطائر النسر، وسواع على صورة امرأة/الفخر الرازي/المصدر السابق/٣/٣٤٤

(٣) حول التلبيات والسدنة أنظر: ابن الكلبي/المصدر السابق/ص ٧ فما بعدها؛ ابن حبيب/المحبر/ص ٣١١-٣١٦؛ المعري/رسالة الغفران/ص ٢٧٩-٢٨١؛ قطرب/الأزمنة وتلبيات الجاهلية/ص ١١٦-١٢٦؛ صالح

العلي/المصدر السابق/ص ١٨٨-١٨٩

(٤) البخاري/الصحيح/١/٣٥

(٥) جواد علي/المفصل/٦/٣٩٩

* هو عمرو بن لحي وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن حارثة وامه فهيرة بنت الحارث بن مضاف الجرهمي، وقد غلب على مكة وتولى سدانة الكعبة بعد جرهم، وهو ابو خزاعة/ابن الكلبي/المصدر السابق/ص ٥١؛ ابن دريد/الاشتقاق/ص ٤٦٨

أكبر هذه الأصنام والانصاب التي جلبها من الشام في قصة مرضه التي يرويها المؤرخون لنا ^(٢) هو هبل وهو صنم من عقيق أحمر على صورة أنسان مكسور اليد اليمنى، وقد جعلت له قريش يداً من ذهب ^(٣)، كما كان قرب الكعبة الصنمان أساف ونائلة، وهما شخصان رجل وامرأة من جرهم فجرا بالكعبة فمسخا حجرتين ووضعوا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما ^(٤)، فهذه الأصنام الثلاثة فقط كانت بالكعبة أو قريبا وباقي الأصنام والانصاب في مكة وحولها ^(٥).

ولا اتفاق مع تلك الاخبار القائلة ان عمرو بن لحي كان اول من جلب الأصنام إلى مكة ودعا العرب إلى عبادتها بل نعتقد ان العرب عرفوا عبادة الأصنام قبل مجيء عمرو بن لحي وظهوره وذلك من خلال عبادتهم لآلهة قوم نوح (ودوا سواع، ويغوث، ويعوق، ونسر) وقد ذكر القرآن الكريم هذه الآلهة ^(٦)، وقوم نوح أقدم عهداً وأبعد زماناً من زمن ظهور عمرو بن لحي.

كما ان صحيح البخاري يخبرنا أيضاً عن عمل جاهلي كان يتخذ في الكعبة عند العرب قبل الإسلام وذلك لحرمتها عندهم وقديسيتها لديهم إلا وهو إعادة العاصي والفار من دم حيث جاء عن الرسول (ﷺ) قوله "أن مكة لا تُعبد عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بجزية" ^(٧). وبهذا الشأن يقول الطبري "كان الرجل لو جرَّ كل جريرة على نفسه، ثم لجأ إلى حرم الله لم يتناول ولم يطلب، فأما في الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله، وقالوا هذا أمر كان في الجاهلية، كان الحرم مفزع كل

(١) ابن الكلبي/الأصنام/ص٨؛ الأزرقى/أخبار مكة/١/١٢٤-١٢٦؛ J.V.Fock /Amro Bin luha / P.453 ، Vol.1،Enclolislamic

(٢) حول قصة جلب عمرو بن لحي للأصنام والانصاب إلى الكعبة وما حولها وحمل العرب على عبادتها أنظر: ابن الكلبي/م.ن/ص٨؛ الأزرقى/م.ن/١/١١٧-١٢٤؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٠١؛ المسعودي/مروج الذهب/٢/٦٠٠٥٩؛ أبي الهلال العسكري/الأوائل/ص٤٨؛ الفاسي/شفاء الغرام/٢/٢١؛ أبي الفدا/المختصر في أخبار البشر/١/٧٦؛ الابشيهي/المستطرف في كل فن مستظرف/٢/٧٨؛ السيوطي/الدر المنثور/٢/٣٣٨ (٣) ابن الكلبي/المصدر السابق/ص٢٧؛ الأزرقى/المصدر السابق/١/١١٩؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص٧٨

(٤) ابن الكلبي/المصدر السابق/ص٩؛ ابن هشام/المصدر السابق/١/١٠٥؛ الواقدي/المغازي/٢/٨٤١؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ١٧٨

(٥) صالح العلي/م.ن/ص ١٩٨

(٦) القرآن الكريم/سورة نوح/آية ٢١

(٧) البخاري/الصحيح/١/٣٥

خائف وملجأ كل جان، لأنه لم يكن يهاج به ذو جريرة ولا يعرضن الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء " (١) فهذا يعبر عن أهمية المكان وقديسيته فقد جعلوا لها حرماً مقدساً يحيط بمكة من دخله كان آمناً، وكان الناس منذ أقدم عصور الجاهلية يقدسون هذه البقعة فلا يسفكون فيها الدماء ولا يقطعون الشجر والقصب، ولا يطردون الصيد ولا يقتلون الطير أيضاً (٢).

ويخبرنا الصحيحان أيضاً بأن هنالك بيتاً للعبادة غير الكعبة الموجودة في مكة عند العرب قبل الإسلام، فقد ورد عن جرير الأحمسي انه قال " كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية، فقال لي النبي (ﷺ) إلا تريحي من ذي الخلصة... " (٣)، وفي رواية أخرى قال رسول الله (ﷺ) " إلا تريحي من ذي الخلصة وكان بيتاً لخنعم أو بيتاً باليمن لخنعم وبحيلة، فيه نصب يُعبد " (٤)، وهو عبارة عن صخرة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سدنتها بنو أمامة بن باهلة بن اعصر، وكانت تعظمها وتهدي لها خنعم وبحيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان " (٥) وكانوا يلبسونها القلايد ويهدون اليه الشعير والحنطة ويصبون عليه اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النعام " (٦)، وكانت التلبية لذي الخلصة:

لبيك اللهم لبيك

لبيك عن بجيلة

ذي بارق مخيله وبنيه الفضيلة

فنعمت القبيلة من ترى طائفة بكعبة جليلة (٧)

(١) الطبري/التفسير/٨٢/٤

(٢) محمد أسعد طلس/تاريخ الأمة العربية/ص ١٢٢-١٢٣

(٣) البخاري/المصدر السابق/١١١/٥-١١٢؛ مسلم/الصحيح/١٥٧/٧

(٤) البخاري/المصدر السابق/١١٢/٥٠/٢٣/٤

(٥) ابن الكلبي/الأصنام/ص ٣٤-٣٥؛ وكذلك ينظر: محمد عبد المعيد خان/الاساطير والخرافات عند العرب/ص ١١٣؛ منذر البكر/معجم أسماء الآلهة والأصنام لدى العرب قبل الإسلام/ص ١٥؛ وتبالة اسم لموضعين احدهما في اليمن وهو المقصود في الرواية، والآخر بلدة مشهورة من ارض تهامة بينها وبين مكة اثنتان وخمسون فرسخاً وهي التي تولاهما الحجاج فرفضها. البكري/معجم ما استعجم/٣٠١/١؛ ياقوت الحموي/معجم البلدان/٨/٢

(٦) الازرق/أخبار مكة/١/١٢٠

(٧) قطرب/كتاب الأزمنة/ص ١٢٣

وكانت تعرف بالكعبة اليمانية وذلك لوجودها باليمن كما ذكرنا، وأيضاً تسمى الكعبة الشامية وذلك لجعلهم باباً مقابلاً الشام ^(١) وهناك رواية عن رسول الله (ﷺ) تجعل ذا الخلصة صنماً وليس بيتاً للعبادة، حيث قال رسول الله (ﷺ) "وكانت صنماً تعبدوها دوس في الجاهلية بنبالة" ^(٢)، وبالرغم من الحديث الشريف الذي يذكرها بأنها بيت، والروايات والمصادر التي تحدثت عنها وقالت أنها بين كما أسلفنا، إلا أننا يمكن أن نستشف من وجود حديثاً شريفاً آخر يذكرها بأنها صنم من أن ذي الخلصة يمكن أن يكون صنم موضوع في بيت، أي معبد على الأرجح.

وبما أن العرب قبل الإسلام قد نظروا لهذه البيوت نظرة دينية وعدوها مقدسة وأخذوا يحجون إليها، فقد انتشرت عندهم هذه البيوتات في جنوب الجزيرة العربية ووسطها وشمالها ووضعوا بها انصابهم التي كانوا يعبدونها ^(٣)، فقد كان عندهم عدة كعبات، كبيت رنام في صنعاء لحمير، والقليس التي بناها أبرهة في صنعاء أيضاً في حكمه وأراد تحويل الحج إليها وبيت اللات باعلى نخلة، وذي الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل بسنداد بأرض بين الكوفة والبصرة، وبيت بسا لغطفان، وكعبة نجران وغيرها ^(٤).

٢- العبادة الفلكية:

من العبادات التي أخبرنا بها الحديث النبوي في الصحيح عبادة الافلاك السماوية فقد جاء عن رسول الله (ﷺ) انه قال "يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر .." ^(٥)، فيشير الحديث إلى أن هنالك من يتبع أو يعبد الشمس

(١) منذر البكر/معجم اسماء الآلهة/ص ١٥

(٢) مسلم/الصحيح / ١٨٢/٨

(٣) شريف يوسف/الكعبات المقدسة عند العرب/ص ١٩٢؛ هاشم يونس عبد الرحمن/المثل والقيم الخلقية عن العرب ما قبل الإسلام/ص ٣، ويربطها أيضاً الأستاذ هاشم يونس بنظرة اجتماعية أيضاً فيقول: "أن العرب نظروا إلى بيوت الآلهة بنظرة اجتماعية، فما دام لهم بيوتهم التي يعيشون فيها وينعمون بظلها، فلا بد أن تكون للآلهة بيوت أيضاً/ص ٤٣

(٤) للمزيد من المعلومات حول بيوت العرب أنظروا: ابن الكلبي/الأصنام/ص ٩، ٧٥؛ أبين هشام/السيرة النبوية/١٢/١٢٦؛ الهمداني/صفة جزيرة العرب/ص ٢٤٠؛ السهيلي/الروضة الانف/١/٤٢، ٦٣؛ عبد السلام هارون/تهذيب سيرة ابن هشام/ص ١٥؛ شريف يوسف/م/ن/ص ١٦٩-١٩٧

(٥) البخاري/الصحيح/١/١٩٦

الشمس والقمر، فقد عرفت عبادة الشمس والقمر منذ أقدم الأمم السامية، وعند عرب الجنوب، وهي مؤلهات فلكية^(١)، وكعادة العرب في جعلهم الآلهة رموزاً مادية، فقد صنعوا الآلهة ذكوراً وإناثاً واتخذوا لها البنين والبنات فالقمر هو آلهة ذكر وصار بمنزلة الأب، والشمس هي الأنثى وهي الزوجة، وابنتهما (عثر) أي الزهرة وهي تمثل لديهم ما يعرف بالثالوث الكوكبي المقدس، كما مثلت (اللات) الآلهة عند عرب الشمال تمثل كوكب الزهرة، بينما مثلت الإلهة (زى) كوكب الصباح في حين مثلت الإلهة (مناة) كوكب المساء^(٢).

فقد عبدت الشمس، وكانت من الآلهة الرئيسية في شمال الجزيرة العربية وفي معظم الدويلات العربية الشمالية كالانباط وتدمر^(٣)، كما عبدتها قبائل عربية عديدة في الجزيرة وشخصوها بصنم وخصصوا لها هيكلًا، كما كثر في بلاد العرب وجود الاسماء التي تضاف إليها كعبد شمس، وامرئ الشمس، وعبد الشارق، ومن القبائل التي عبدته بنو تميم وضبة وتيم وعكل وثور وكان سدنته من بني أوس بن مخاشن بن معاوية من بني تميم، وكانت تلبية من نسك اليه:

لبيك اللهم لبيك

ما نهارنا نجره ادلاجه وحره وقره

لا نتقي شيئاً ولا نضره

حجاً لرب مستقيم بره^(٤)

(١) محمد عبد القادر بافقيه/تاريخ اليمن القديم/ص ٢١٢٥؛ محمود الحوت/ في طريق الميثولوجيا/ص ٩١؛ محمد عبد المعبد خان/الأساطير والخرافات عند العرب/ص ١١٩؛ شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص ٨٩؛ منذر البكر/دراسة في الميثولوجية العربية الديانة الوثنية في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام/ص ١٠٤

(٢) شريف يوسف/الكعبات المقدسة عند العرب/ص ١٩٣-٢١٤؛ أما اللات والعزى ومناة فهي من أشهر أصنام العرب قبل الإسلام، وقد ذكرهم القرآن الكريم (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) التفاصيل عنهم أنظر: ابن الكلبي/الأصنام/ص ٩؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٠٦-١٠٧؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ١٨٢-١٨٦

(٣) منذر البكر/معجم اسماء الآلهة/ص ٣٠؛ حيث عبدت تدمر الآلهة بعل وهو اله الشمس، كما عبدت الانباط والاله ذو الشرى وهو اله الشمس عندها. /منذر البكر/م/ن/ص ٨، ٢٠

(٤) ابن حبيب/المحبر/ص ٣١٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٧/٤٢٠؛ الزبيدي/تاج العروس/ف/٤/١٧٢؛ محمود الحوت/في طريق الميثولوجيا/ص ٩٣؛ جواد علي/المفصل/٦/٥٥

كما عرفت عبادة الشمس عند عرب الجنوب، فيورد لنا الاستاذ منذر البكر، عدة آلهة وأصنام تمثل الشمس عندهم فقد كانت عند السبأيين تتمثل بذات بعدن، وذات حميم، وذات صخرن، كما عبدها القتبانيون وهم إحدى دول اليمن وتمثلت بالآله ذات غضرن، كما كان نزيح ضم قبيلة كندة اليمانية يمثل الشمس ^(١)، كما يذهب أحد الباحثين إلى القول " ان العرب كانوا يصلون للشمس ثلاث مرات، إذا طلعت سجدوا اليها وكذلك اذا غربت واذا توسطت الفلك " ^(٢)، ويظهر من ترجمة رقيقة بنت وهب الثقفية انهم كانوا يصلون لآلهتهم، حيث قال لها رسول الله (ﷺ) عندما خرج لقتال ثقيف " يا رقيقة لا تعبدى طاغيتهم ولا تصلي اليها قالت اذ يقتلونى قال فاذا صليت فوليتها ظهر ك " ^(٣)، فهذا يدل لنا على مدى انتشار عبادة الشمس عند العرب قبل الإسلام ^(٤).

أما عبادة القمر فقد برهن الحديث الشريف في الصحيحين على وجودهما عند عرب قبل الإسلام فكما أشرنا سابقاً إلى ان القمر كان احد الأجرام السماوية التي الفت الثالوث الكوكبي المقدس فقد عبد القمر في شبه الجزيرة العربية، ففي الشمال عبد الانباط، الإله عيد نون ويمثل عندهم القمر ^(٥)، كما عبدوا اللات وكانت عندهم آلهة القمر ^(٦)، كما عبد القمر عند التدمريين متمثلاً بالإله عجل بعل او يرحيل ^(٧)، كما كان القمر الإله الرئيسي في تيماء حيث كانوا يعبدونه ^(٨).

(١) منذر البكر/معجم أسماء الآلهة/ص ١٤

(٢) منذر البكر/في الميثولوجيا العربية الشمس في عبادة العرب/ص ١١٥

(٣) ابن سعد/الطبقات/٨/٤٧٥؛ ابن عبد ربه/الاستيعاب/٢/٥١٩؛ بن الاثير/أسد الغابة/٦/١١٥؛ ابن حجر/الإصابة/٤/٣٠٣

(٤) ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أنظر: منذر البكر/الميثولوجيا العربية الشمس في عبادة العرب/ص ١٠٩-١٢٣

(٥) منذر البكر/المصدر السابق/ص ٣٣

(٦) صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٤٤

(٧) منذر البكر/معجم أسماء الآلهة/ص ٣٢؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٥١؛ شذى أحمد الخالدي/تدمر أبان القرنين الثاني والثالث الميلاديين/ص ١٢٦

(٨) منذر البكر/م.ن/ص ٩؛ وتيماء: بلدة في أطراف الشام على طريق الحاج الشامي ودمشق. ياقوت الحموي/معجم الحموي/معجم البلدان/٢/٦٧

كما عبد عرب الجنوب الإله القمر^(١)، الذي يأتي تحت أسماء ونعوت مختلفة ولكنها بمعنى واحد وهو القمر^(٢)، فهو عند السبائيين (المقه)، وعند المعينين (ود)، وعند الحضرميين (سين)^(٣) ومما هو جدير بالذكر ان الإله المقه، يعد الإله الرئيس للسبائيين^(٤).

وكان القمر إلهاً رئيسياً عند الصابئة، أولئك الذين زعموا انه يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي، واتخذوا له صنماً على شكل عجل ويبد الصنم جوهرة، يعبدونه ويسجدون له، وكان للاتصال بين هذه الاقوام وعرب الشمال أثر في التبادل الحضاري بينهما وكان من هذه الآثار عبادة القمر^(٥).

وكان القمر آلهة رئيسياً عند البدوي العربي الذي طالما ارتكزت ديانتة على أسس فلكية علوية، فقد كان القمر محور الاعتقادات الفلكية الدينية الأولى عنده، إذ كان يرعى قطعانه على ضوئه، فعبادة القمر لها تأثير لاحق على حياته وبيئته البدوية^(٦). كما وجد من بين العرب من انتسب إلى القمر، فكان أحد احيائهم بنو قمر، ومن بطون خزاعة بنو قمير^(٧)، كما سمي العرب ابناءهم باسم القمر^(٨). ومما تقدم يتبين لنا مدى انتشار ومعرفة عبادة القمر لدى العرب قبل الإسلام، على عكس زعم أحد الباحثين الذي يقلل من جود هذه العبادة بين العرب قبل الإسلام^(٩).

(١) عبد المعيد خان/الأساطير والخرافات عند العرب/ص ١١٩

(٢) منذر البكر/دراسة في الميثولوجيا العربية/ص ١٠٨

(٣) محمد عبد القادر بافقيه/تاريخ اليمن القديم/ص ٢١٣؛ منذر البكر/دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ

الدول الجنوبية/ص ٢٣٨؛ صباح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢١

(٤) للمزيد من المعلومات أنظر: مظهر علي الارياني/في تاريخ اليمن نقوس مسندية وتعليقات/ص ٤١-٤٨٥؛ منذر

منذر البكر/م.ن/ص ٢٣٨

(٥) جواد علي/المفصل/٦/٥٤؛ عمر رضا كحالة/العالم الإسلامي/١/٨٢

(٦) فيليب حتي/تاريخ العرب المطول/ص ١٤٣

(٧) ابن دريد/الاشتقاق/ص ٤٦٩؛ الهمداني/صفة جزيرة العرب/ص ٩٠-٩١

(٨) شاکر مجيد كاظم/مذاهب العرب في تسمية ابنائهم قبل الإسلام/ص ٢٣

(٩) حيث يقلل محمود الحوت من هذه العبارة بقوله (مع قلة البراهين التاريخية التي تدل على وجود عبادة القمر بين

بين العرب في جاهليتهم ..) في طريق الميثولوجيا/ص ٩٥

أما عن عبادة الكواكب أو الآلهة الفكرية الأخرى، فقد عبدت بعض القبائل كخزاعة ولخم وقريش وعبد القيس الشعري العبور وهي الشعري اليمانية، في حين عبدت طيء النثريا والمرزم وسهيل، وكان طائفة من تميم وكنانة عبدت الدبران والعيوق^(١).

٣- عبادة الجن :

لقد ورد في حديث الصحيح الإشارة إلى عبادة العرب قبل الإسلام للجن فقد ورد في حديث " انه كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن فأسلم نفر من الجن واستمسك الانس بعبادتهم فنزلت اولئك الذي يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة " ^(٢) وهذا يدل على وجود عبادة الجن بين عرب قبل الإسلام، كما ذكرهم لنا أيضاً القرآن الكريم في قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن)^(٣) وقال ابن الكلبي " ان بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن " ^(٤).

وكانت عبادة عرب قبل الإسلام للجن قد نشأت من الخوف والاستعاذة منهم، فقد كانت عادة العرب قبل الإسلام يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ان يصيبهم شيء يسؤهم، كما كان احدهم يدخل بلاد اعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن ان الانس يعوذون بهم من خوفهم زادوهم رهقاً أي خوفاً، حتى كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من أن أضرب انا فيه او مالي او ماشيتي ^(٥).

وقد اعتقد العرب قبل الإسلام ان الجن مخلوقات هوائية قادرة على التشكل بما تريد وانهم أقوىاء يفعلون ما يعجز عنه البشر، وان لهم قوى سحرية فخافوهم وعبدوهم ^(٦)، كما ان عرب قبل

(١) لمزيد من المعلومات حول عبادة الكواكب والنجوم عند العرب انظر: محمد عبد المعيد خان/الاساطير والخرافات والخرافات عند العرب/ص ٢٣-١٥٧؛ محمود الحوت/م.ن/ص ٩٧-١٠٢؛ جواد علي/الفصل ٦/٥٧-٦٠؛ عبد العزيز سالم/تاريخ العرب في عصر الجاهلية/ص ٤٧٨؛ عمر رضا كحالة/المصدر السابق/١/١٥؛ رشيد الجميلي/تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية/ص ٢٣٨

(٢) مسلم/الصحيح/٨/٢٤٤

(٣) القرآن الكريم/الجن/٦؛ ولقد وردت في القرآن الكريم آيات أخرى تتحدث عن عبادة الجن مثل سورة سبأ/٤١

(٤) ابن الكلبي/الأصنام/ص ٣٤

(٥) الفخر الرازي/التفسير/٣٠/١٥٧؛ ابن كثير/التفسير/٤/٤٢٨-٤٢٩؛ ابن طاهر الفيروزآبادي/تنوير المقياس في تفسير ابن عباس/ص ١٤٤؛ السيوطي/الدر المنثور/٦/٢٧٢؛ أحمد محمود العبيدي/الجوار في الشعر العربي/ص ٨٩

(٦) الزبيدي/تاج العروس/٩/١٦٥؛ هاملتون جب/دراسات في حضارة الإسلام/ص ٢٣٨؛ محمد اسعد طليس/تاريخ الأمة العربية/ص ١٢٦-١٢٧

الإسلام قد زعموا انهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم، وربما جاؤها وتزوجها، كما زعموا ان عمرو بن يربوع بن سليط تزوج الغول وأولدها بنين^(١)،

كما انهم ايضاً قاتلوها، كما فعل بنو سهم عندما قاتلوا الجن في مكة حتى علت الغبرة فسموهم بالغياطلة لقتالهم الجن^(٢)، وكما فعل علقمة بن صفوان بن امية بن حرب الكناني جد مروان بن الحكم لأمه، عندما تقاتل مع الجن فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين حتى اشتهر عندهم ان علقمة بن صفوان قتله الجن^(٣)، كما قيل ان تأبط شراً قاتل الجن وأورد ذلك في شعره حيث يقول:

ألا مبالغ فتيان فهم	بما لا قيت عند رضى بطن
بأنى قد لقيت الغول تهوي	بسهب كالصحيفة صحن
فاضربها بلا دهش فخرت	صريعاً للبيدين والجران ^(٤)

كما جعلوا لها مطايا يمتطونها وهي من الحيوانات والطيور، مثل الورل والقنفذ والأرنب والطبي واليربوع، والنعام والحيات، حتى كانوا يزعمون ان الرجل اذا قتل قنفذاً او ورلاً

(١) الجاحظ / الحيوان/ ١٩٦-١٩٧؛ ابن دريد/ الاشتقاق/ ص ٢٢٧؛ ابن ابي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ١٩/ ٤٤١؛ شاعر مجيد كاظم وجواد كاظم منشد/ الحياة العقائدية والاجتماعية في شرح نهج البلاغة/ ص ١٣-١٤، والغول: هو أحد أنواع الجن. الجاحظ/ م. ن. ١٩٧/ ٦

(٢) الازرقى/ اخبار مكة/ ١٦/ ٢؛ شاعر مجيد كاظم وجواد كاظم منشد/ الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب/ ص ١٢-١٣، الغياطة: وهم بنو سهم سمو الغياطة لأن رجلاً منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعا فأظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التي اصابهم والغيطة الظلمة الشديدة. / الزبيدي/ المصدر السابق/ ٨/ ٦٤

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ١٧٠/ ٢؛ السيوطي/ الدر المنثور/ ١٢١/ ١

(٤) تأبط شراً / الديوان/ ص ١٠٦-١٠٧؛ ابن قتيبة/ الشعر والشعراء/ ٣١٣/ ١؛ وتأبط شراً هو: ثابت بن جابر بن سفيان من بني فهم من قيس عيلان بن مضر بن نزار وأمه جارية سوداء فكان أحد أغربة العرب وكأنه صعلوكاً، وتأبط شراً لقباً له، ابن قتيبة/ م. ن. ١/ ٣١٢

لم يأمن الجن على فحل ابله^(١)، كما انهم قسموا الجن إلى انواع وسموها باسماء مختلفة^(٢).

ويؤكد لنا الحديث الشريف باستمرار عبادة الجن حتى بعد مجيء الإسلام حيث جاء فيه " فاسلم النفر من الجن واستمسك الأنس بعبادتهم"^(٣) ويروي بن كثير رواية في هذا فيقول " عن كروم عن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فأوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا تراه، يقول: يا سرحان ارسله، فأتى الحمل يشد حتى دخل الغنم لم تصبه كدمة وانزل الله تعالى على رسوله بمكة الآية (انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن)^(٤) وهذا يؤكد أنها عبادة معروفة عند اعراب الجزيرة قبل الإسلام.

(١) الجاحظ/الحيوان/٦/٤٦-٤٧

(٢) عن أنواع الجن واسمائها أنظر: ابن ابي الحديد / شرح نهج البلاغة/١٩/٤١٣؛ الدميري/حياة الحيوان

الكبرى/١/١٩٢؛ محمود الحوت/ في طريق المثلوجيا/ص٢١٦-٢١٧؛ محمد أسعد طلس/تاريخ الأمة

العربية/ص١٢٨؛ سعد زغلول عبد الحميد/في تاريخ العرب قبل الإسلام/ص٣٢٦

(٣) مسلم/الصحيح/٨/٢٤٤

(٤) ابن كثير/التفسير/٤/٤٢٩

٤- المسيحية عند العرب قبل الإسلام:

لقد أشار مسلم في صحيحه إلى أن العرب قد عرفت المسيحية قبل الإسلام، وخاصة في مكة، فقد قالت عائشة (رض) نقلاً عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: " أتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى - أي السيدة خديجة (ع) بعد نزول الوحي عليه وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب... " (١) وهذا الحديث دليل على تنصر بعض أهل مكة قبل الإسلام، وقد وفدت هذه الديانة المسيحية إلى الجزيرة العربية عن طريق اتصال العرب بالروم (٢)، وعن طريق المناذرة بالحيرة (٣)، فقد تنصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة عندما نصحه وحبب إليه النصرانية عدي بن زيد (٤)، كما كان القسس والرهبان يردون أسواق العرب ويعطون وييشرون، ويذكرون البعث والحساب، والجنة والنار، وقد كان من هؤلاء النصاري خطباء وشعراء، كقس بن ساعدة الأيادي، وأميرة بن ابي الصلت وعدي بن زيد العبادي، وهؤلاء لهم مسحة خاصة في شعرهم، عليها طابع الدين ومتأثرة بتعاليمه (٥).

(١) مسلم / الصحيح/ ١/ ٩٧

(٢) بيغوليفسكايا/العرب على حدود بيزنطة وإيران/ص ١٣٣-٣٢٤؛ إبراهيم نمير سيف الدين/تاريخ العرب وعصر النبوة/ص ١٨

(٣) إسرائيل ولفنسون/تاريخ اليهود في جزيرة العرب/ص ٨٥؛ إبراهيم نمير سيف الدين/م.ن/ص ١٨

(٤) حمزة الاصفهانى/تاريخ سني ملوك الأرض/ص ٩٥؛ إبراهيم بن محمود البيهقي/المحاسن والمساوي/١/٨٥-٨٦؛ أحمد

أمين/فجر الإسلام/ص ٢٧؛ محمد أحمد جاد المولى بك/قصص العرب/١/٧٣؛ وعدي بن زيد بن ايوب بن سعد بن زيد من بني تميم شاعر معروف وكل نديماً للنعمان ملك الحيرة، وقد مات في سجن النعمان بن المنذر ولقب بالعبادي وليس نسبه بل نسبة إلى دينه لأنه تنصر. الزركلي/الاعلام/٥/٩

(٥) أحمد أمين/م.ن/ص ٢٧، وقيس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة الايادي، أحد خطباء العرب المشهورين وحكمائهم خالف دين الجاهلية الوثني وتنصر بل هناك اعتقاد بأنه من الحنفاء، وقد توفي قبل البعثة النبوية بقليل. الزركلي/م.ن/٦/٣٩. أمية بن ابي الصلت بن ربيعة بن عوف بن عقدة بن مغيرة الثقفي، شاعر جاهلي مشهور ويعتقد انه من الحنفاء وذلك لكثرة اشعاره التوحيدية وقد ادرك الإسلام إلا انه لم يؤمن وتوفي على ما كان عليه. الزركلي/المصدر السابق/١/٣٦٤

وقد تنصرت بعض قبل العرب فمن قبائل العرب التي تنصرت اباد وربيعه كلها، وبكر وتغلب، والنمر، وعبد القيس، وغسان وبنو الحارث بن كعب، وطيء وتتوخ ومدحج وكثير من كلب، وكل من سكن الحيرة من تميم ولخم، وكان قد تنصر من قريش نفر يسير، وهم شيبه بن ربيعة بن عبد شمس، وعثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى بن قصي وابن عمه ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى، وأما من بقية العرب فكان الحرث بن كعب وتميم بن مرة واسد بن خزيمه^(١). هذا وكانت نجران والحيرة، من أشهر واكبر مراكز النصرانية في جزيرة العرب^(٢).

(١) ابن حبيب /المحبر/ ص ١٧١؛ اليعقوبي/التاريخ/ ١/٢٥٧؛ ابن حزم/جمهرة انساب العرب/ ص ٤٩١؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/ ١/٤٩.

(٢) لمزيد من المعلومات حول أهم مواطني النصرانية أنظر: محمود الحوت: في طريق الميثولوجيا/ ص ٣٠؛ جواد علي/المفصل/ ٦/٥٨٢-٦٢٢؛ احمد الربيعي/قيس بن ساعدة الايادي/ ص ٢٣٧ وما بعدها؛ ومدينة نجران: هي من مدن اليمن تسكنها قبيلة همدان وتشمل على قرى وعمائر ومياه وهي على طريق مكة. الياقوت الحموي/معجم البلدان/ ٥/٢٦٥؛ ابي الفدا/تقويم البلدان/ ص ٩٣؛ الحيرة: وعلى على ثلاثة أميال من الكوفة في العراق على موضع يقال له النجف كان مسكن آل مصر بن لخم ملوك الحيرة في الجاهلية، وتوجد فيها الأديرة الكثيرة والأنهار وسميت الحيرة لأن تبع الأكبر ملك اليمن عندما اراد بجيشه خراسان رحل إلى هذه المنطقة فتحير فنزلوا فيها فسميت كذلك. ياقوت/م.ن/ ٣٢٩-٣٣٠؛ ابي الفداء/م.ن/ ص ٢٩٩

المبحث الثاني الطقوس الدينية

١- عدة الشهور العربية والأشهر الحرم:

لقد كان العرب يعرفون ويهتمون بعدد الأشهر والسنين وخير ما يدلنا على اهتمام العرب بعدد سنينهم وأعمارهم قول المستوغر بن ربيعة بن كعب وهو أحد المعمرين في الجاهلية حيث قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وازددت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل بقي إلا لحما قد فاتنا يوم يكر ليلة تحدونا (١)

وهذا ما أكدّه الرسول (ﷺ) إلى المسلمين في حجة الوداع في حديث له إذ قال " ... إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً .. " (٢) فقد كانت السنة عند عرب قبل الإسلام اثنا عشر شهراً هلالياً (٣) وقد سمي العرب كل شهر من هذا الأشهر بأسم وهي: المحرم، وصفر، وربيع الأول، وربيع الآخر، وجمادي الأولى وجمادي الآخرة، ورجب، وشعبان، ، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة (٤).

كما يذكر الصحيحان في حديث نبوي أيضاً أن هناك أربعة أشهر حرم حيث قال (ﷺ): " منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .. " (٥) وقد ذكرها القرآن الكريم مع عدة الشهور في قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين

(١) محمد بن سلام الجمحي/ طبقات الشعراء/ص١٢

(٢) البخاري/الصحيح/٨/١٨٥؛ مسلم/الصحيح/٥/١٠٧

(٣) القرطبي/التفسير/٨/٥٤؛ ابن حجر /فتح الباري/٨/٤٠٢

(٤) البيروني/الآثار الباقية/ص٦٩؛ أبن عبد ربه/العقد الفريد/٦/٢٦٦؛ السيوطي/المزهر في علوم اللغة

وأنواعها/١/٢١٨-٢٢٠؛ النويري/نهاية الأرب في فنون الأدب/١/١٥٨؛ ابن سيد/المخصص/٩/٤٣؛ كما أن

هناك أسماء للأشهر العربية بصيغ أخرى يمكنك مراجعتها والاطلاع عليها في: البيروني/م/ن/ص٦٩؛

النويري/١/١٥٧

(٥) البخاري/الصحيح/٨/١٨٥؛ مسلم/الصحيح/٥/١٠٧

القيم^(١)، فقد جعل العرب هذه الأشهر الأربعة حرم، وقد اختلفوا لم سميت الأشهر الأربعة حرماً، فقليل لعظم حرمتها وحرفة الذنب فيها، وقيل إنما سميت حرماً لتحريم القتال فيها وكان ذلك معروفاً في الجاهلية، وقيل انه كان من عهد ابراهيم (ع)، وقيل ان سبب التحريم هذه الأشهر الأربعة بين العرب لأجل التمكن من الحج والعمرة فحرم شهر ذي الحجة لوقوع الحج فيه وحرم معه شهر ذي القعدة للسير فيه إلى الحج وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج حتى يأمن الحاج على نفسه من حين يخرج من بيته إلى ان يرجع اليه وحرم شهر رجب للاعتمار فيه في وسط السنة فيعتمر فيه من كان قريباً من مكة^(٢). ويبدو لي ان السبب الاخير هو الأقرب إلى الصحة، إلا وهو الأمن والطمأنينة، والباحث يتفق مع الرأي القائل " ان حرمة الأشهر ضرورة فرضتها الظروف العديدة التي طبعت البيئة بسبب غياب السلطة المركزية، وفقدان الأمن، مما استدعى ايجاد نوع من الهدنة المقدسة خلال فترة زمنية محددة، يعم خلالها الأمن والسلام ويتمكنوا من قضاء جميع مصالحهم المختلفة، ومن أبرزها زيارة الأماكن المقدسة، ومن هنا فإن الأشهر الحرم ترتبط ارتباطاً قوياً بحرمة الأماكن المقدسة، وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى **(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي..)**^(٣) ان ارتباط الاشهر الحرم بالمواسم الدينية، اعطى لهذه الأشهر طابعاً مقدساً بحيث بات الخروج عنها نوعاً من الفجور، ويبدو ان المنفعة التي حصل عليها العرب كانت كبيرة، لذلك لجأ معظمهم إلى تمديد هذه الأشهر بغية إطالة هذه الاشهر والاستفادة من ثمارها، ويظهر من ذلك أن الاشهر الحرم لعبت دوراً مهماً في إشاعة الأمن ونشر السلام الامر الذي سهل على الحجاج واصحاب المصالح الاخرى إلى الوصول إلى اهدافهم بسلام^(٤)، فاستقر بهذه الاشهر الحرم الامن والامان، بحيث لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل ابيه لم يهجه^(٥)، كما كان

(١) القرآن الكريم/التوبة/ ٣٦

(٢) زين الدين بن رجب الحنبلي/ الطائف المعارف في المواسم العام من الوظائف/ ص ١١٩/ظافر القاسمي/ نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي/ ص ١٠-١١.

(٣) القرآن الكريم/ المائدة/ ٩٧.

(٤) هاشم يونس عبد الرحمن/ المثل والقيم الخلقية عند العرب/ ص ٤٧-٤٨.

(٥) الطبري/ التفسير/ ١٠ / ١٢٤، الزمخشري/ الكشاف/ ٢/ ١٨٨؛ الفخر الرازي/ التفسير/ ١٦/ ٥٣.

الرجل إذا أراد سفراً نظر في امره فأَن كان السفر الذي يريد يعلم انه يذهب ويرجع قبل ان يمضي الشهر الحرام توجه آمناً^(١).

ولم تكن حرمة الاشهر الحرم خاصة وقاصرة فقط على قريش ومن معها في الحمس بل كان أيضاً عند بقية القبائل والملوك أيضاً، فهذا النعمان بن المنذر الذي تنصر وملك الحيرة عندما جهز جيشاً ضد بني عامر في يوم السلان قال لهم: اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم إلى بلادهم فأقصدوا بني عامر فأنهم قريب بنواحي السلان^(٢). ومع هذا التحريم وشدته عند العرب قبل الإسلام للأشهر الأربعة الحرم، إلا ان قسماً من العرب قبل الإسلام لم يلتزموا بالحرمة وتقاليدهم، وخير مثال على ذلك قيام حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان، وحرب الفجار الأولى والثانية في يثرب بين الأوس والخزرج، ولو كانت قريش وهي سادنة الكعبة تحترم وتلتزم ما تدين به من الأشهر الحرم لما قتل البراض بن قيس الكناني، عروة الرجال لما اجار اللطيمة وهي القافلة التجارية للنعمان بن المنذر ملك الحيرة في الشهر الحرام لما قامت الحرب بين القبيلتين في هذا الشهر^(٣).

كما يخبرنا الحديث النبوي الشريف المار الذكر عن وجود اختلاف عند العرب قبل الإسلام في شهر رجب، ويؤكد الحديث على رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، إذا كان هناك نوعان من رجب هما رجب مضر، وهو الذي يقع بين جمادى وشعبان كما ذكر الحديث، ورجب ربيعة وهو الذي يقع بين شعبان ورمضان، وكانوا يسمونه رجباً، وكانت ربيعة تجعله مكان رمضان وتصومه^(٤) أما إضافة رجب إلى مضر فلأن مضر كانت تزيد في تعظيمه واحترامه فنسب اليهم ذلك، وقيل كانت ربيعة تحرم رمضان، وتحرم مضر رجباً، فلذلك سماه الرسول (ﷺ) رجب مضر

(١) مقاتل بن سليمان/ تفسير مقاتل/ ١/ ٤٤١.

(٢) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ/ ١/ ٦٣٩؛ محمد أحمد جاد المولى بك/ أيام العرب/ ص ١٠٧؛ ويوم السلان: وهو يوم من أيام الجاهلية بين بني عامر بن صعصعة والنعمان بن المنذر ملك الحيرة، وكان سببها ان تعرض بني عامر اللطيمة القافلة التجارية التي يجهزها النعمان لتباع في سوق عكاظ، وقد انتصر بها بنو عامر على النعمان بن المنذر.

ابن الاثير/ م/ ن/ ١/ ٦٣٩؛ أبن عبد ربه/ العقد الفريد/ ٥/ ١٨٤/ محمد أحمد جاد المولى/ م/ ن/ ص ١٠٧

(٣) أبو الفرج الاصفهاني/ الاغانى/ ٢٢/ ٦٢-٦٦؛ ابن عبد ربه/ م/ ن/ ٥/ ٢١٧؛ ابن كثير/ البداية والنهاية/ ٢/ ٢٨٩-٢٩٠

(٤) عبد المحسن الحسيني/ تقويم العرب في الجاهلية/ ص ٤٤

وحقق ذلك بقوله الذي بين جمادى وشعبان^(١) وبذلك يكون قد حدد الحديث النبوي شهر رجب المحرم، كما ذكروا لرجب أربعة عشر أسماً وقيل سبعة عشر، كما كانت فيه أحكام كثيرة وأعمال يقوم بها العرب قبل الإسلام^(٢).

٢- النسبي :

وبعد ان تكلمنا عن الأشهر العربية قبل الإسلام والأشهر الحرم منها تحديداً والتي أخبرنا بها الصحيحان، فقد ارتبط بها عمل جاهلي يكون في الأشهر الحرم والذي يقول فيه الحديث "إلا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض .."^(٣) ويقول في هذا الطبري والزمخشري أي رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسبي الذي كان في الجاهلية أي ان في الحديث إشارة إلى هذا الفعل الجاهلي^(٤). والنسبي في اللغة هو التأخير^(٥)، واصطلاحاً هو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، وهو شيء كان يفعله العرب قبل الإسلام وذلك لأنهم كانوا اصحاب حروب وغارات، فكانوا ينسأون الشهر الحرم فيحطلونه في هذا العام ويحرمونه في العام المقبل^(٦) ويقول ابن دريد " فكانوا في الجاهلية يقدموا المحرم سنة وينسأ سنة أي يؤخر ولم يكن المحرم معروفاً في الجاهلية، وإنما كان يقال له ولصفر الصفران، وكان أول الصفرين من أشهر الحرم يحرم القتال فيه، وإذا احتاجت إلى القتال أنسأته فحاربت فيه فحرمت

(١) ابن الجوزي/التبصرة/٢/٢١؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص١٢٢؛ جواد علي/المفصل/٨/٤٨٣؛ محمد محمد أسعد طلس/تاريخ الأمة العربية/ص١٤٠

(٢) لمزيد من المعومات النظر: ابن رجب الحنبلي/م.ن/ص١٣٢-١٢٤؛ جواد علي/م.ن/٨/٤٨٣-٤٨٤

(٣) البخاري/الصحيح/٨/١٨٥؛ مسلم/الصحيح/٥/١٠٨

(٤) الطبري/التفسير/١٠/١٢٦-١٢٧؛ الزمخشري/الكشاف/٢/١٨٨؛ وكذلك أنظر: ابن حجر/فتح الباري/٨/٢٤٤؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص١١٧

(٥) الفراهيدي/العين/٧/٣٠٥؛ ابن دريد/جمهرة اللغة/٣/٢٦٩؛ ابن منظور/لسان العرب/١/١٦٦

(٦) الطبري/المصدر السابق/١٠/١٢٩؛ الزمخشري/المصدر السابق/٢/١٨٩؛ القرطبي/التفسير/٨/٥٦؛ جواد

علي/المصدر السابق/٨/٤٨٨

الثاني مكانه ^(١) كما كان من العرب من يجعل في رجب وشعبان ما ذكر في المحرم وصفر فيحلون رجباً ويحرمون شعبان ^(٢) وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

لنا ناسئ تمشون تحت لوائه يمل إذا شاء الشهور ويحرم ^(٣)

وكانوا قد التجأوا إلى هذه الطريقة من كبس الشهور، وذلك لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات لئلا تتوالى عليهم ثلاثة أشهر محرمة فيضيق عليهم ما اعتادوه من الحرب لأنهم كانوا يتخرجون فيها من القتال وذلك لتعظيم الأشهر الحرم، فكانوا يؤخرون الشهر الحرام ويحرموا مكانه شهراً من أشهر الحل، وكذلك كانوا يؤخرون الحج في كل عام توخياً منهم للسنة الشمسية ^(٤)، كما يمكن ان يرجع اتباع أهل مكة للنسبيء إلى عامل آخر هو العامل الاقتصادي من أجل عدم الاخلال بتجارتهن في رحلتي الشتاء والصيف، حيث ان القرشيين إبتدعوا النسبيء لتطابق السنة الشمسية مع السنة القمرية فلا يخل برحلتى الشتاء والصيف التجاريتين اللتين تقعان في فصلين ثابتين بقطع النظر عن الأشهر الحرم، ووقعها في فصول تختلف من عام إلى عام، لوجدنا ما كان للتجارة من أهمية بالغة في حياة المكين قبل الإسلام ^(٥)، كما كان لهم طرق متعددة في طريقة طريقة تنظيم النسبيء ^(٦).

أما الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب قبل الإسلام والذي يدعون النساء ^(٧)، فقد اختلفت الروايات التاريخية، في أول من انسأ الشهور، فقد وردت لنا ثلاث روايات تذكر لنا بأن النساء كانت

(١) ابن دريد/جمهرة اللغة/٣/٢٩٠؛ وأيضاً بنفس المعنى انظر: ابن الجوزي/التبصرة/٢/٢٥

(٢) النويري/نهاية الأرب/١/١٦٥؛ ابن حجر/فتح الباري/٨/٢٤٤

(٣) البيروني/الأثار الباقية/ص ٧١

(٤) الزمخشري/الكشاف/٢/١٨٩؛ السهيلي/الروض الأنف/١/٦٤؛ القرطبي/التفسير/٨/٥٦؛ النووي/شرح مسلم / ٨/

٦٦؛ النويري/نهاية الأرب/١/١٦٦؛ ابن حجر/المصدر السابق/٣/٣٣٨؛ محمد كرد علي/الإسلام والحضارة

العربية/١/١٢٧

(٥) الفخر الرازي/التفسير/١٦/٥٨؛ نبيه عاقل/الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لمقاومة قريش الدعوة

الإسلامية/ص ٨٤

(٦) حول طرق تنظيم النسبيء أنظر: عبد المحسن الحسيني/تقويم العرب في الجاهلية/ص ٦١-٦٣

(٧) ابن هشام/السيرة النبوية/١/٦٢

بيد كندة لأنهم كانوا ملوك العرب من ربيعة ومضر، ثم انتقلت منهم إلى مالك بن كنانة عندما صاهرهم ثم استمرت في ولده بعده، والرواية الثانية يذكر فيها أن أول النساء هو حذيفة بن عبد الله بن ققيم، ومن ثم أولاده، ويذكر الرواية الثالثة أن أول من نسأ الشهور هو عدي بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة ثم كان بعد عدي حذيفة بن عبد الله بن ققيم^(١) كما أن النويري يذكر أن عمرو بن لحي هو أول من نسأ الشهور^(٢)، كما أن مصعب الزبيري يورد بأن أول أول من نسأ الشهور هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، وانقرض سرير فنسأ الشهور بعده ابن أخيه القلمس، واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة، ثم صار النسبي في ولده^(٣)، إلا أن الذي أجمع عليه المؤرخون وأهل الأخبار، والمستفاد أيضاً من الروايات المتقدمة آنفاً، أن أول من نسأ الشهور للعرب هو حذيفة بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة الذي يدعى بالقلمس، وهو من أسماء البحر ورجل تلمس أي كثير الخير والعطاء، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة، ومن ثم بعده ابنائه، وكان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف، وعليه قام الإسلام، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجياً وذا القعدة وذا الحجة، والمحرم، فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصدر قام فيهم وقال: اللهم اني قد أحللت لك أحد الصفرين الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل، وفي ذلك يقول عمرو بن قيس بن جذل الطعان من بني ثعلبة بن مالك بن كنانة في أبيات يفتخر بالنساء على العرب:

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس أن لهم كراما
فأي الناس فأتونا بوتر واي الناس لم تعلق لجاما
السنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما^(٤)
حراما (٤)

(١) الفاسي/شفاء الغرام/٣٩/٢؛ القرطبي/التفسير/٥٨/٨

(٢) النويري/نهاية الأرب/١٦٥/١

(٣) أبي عبد الله مصعب الزبيري/نسب قريش/ص ١٣

(٤) أنظر: ابن هشام /السيرة النبوية/١-٦٣-٦٤ ؛ ابن حبيب/المحبر/ص ١٥٧؛ الطبري/التاريخ/٢-٢٥٩؛

المسعودي/مروج الذهب/٢/٦١؛ أبي الهلال العسكري/الأوائل/ص ٢٤؛ النويري/المصدر السابق/١/١٦٦؛ جواد علي /المفصل/٨/٤٩٧

وعندما جاء الإسلام حرم النسيء وعبر عنه القرآن الكريم بأنه " زيادة في الكفر.. " ^(١) بوصفه أحد أفعال الجاهلية التي ابتدعت قبل الإسلام.

٣ - الحج والعمرة:

من خلال سير البحث وجدت في أحاديث الصحيحين العديد من الإشارات إلى طقوس العرب قبل الإسلام في أداء فريضة الحج، والحج هو قصد بيت الله الحرام في مكة، على الرغم من وجود بيوت أخرى كما ذكرنا كانت تقدسها وتجمع إليها بعض القبائل ^(٢)، إلا أن الأحاديث اختصت بالحج إلى مكة فقط، وذلك يبدو بسبب علاقته الوثيقة بالإسلام وذكر القرآن له ^(٣) أو بسبب أن الرسول (ﷺ) لم يحضر محفلاً دينياً قبل الإسلام غير الذي في مكة والذي كانت تشارك به أغلب القبائل العربية وكان الحج يعتبر من أهم الشعائر الدينية عند عرب قبل الإسلام ^(٤).

فمن طقوس الحج عند العرب قبل الإسلام، والتي ذكرها لنا مسلم في صحيحه، ففي لباس الحاج، سئل رسول الله (ﷺ) عن لباس المحرم ما يلبس فقال (ﷺ): لا تلبسوا القمص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران ولا الورس ^(٥)، ويبدو أن عرب قبل الإسلام كانوا يحجون إلى مكة بغير ثياب الاحرام بل ثيابهم العادية المزركشة والمعطرة، فلذلك نهى النبي (ﷺ) عن هذه الأشياء التي كانت تفعل سابقاً.

(١) القرآن الكريم/التوبة/آية ٣٧

(٢) ابن الأثير/جامع الأصول/٤/٣؛ ابن منظور/لسان العرب/٣/٤٩؛ ابن حجر/فتح الباري/٣/٢٩٩؛ الزبيدي/التاج العروس/٢/١٦-١٧؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢١٠؛ رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص ٢٢٧

(٣) رشيد الجميلي/م.ن/ص ٢٢٨

(٤) هاملتون جب/دراسات في حضارة الإسلام/ص ٢٣٩

(٥) مسلم/الصحيح/٤/٢-٣؛ البرنس: فلنسوة طويلة كان يلبسها الزهاد/ابن الأثير/جامع الأصول/٣/٢٤؛ الورس: نبت أصفر يكون في اليمن تتخذ منه المغرة للوجه وتصيغ به الثياب/ابن الأثير/م.ن/٣/٢٤، القمص: جمع قميص وهو الثوب الذي يلبس، ابن منظور/المصدر السابق/٧/٨٢

كما يذكر الصحيحان حديثاً عن نهى النبي (ﷺ) عن عمل جاهلي كان يمارس في الحج قبل الإسلام ألا وهو الطواف وهم عراة، فقد بعث الرسول (ﷺ) أصحابه إلى مكة للحج وأمرهم أن ينهوا ما كان من أمر الجاهلية حيث قال: "الا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان" ^(١)، ويبين لنا الحديث الشريف أيضاً أن هذا الفعل كان عند قسم من العرب قبل الإسلام، فقد جاء في الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال " كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، كانوا يطوفون عراة الا ان تعطيهم الحمس ثياباً فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء .. " ^(٢) فقد كانت قريش وهي من الحمس، وسيأتي ذكرها فيما بعد قد ابتدعت بأن لا يطوف بالبيت أحد من يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب احدهم فإن لم يجد طاف عرياناً فأن خالف وطاف بثيابه القاها إذا فرغ ثم لم ينتفع بها ^(٣). وكان هذا الفعل الفعل لا يستثني حتى المرأة كما قلنا، ففي الحديث عن ابن عباس انه قال " كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطواً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه اوكله فما بدا منه فلا أحله ^(٤)

فقد كانت الحلة* وهي تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة، وكانت بنو عامر بن صعصعة وعك فمن يفعل ذلك فكانوا إذا طافت المرأة منهم عريانة تضع احدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها، أو تضع على عورتها تطواً فكانت قبائل من العرب يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، فإذا بلغ أحدهم باب المسجد قال للحمسي من يعير مصوناً، من يعير معوزاً، فإن اعاره أحمسي ثوبه طاف به والا لقي ثيابه بباب المسجد ثم دخل للطواف فطاف بالبيت سبعاً، وكانوا يقولون لا تطوفوا في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب، ويبدو هذا هو سبب القائم لثيابهم، ثم يرجع إلى ثيابه فيجدها لم تحرك، فان طاف في

^(١) البخاري/الصحيح/٩٧/١، ١٦٤/٢، مسلم/الصحيح/١٠٧/٤

^(٢) مسلم/م.ن/ ٤٤/٤

^(٣) ابن حجر / فتح الباري/٣/٣٨٧؛ بدر الدين المعيني/عمدة القارئ شرح صحيح البخاري/٩/٢٦٥

^(٤) مسلم/الصحيح/٢٤/٨؛ ابن الاثير/جامع الأصول/١٣٩/٢

* سيأتي ذكرها لاحقاً

ثيابه لم يحل له ان يلبسها أبداً ولا ينتفع بها ويطرحها لقا، واللقا هي الثياب التي يطوفون فيها ويرمون بها بباب المسجد فلا يمسه أحد من خلق الله حتى تبليها الشمس والأمطار والرياح ووطء الأقدام، وفيه يقوله ورقة بن نوفل:

كفى حزناً كري عليه كأنه لقي بين أيدي الطائفين حريم^(١)

كما يذكر الازرقى عن مجاهد ان هناك من الحلة من يستأجر الثوب من أحمسي، ويبدو هذا سبباً اقتصادياً لأبتداع قریش لهذا الطواف، اما الحمس فكانوا يطوفون بثيابهم^(٢).

ومن طقوس الحج عند العرب قبل الإسلام التي بينها الحديث الشريف في الصحيحين هو السعي بين الصفا والمروة، فقد جاء في الحديث الشريف "السعي ببطن الوادي بين الصفا والمروة سنة انما كان اهل الجاهلية يسعونها ..."^(٣) كما جاء في الحديث أيضاً " أنها كانت من شعار الجاهلية "^(٤)، فبعد ان ارتكب اساف ونائلة جرمهما في الكعبة، فمسحا على هيئة صنمين، فقد أخرجا من الكعبة ونصب أحدهما على الصفا والآخر على المروة، وانما نصبا هنالك ليعتبر بها الناس ويزدجروا عن مثل ما ارتكبا لما يرون من الحال التي صارا اليها فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صارا يمسحان يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة ثم صارا وثنين يعبدان، فلما تولى عمرو بن لحي أمر مكة، أمر الناس بعبادتهما والتمسح بها وقال لهم: أن من كان قبلكم كان يعبدهما فكانا كذلك حتى كان قصي بن كلاب، جد النبي (ﷺ) فصارت اليه الحجابة وأمر مكة فحولها من الصفا والمروة فجعل احدهما بلصق الكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم، ويقال جعلهما جميعاً في موضع زمزم وكان ينحر عندهما، وكان أهل الجاهلية يمرون بأساف ونائلة ويتمسحون بهما وكان الطائف إذا طاف في البيت يبدأ بأساف فيستلمه فاذا فرع من طوافه ختم بنائلة فاستلمها، وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة، ويقال ان ذلك الموضع كان يسمى (الحطيم) وعليهما ثيابهما كلما

(١) الازرقى/أخبار مكة/١/٤٧٨؛ الطبري/التفسير/٨/١٦٠-١٦٣؛ النوري/شرح صحيح مسلم/١٨/١٢٧

(٢) الازرقى/م. ن /١/١٧٧

(٣) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٨؛ الصفا والمروة: جبلان يقعان في غربي مكة/ابن حوقل/صورة الأرض/١/٢٩

(٤) البخاري/م.ن/٢/١٧١، ١٥٣/٥

بليت اخلفوا لهما ثياباً^(١)، كما ان الحديث الشريف يخبرنا بأن هنالك من العرب قبل الإسلام من لا يطوف بالصفة والمروة وهم أهل يثرب، فقد جاء في الحديث الشريف " ان الانصار كانوا قبل ان يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل فكان من أهل يثرب ان يطوف بالصفة والمروة^(٢) وفي حديث آخر " أنزل هذا في أناس من الأنصار كانوا إذا اهلوا أهلوا لمناة في الجاهلية فلا يحل لهم ان يطوفوا بين الصفا والمروة " ^(٣) فقد كان اهل يثرب قبل الإسلام لا يطوفون بين الصفا والمروة وإنما كانوا يهلون لمناة الطاغية التي بالمشلل، ومناة صنم كان نصبه عمرو بن لحي في جهة البحر بالمشلل مما يلي القديد، وكانت الازد وغسان تهل له بالحج^(٤) واعتقد انهم فعلوا ذلك كونهم من الحلة^(٥) فهم مخالفون لقريش التي كانت من الحمس ولذلك خالفوها في أداء طقوسهم وشعائهم الدينية في الحج.

وحسب فهمنا لما تقدم يتضح ان شعيرة السعي بين الصفا والمروة وقد عرفها الناس قبل الإسلام وكان يؤدونها، وعندما جاء الإسلام أقرها بعد ان أجرى عليها تعديلات وشذبهها مما فيها من برائن الشرك والوثنية بحيث تتفق مع مبادئه وجوهره.

وقد بين لنا مسلم في صحيحه كذلك تلبية المشركين قبل الإسلام وهو يطوفون بالبيت ففي حديث ابن عباس (رض) انه قال " وكان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ ويلكم قد قد فيقولون إلا شريكاً هو لك تملكه وما لك يقولون هذا وهم يطوفون في البيت^(٦)، فالتلبية هي الإجابة اللازمة^(٧)، ويقول ابن حجر. " التلبية اجابة دعوة ابراهيم حين أذن في الناس بالحج، فعن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له أذن في الناس

(١) الازرقي/أخبار مكة/١/١١٩-١٢٠؛ ابن حجر / فتح الباري/٣/٣٩٨-٤٠٠؛ العيني/عمدة القارئ/٩/٢٩١؛

محمد بن اسحاق الفاكهي/المنتقى في أخبار ام القرى / ٢/٣-٤؛ السيوطي / الدر المنثور/١/١٦٠

(٢) البخاري/الصحيح/٢/١٦٩-١٧٠

(٣) مسلم/الصحيح/٤/٦٩.

(٤) النووي/شرح مسلم/٩/١٨-١٩؛ ابن حجر/المصدر السابق/٣/٣٣٩؛ العيني/المصدر السابق/٩/٢٨٧؛ السيوطي

/ المصدر السابق/١/١٥٩

(٥) ابن حبيب/المحبر/ص١٧٩؛ كستر/مكة وتميم مظاهر من علاقاتهم/ص٢٥

(٦) مسلم/المصدر السابق/٤/٨

(٧) النووي/المصدر السابق/٨/٧١؛ ابن الأثير/جامع الأصول/٣/٩١

بالحج قال رب وما يبلغ صوتي قال أذن وعليّ البلاغ، قال فنأدى إبراهيم يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض..^(١)، ومن خلال مراجعة التلبية عند العرب قبل الإسلام وجد أن الأصل فيها التوحيد والتوجه لبيت واحد فتبتدأ ب (لبيك اللهم لبيك) فمقدمتهم تكون توحيدية موجهة إلى الله سبحانه وتعالى دعوى وتضرع إليه^(٢)، فقد كانت كنانة وقريش إذا اهلوا قالوا:

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك

إلا شريكاً هوك

تملكه وما ملك^(٣)

فيلاحظ أن مقدمة تليياتهم كانت توحده سبحانه وتعالى، ثم يدخلون معه اصنانهم يجعلون ملكها بيده^(٤)، وقد كان لكل قبيلة عربية تلبية خاصة ويشركون بها صنمهم الخاص بهم^(٥).

كما تطرق الصحيحان في احاديثهما إلى الإشارة إلى افاضة الحجيج قبل الإسلام، ففي حديث عمر (رض) انه قال " أن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون اشرق ثبير، أو حتى تشرق الشمس على ثبير"^(٦)، كما يخبرنا الحديث الشريف في الصحيحين أيضاً أن قريش ومن دان دينها الحمس كانوا لا يفيضون مع باقي العرب، فقد جاء في الحديث " كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكان يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات"^(٧)

(١) ابن حجر/فتح الباري/٣/٣٢٤-٣٢٥

(٢) شاكر مجيد كاظم/قبيلة خولان بن عمرو ودورها في تاريخ العرب/ص ٢٨٦

(٣) ابن حبيب/المحبر/ص ٣١٢؛ ابن أبي الحديد/شرح نهج البلاغة/١/١١٩

(٤) النووي/شرح مسلم/٨/٧١؛ ابن كثير/البداية والنهاية/٢/١٨٨؛ شاكر مجيد كاظم وجواد كاظم منشد/الحياة العقائدية العقائدية والاجتماعية عند العرب/ص ١٠

(٥) لمزيد من المعلومات حول تلبية قبائل العرب لأصنامها انظر: ابن حبيب/المصدر السابق/ص ٣١١-٣١٦؛ اليعقوبي/١/٢٥٥-٢٥٦؛ المعري/رسالة الغفران/ص ٢٧٩-٢٨١؛ عادل جاسم البياتي/أصالة الوحدة العربية في أقدم النصوص الدينية/ص ٣٤-٤٦

(٦) البخاري/الصحيح/٢/١٧٩، ٤/٢٣٥، وثبير: جبل مشرف يرمن منى والمزدلفة قرب مكة، وكانت الجاهلية لاتدفع لاتدفع من المزدلفة الا بعد طلوع الشمس عليه. ابن حوقل/صورة الأرض/١/٣٠؛ أبي الفدا/تقويم البلدان/ص ٨١

(٧) البخاري/الصحيح/٥/١٥٨؛ مسلم/الصحيح/٤/٤٤

فقد كان العرب يقفون على عرفة قبل الأفاضة إلى المزدلفة إلا قريش والحمس فأنهم كانوا ينزلون اطراف الحرم يوم عرفة، وذلك لان قريش ترى ذلك ترفعاً لها على سائر القبائل^(١)، وقد ذكر القرآن القرآن الكريم ذلك لهم بقوله تعالى (وتم افيضوا من حيث افاض الناس)^(٢)، وكانت إفاضة الحجيج قبل الإسلام بيد آل زيد من بني عدوان، فكانوا يتوارثونها كابراً عن كابر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام وهو ابو سيارة عميلة بن الأعزل، وكان له أتان عوراء خطامها ليف، يقال انه دفع في الموقف أربعين سنة، وفيه يقول الشاعر:

نحن دفعنا عن ابي سيارة وعن مواليه بني فزاره
حتى اجاز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جاره^(٣)

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر، هو الذي يتولى دفع الناس من عرفة إلى المزدلفة، وقيل ان ام الغوث، نذرت لأنها كانت لا تلد، ان ولد ولد لها وعاش تجعله في خدمة الكعبة، ويسمى بـ(صوفة) أيضاً لان امه نذرت أن تعلق برأس الأبن الذي يعيش لها صوفة، وقد ورثه بنوه من بعده اجازة الناس ثم لما انقرضوا ورثهم من بعدهم بنو سعد بني زيد مناة بن تميم فتولى اجازة الناس من عرفة وكان آخرهم الذي جاء لإسلام عليه هو كرب بن صفوان، وفيهم يقول الشاعر:

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم حتى يقال اجيزوا آل صفوانا^(٤)
صفوانا^(٤)

وبعد أن يجيزوا إلى المزدلفة ثم يبيتون بها، فلا يزالون فيها ولا يدفعون منها حتى تشرق الشمس على جبل ثبير، وكان اهل الجاهلية يقولون " اشرق ثبير كيما نغير " أي ندفع للنفر، أي

(١) ابن حبيب/المحبر/ص٣١٩؛ الزمخشري/الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (التفسير) ١/ ٣٤٩؛ البيضاوي/التفسير/١/٢٢٧؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص٢١٧

(٢) القرآن الكريم/البقرة/١٩٩

(٣) ابن هشام/السيرة النبوية ١/١٤٤-١٤٦؛ الطبري/التاريخ/٢/٢٨٦؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد/٣/٣٣٣؛ السهيلي/الروض الأنف/١/١٤٦

(٤) ابن هشام/م.ن/١/١٤٣؛ ابن قتيبة/الشعر والشعراء/٢/٦٨٧؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد ٣/ ٣٣٣؛ السهيلي/م.ن/١/١٤٣، اما بشأن نذر أم الغوث وتعليقه الصوفة وتسميته بذلك فهذا يبين لنا أهمية المعتقدات الدينية في تربية الأطفال عند العرب قبل الإسلام .شاكر مجيد كاظم/ التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام/ص١٤٣

ادخل ايها الجبل بالشروق وهو ضوء الشمس، فكانوا إذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمام الرجال في وجوههم دفعوا من مزدلفة إلى الحرم^(١).

كما يذكر لنا البخاري حديثاً عن إحدى عادات العرب قبل الإسلام كانوا يفعلونها إذا احرموا وادواوا الذهاب للحج والعمرة، وهو دخول بيوتهم من ظهورها فقد جاء في الحديث عن براء بن عازب إنه قال " كانوا إذا احرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره..."^(٢). فقد كانوا إذا اهلوا لحج أو عمرة لم يظل أحداً منهم سقف بيت حتى يفرغ من حجته أو عمرته وكان الرجل إذا احرم لم يدخل بيته، وأن كانت له فيه حاجة تسور من ظهر بيته لأن لايجن رتاج الباب رأسه^(٣). وقد ذكر القرآن الكريم فعلهم هذا بقوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها)^(٤) وفيها يقول مقاتل في تفسيره " وذلك ان الإنصار في الجاهلية وفي الإسلام إذا احرم احدهم بالحج أو بالعمرة وهو من اهل المدن وهو مقيم في اهله لم يدخل منزله من باب الدار ولكن يوضع له سلم إلى ظهر البيت فيصعد فيه وينحدر منه أو يتسور من الجدار وينقب بعض بيوته فيدخل منه ويخرج منه فلا يزال كذلك حتى يتوجه إلى مكة محرماً، وإذا كان من اهل الوبر دخل وخرج من وراء بيته"^(٥) ويبدا أن هذا الفعل قد استمر حتى مجيء الإسلام، الذي حرمه لأنه لا يتفق مع تعاليمه^(٦).

ومن خلال دراستنا للصحيحين وجدنا في أحاديثهما انه قد سلط الضوء على العمرة قبل الإسلام، ففي حديث ابن عباس (رض) انه قال " كانوا يرون ان العمرة في اشهر الحج من افجر الفجر في الأرض ويجعلون المحرم صفراً ويقولون: اذا ابرء الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر..."^(٧) وأن العرب قبل الإسلام قد فرقوا بين الحج والعمرة فقد سمو الحج بالحج

(١) ابن حوقل/صورة الأرض/١/٣٠؛ الفاكهي/المنتقى في أخبار أرم القرى/٢/٧٩؛ ابن منظور/لسان العرب/١٢/٤٢؛ ابو الفدا/تقويم البلدان/ص ٨١؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢١٧-٢١٩؛ عواطف أديب سلامة/قريش قبل الأسلام/ص ٣٠٧-٣٠٩

(٢) البخاري/الصحيح/٥/١٥٧

(٣) الأزرقى/أخبار مكة/١/١٢٥

(٤) القرآن الكريم/البقرة/١٨٩

(٥) مقاتل/التفسير/١/٩٢

(٦) الأزرقى/المصدر السابق/١/١٢٥

(٧) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٤؛ مسلم/الصحيح/٤/٥٦

الأكبر، وأما العمرة فالحج الأصغر^(١)، وقد اختلف وقتها عند العرب قبل الإسلام، فقد كانت قريش قبل الإسلام توقع العمرة في أشهر الحج، وأنهم كانوا لا ينسخون الحج عن العمرة وكانت هذه من عاداتها، وجعلوا العمرة شهر محرم الذي هو في الأصل صفر^(٢)، بينما جعلها آخرون من غير أشهر الحج وإيضاً في غير صفر، وإنما في شهر رجب وهو أيضاً من الأشهر الحرم، حيث كانوا يقولون "إذا انسلخ صفر ونبت الوبر وعفا الأثروبراً الدبر حلت العمرة لمن اعتمر"^(٣)، أي أنها بعد انقضاء شهر صفر، ونستطيع أن نستدل على وقوع العمرة في رجب وليس في أشهر الحج الأخرى وذلك من ناحية الموسم الذي يقع فيه كل من الحج والعمرة، فقد كان الحج يقع في أواخر الصيف وأوائل الخريف وهو الوقت الذي كان يقيم أهل عبادة الشمس شعائريهم في ذلك الوقت قرب الاعتدال الخريفي، كما كان أهل الجاهلية يعظمون إله المطر في ذلك الوقت ويقومون نحوه بشعائريهم الخاصة وذلك عند مفترق فصل المطر لكي

(١) الطبري/التفسير/١٠/٦٧؛ ابن الأثير/جامع الأصول/٢/١٥٣؛ عبد المحسن الحسيني/تقويم العرب في الجاهلية/ص ٧٩

(٢) ابن حجر/فتح الباري/٣/٣٣٧-٣٣٨

(٣) ابو علي المرزوقي/الأزمنة والأمكنة/١/٢٢٢؛ ابن قيم الجوزية/زاد المعاد في هدى خير العباد/١/٢١١

يكون موسماً خصباً، أما في العمرة فكانت العتائر تهدى للبيت وتذبح هناك في موسم الرجة وهو موسم الخصب والنماء^(١).

وبما ان الحج قد ادخل فيه من شعائر الوثنية إلى جانب تعظيم البيت، بينما ظلت العمرة إلى حد ما الصورة الاصلية للحج الذي شرعه الله منذ عهد ابراهيم وهو تعظيم البيت والنحر^(٢)، وتبين لنا كذلك ان العرب قبل الإسلام قد مارسوا شعائر الحج والعمرة هذه في الجاهلية إلى جانب بقية الشعائر الأخرى التي لم يذكرها الحديث عنهم، فقد مارسوا شعائر الحج العمرة والتي شذبتها الإسلام ونقاها من براثن الشرك والوثنية^(٣).

٤. الحمس:

لقد ورد في الصحيحين احاديث شريفة تشير إلى العقائد الدينية التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام ومنها الحمس، ففي حديث عروة بن الزبير انه قال " كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس والحمس قريش وما ولدت..."^(٤) كما جاء عن عائشة انها قالت " كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس ..."^(٥)، والحمس هو التشدد^٦ وسمو حمساً لتشددهم في الدين^(٧).

وقد ابتدعت قريش الحمس، بعد عام الفيل وذلك بعد ان اعظم شأنها بين القبائل بسبب هذه الحادثة، وهذا ما يؤكد المؤرخون بقولهم " ولما كان من امر اصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم اهل الله وقطنه يحامي عنهم، فاجتمعت قريش بينها وقالوا: نحن بنو ابراهيم عليه السلام، واهل الحرم، وولاة البيت وقاطنوا مكة، فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا، ولا يعرف

(١) عبد المحسن الحسيني/المصدر السابق/ص٨٢؛ والعنيزة: الشاة التي تذبح لآلهتهم. ابو بكر الرازي/ مختار الصحاح/ص٤١٠، وسيأتي ذكرها فيما بعد

(٢) عبد المحسن الحسيني/تقويم العرب في الجاهلية/ص٨٣

(٣) صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص٢١٨؛ محمد رشدي/مدنية العرب في الجاهلية والأسلام/ص٦٢

(٤) البخاري/الصحيح/٢/١٧٥

(٥) مسلم/الصحيح/٤/٤٣

(٦) الفراهيدي/العين/٣/١٥٤؛ ابن منظور/لسان العرب/٦/٥٦؛ احمد بن فارس/مجل اللغة/ص١٨٥

(٧) احمد ابن فارس/م/ن/ص١٨٥؛ الفاسي/شفاء الغرام/٢/٤١؛ السبيلي/الروض الأنف/١/٢٢٩؛ النووي/ شرح مسلم/

١٥٥/٥؛ العيني/عمدة القارئ/١٨/١٠٨

العرب لأحد مثل ما يعرف لنا، فهلموا فلنتفق على أئتلاف اننا لا نعظم شيئاً من الحل كما يعظم الحرم، فأنا إذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثلما عظمت من الحرم، فتركوا الوقوف بعرفة والأفاضة منها، وهم يعرفون ويقولون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم، ويرى سائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها، وقالوا: نحن اهل الحرم فلا نعظم غيره، ونحن الحمس، وقد تشددوا في دينهم، وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحل مثل ما لهم بولادتهم فدخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر^(١)، فقبائل الحمس إذن هي قريش وكنانة وخزاعة وبنو عامر بنو صعصعة بن بكر بن هوازن، وكانت قريش تشتترط عند ترويح بناتها إلى غير القرشيين أن يصير كل اولداها من الحمس، فيدخل الأولاد مع امهم في التحمس^(٢) وكانت قريش إذا انكحوا عربياً أي من غير الحمس امرأة منهم اشتروا عليه إن كل ما ولدت له فهو أحمسي على دينهم^(٣) والهدف من وراء ذلك الشرط المحافظة على ميراث الأبناء الديني وتتنشئة ابنائهم على عقائدهم الدينية، والسعي إلى زيادة عدد الافراد من اتباعها الحمس على حساب الحلة والطلس بالإضافة إلى انتشار الحمس بين القبائل العربية الأخرى^(٤)، ومن ابناء القرشيات الذين دخلوا في الحمس من قيس، كلاب وكعب وعامر وكليب بنو ربيعة بن عامر صعصعة، وامهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر، فهي التي ادخلتهم في الحمس^(٥)، وكما تدخل المرأة في دين الحمس عندما تتزوج رجلاً قرشياً^(٦).

وقد ابتدعوا في التحمس اموراً لم تكن لهم، فتركوا الوقوف بعرفة ولا يطوفون عراة وكانوا يعظمون الأشهر الحرم، كما قالوا لا ينبغي للحمس ان يأقظوا الأقط ولا يسئلوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا فأن استظلوا ففي بيوت الأدم وهي الخيام المصنوعة من الجلد ما

(١) ابن هشام/السيرة النبوية/١/٢٢٩-٢٣٠؛ الفاسي/شفاء الغرام/٢/٤١-٤٢؛ ابن الأثير/الكامل/١/٤٥١-٤٥٢؛ ابي

طاهر الفيروزآبادي/تنوير المقباس/ص ٣١

(٢) ابن حزم/جمهرة أنساب العرب/ص ٤٨٦

(٣) الأزرقي/أخبار مكة/١/١٧٩

(٤) شاعر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ١٥٠

(٥) ابن حبيب/المحبر/ص ١٧٨-١٧٩؛ الفاسي/شفاء الغرام/٢/٤١

(٦) عواطف أديب سلامة/قريش قبل الإسلام/ص ٣١٢

كانوا حرماً، وكانوا لا يدخلون من الأبواب في الأحرام، ثم قالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاؤا حجاجاً أو عُماراً، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة كما حرّموا أموراً أخرى مثل أنهم إذا أحرّموا لم يدخروا لبنا ولم يحولوا بين مرضعة ورضيعها حتى يعافه، ولا يحلقون شعراً ولا يجزون ظفراً، ولا يلبسون في أحرامهم وبراً ولا صوفاً ولا شعراً ولا يتطيّبون، ولا يتدهنون، ولا يمسون النساء، ثم يلبسوا ثياباً جديدة ويتركون أكل اللحم ويطوفون بالبيت في نعالهم^(١).

والباحث يتفق مع الرأي القائل بأن فكرة الحمس إقرار بحق المواطنة في مكة و الانتماء لأرض الحرم، وليس تعصباً للدين فقط، كما يدل المعنى اللفظي لكلمة الحمس، بل ويتضمن التمييز الواضح لكل قرشي أو منتسب لقريش بنسب أو بحلف^(٢)، فهذا قد ذكر لنا الحديث الشريف الحمس وقد تكلمنا عنه، كما إن هناك طائفتان أخريتان عرفتا عند العرب أيضاً وهما الحلة* والطلس** إلا أنه من خلال دراستي للحديث النبوي في صحيح البخاري ومسلم لم اجد أي إشارة لهما.

٥- النذر والاعتكاف:

(١) انظر عنهم: ابن هشام/السيرة النبوية/٢٣٢/١؛ اليعقوبي/التاريخ/٢٥٦/١؛ الفاسي/شفاء الغرام/٤١/٢-٤٣؛ السهيلي/الروض الأنف/٢٢٩/١؛ ابن الأثير/الكامل/٤٥٢/١؛ العيني/عمدة القارئ/١٠٨/١٨؛ عبد الكريم المدرس/مواهب الرحمن في تفسير القرآن/٣٤١/٢

(٢) عواطف أديب سلامة/المصدر السابق/ص ٣١٢

* الحلة: وهم جميع العرب ما عدا الحمس، وهم الذين كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب الحمس، ويسلثون السمن ويجزون الأصواف والأوبار والشعر ويحرمون الصيد في النسك فقط ويبيحونه في غير أرض الحرم، ولا يدخلون البيوت ولا يأويهم ظل ماداموا محرمين ويدهنون ويأكلون اللحم ويخلعون نعالهم عند دخول البيت والطواف به، ومن قبائلهم تميم بن مر، وطابخة، وعدوان، وربيعة بن نزار، وقضاعة، وأسد، وطيء، وعكل، ونثر. انظر عنهم: ابن حبيب/المحبر/ص ١٧٩-١٨٠؛ الفاسي/شفاء الغرام/٤٣/٢؛ السهيلي/الروض الأنف/١/٢٣١؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢١٣-٢١٤.

** الطلس: وهم صنف ثالث غير الحمس والحلة، فأنهم يأتون من اليمن طلساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس، وهم يحرمون مثل الحلة ولكنهم يدخلون البيت ويطوفون في ثيابهم مثل الحمس، أي أنهم لا يتعرون حول الكعبة ويدخلون البيوت من أبوابها، ويقفون مع الحلة في عرفات، ومن قبائلهم أهل حضرموت، وعك، وإياد بن نزار. انظر عنهم: ابن حبيب/م.ن/ص ١٨١؛ الفاسي/م.ن/٤٣/٢؛ السهيلي/م.ن/٢٣١/١؛ صالح العلي/م.ن/ص ٢١٦

وهما من الطقوس التي عرفها العرب قبل الإسلام، وهذا ما اكده لنا الصحيحان، فقد ذكر حديثاً عن عمر بن الخطاب (رض) أنه قال لرسول الله (ﷺ) " كنت نذرت في الجاهلية ان اعتكف في المسجد الحرام قال اوف بنذكرك"^(١)، فقد كان العرب قبل الإسلام يقدمون النذور والقربان للآلهة التي تتوسط لهم وتشفع لهم في امورهم الخاصة حسب زعمهم، فيقدمون لها النذور أن استجابات هي لمطالبهم^(٢)، وقد كان الوفاء بالنذور من ابرز القيم الخلقية لديهم، لان عدم الوفاء بها قد يُقُول غضب الآلهة وبطشها^(٣).

وقد اشار البخاري في صحيحه إلى نوع من انواع النذور عند العرب، الا وهو نذر الصمت، أي أن لا تكلم احداً، فقد جاء في الحديث الشريف " دخل ابو بكر على امرأة من احمس يقال لها زينب فراها لا تكلم فقال مالها لا تكلم قالوا حجت مصمتة وقال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا عمل الجاهلية فتكلمت ..."^(٤)، فقد كانت زينب بنت المهاجر بن جابر الاحمسية، قد نذرت في الجاهلية ان وقف الشر والعداء بين قومها وقريش، أن لا تكلم احداً حتى تحج، وقد هدم الإسلام ذلك النوع من النذر الجاهلي^(٥)، وقد تعددت صور النذور عند العرب قبل الإسلام، فاما يجعل له شيء يهدى، كما فعلت نتيلة بنت حبان والدة العباس بن عبد المطلب، وكانت اضلت العباس صغيراً فنذرت ان وجدته ان تكسوا الكعبة بالديباج فرده عليها رجل من جذام، فكست الكعبة ثياباً بيضاً^(٦)، أو يهبون ابنائهم كما فعلت سلمى بنت ضبيعة، عندما مرض ابنها هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، فنذرت أن برأ ابنها لتحمسنه وأوفت بنذرهما فعلاً فحمسته^(٧)، وايضاً كما فعلت ام الغوث بن مرة (صوفة) عندما جعلته في خدمة الكعبة^(٨). وان يكون النذر بتقديم القربان، ومن اشهر ما ذكر اصحاب السير لنا من نذر قدم فيه قربان قبل الإسلام هو نذر عبد المطلب بن هاشم، جد الرسول (ﷺ) فقد ذكروا انه نذر حين لقي من قريش ما لقي في حفر بئر زمزم لئن ولد

(١) البخاري/الصحيح/٢/٢٥٦، ٧/٢٣٣؛ مسلم/الصحيح/٥/٨٨

(٢) جواد علي/المفصل/٦/٦١

(٣) هاشم يونس عبد الرحمن/المثل والقيم الخلقية عند العرب/ص ٢٤

(٤) البخاري/المصدر السابق/٤/٢٣٥

(٥) ابن حجر/فتح الباري/٩/١٤٢

(٦) ابن حجر/م.ن/٣/٣٦٧؛ شاكر مجيد كاظم/التنشئة الاجتماعية عند العرب/ص ١٤٣

(٧) الأزرقى/أخبار مكة/١/١٨٠؛ عواطف أديب سلامة/قريش قبل الإسلام/ص ٣١٢

(٨) ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٤٣؛ السهيلي/الروض الأنف/١/١٤٤؛ شاكر مجيد كاظم/م.ن/ص ١٤٢

له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم لله عز وجل عند الكعبة وقد وفي بنذره دون ان يضحي بأحد اولاده، وانما ابدله بمائة من الأبل^(١).

أما الاعتكاف، فهو لغة الأقبال على الشيء ولزومه فلاتصرف عنه وجهك^(٢)، أما اصطلاحاً اصطلاحاً فهو الإقامة في المسجد ولزومه فلا يخرج منه الانسان الا لقضاء الحاجة، فيلزم المكان ويقوم على جميع انواع العبادة فيه^(٣)، وقد عرف ايضاً عند العرب قبل الإسلام بدليل الحديث الشريف السابق الذكر^(٤)، فقد كانت خزاعة تعتكف يوماً عند العزى^(٥)، كما كانت قريش في الجاهلية يعكفون يوماً ويذبحون عند ذات انواط، وهي شجرة عظيمة خضراء يعظمها العرب قبل الإسلام، وقد كانوا يعلقون أرديتهم و أسلحتهم عليها فسميت ذات انواط من التعليق^(٦)، كما كان النبي (ﷺ) قبل البعثة يختلي بنفسه ويعتكف كل عام في غار حراء بالقرب من مكة^(٧).

(١) محمد بن أسحاق/السيرة والمغازي/ص ٣٢-٤١؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١/١٧٦؛ السهيلي/الروض الأنف / ١/١٧٦، ولابد من الوقوف على هذه الرواية، وذلك لأن في صحتها شك قوي، فهناك رأي للدكتور سهيل زكار، محقق كتاب السيرة لأبن أسحاق، حيث يقول في هذه الرواية: "أثراً لأختراع على هذه القصة شديدة الوضوح، هي كما يبدو أخترت من قبل أكثر من انسان وعبر فترة طويلة، ويبدو ايضاً ان فكرتها مستوحاة من القرآن حيث تم ذكر النبي أبراهيم مع قصة ذبحه ابنه ومسألة الفداء، ولاشك ان هذه الرواية إستهدفت رفع مكانة النبي (ص) والعناية الخاصة التي أحيط بها والده، ومن الأدلة على إختراعها إنعدام الأضاحي البشرية في مجتمع مكة ما قبل الأسلام، وان القرآن لم يشر لوجود مثل هذه العادة، كما لم يشر من جهة ثانية الى حادثة من هذا القبيل وقعت لأبي النبي، والمشكلة العويصة في هذه الرواية هي الشعر فهو منظوم ركيك محال ضبطه وبالتالي من العبث شرح كلماته، وسبق لأبن هشام أن واجه هذه المسألة حين أورد هذه القصة فحذف الشعر وقال: وبين أضعاف هذه الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر". السيرة والمغازي/هامش صفحة ٤١، كما ان الأخبار تؤكد ان عبد المطلب كان من المؤمنين بدين جده أبراهيم (ع) وهي الحنيفية، ولم يكن هذا الفعل من الحنيفية وقد قامت الدلائل على ذلك. انظر: ابن ابي الحديد/شرح نهج البلاغة/١/١٢٠ ولمزيد من المعلومات حول إيمان عبد المطلب، انظر: جواد كاظم منشد النصر الله/شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد المعتزلي رؤية أعترالية عن الأمام علي (ع) /ص ٤٧-٤٩

(٢) الفراهيدي/العين/١/٢٠٥؛ ابن منظور/لسان العرب/٩/٢٥٥

(٣) ابن منظور/م.ن/٩/٢٥٥

(٤) البخاري/الصحيح/٢/٢٢٦، ٤/٢٣٤؛ مسلم/الصحيح/٣/١٤٦-١٤٧

(٥) الأزرقي/أخبار مكة/١/١٢٦

(٦) الأزرقي/م.ن/١/٣٠؛ منذر البكر/معجم أسماء الآلهة/ص ١٤

(٧) ابن هشام/المصدر السابق/١/٢٦٨؛ الطبري/التاريخ/٢/٢٩٩؛ السهيلي/المصدر السابق /١/٢٦٨؛ ابن

الأثير/الكامل/٢/٤٨؛ جاك ريسلر/الحضارة العربية/ص ٢٧

٦- الصوم:

لقد تطرق الصحاحان في حديثهما إلى ذكر الصوم عند العرب قبل الإسلام، ويذكر لنا الحديث الشريف قريش حيث انها كانت تصوم يوم عاشوراء، ففي حديث عائشة (رض) انها قالت " كانت عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي (ﷺ) يصومه"^(١) فقد كانت قريش قبل الإسلام تصوم يوم عاشوراء، وان النبي (ﷺ) كان يصومه في الجاهلية وقبل ان يهاجر إلى المدينة^(٢)، واما سبب صيام قريش لعاشوراء، فهناك اسباب عديدة منها لعلمهم تلقوه من اهل الكتاب كما يخبرنا بذلك الحديث الشريف حيث ورد " قدم النبي (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى ..."^(٣)، فيوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة وصومه لفضله كان معروفاً بين الأنبياء (ع)، وقد صامه نوح وموسى (عليهما السلام)، وقد صامه أهل الكتاب، كما صامته قريش قبل الإسلام كما كانت قريش تعظمه بكسوة الكعبة فيه ايضاً^(٤)، كما ان هنالك من يذهب إلى القول القول أن قريش اذنبت في الجاهلية ذنباً فتعاطم في صدورهم فسألوا ما توبتهم قيل صوم عاشوراء يوم العاشر من محرم^(٥)، كما قيل ان قحطاً ومجاعة اصابت قريشاً فلما ذهبوا عنهم صاموا يوم عاشوراء شكراً^(٦)، واعتقد ان السبب الأول هو الاقوى ترجيحاً وذلك باعتبار الصوم موجوداً عند اهل الكتاب بدينهم ويعرفونه ونتيجة الاحتكاك وخاصة التعامل الاقتصادي، والذي له اثر كبير في التبادل الحضاري أيضاً فقد انتقل إلى مشركي قريش، ومن الجدير بالذكر وعلى هذا الاساس فلا بد

(١) البخاري/الصحيح/٢/٢٢٦، ٤/٢٣٤؛ مسلم/الصحيح/٣/١٤٦-١٤٧

(٢) النووي/شرح مسلم/٩/٩؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٢١٥؛ العيني/عمدة القارئ/١٠/٢٥٦؛ ابن قيم الجوزية/زاد المعاد في هدي خير العباد/١/٢٠٠؛ محمدرشدي/مدنية العرب في الجاهلية/ص٦٢؛ محمد أسعد طلس/تاريخ الأمة العربية/ص١٤٦، الا ان هناك رأي ينفرد به د.جواد علي، ينكر فيه وجود صيام يوم عاشوراء عند مشركي الجاهلية لأنهم ليسوا أهل كتاب. انظر عنه: المفصل/٨/٤٨٠-٤٨١

(٣) البخاري/المصدر السابق/٢/٢٥١؛ مسلم/المصدر السابق/٣/١٥٠

(٤) الطبري/التفسير/٢/١٢٨-١٣٠؛ البيروني/الآثار الباقية/ص٣٢٥؛ ابن قيم الجوزية/زاد المعاد في هدي خير العباد/١/٢٠١؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٢١٥؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص٤٥

(٥) ابن حجر/م.ن/٤/٢١٥؛ ابن رجب الحنبلي/م.ن/ص٤٥-٤٦

(٦) جوادعلي/المصدر السابق/٦/٣٣٩-٣٤٠

أن عرب يثرب قبل الإسلام قد عرفوا الصوم ايضاً باعتبارهم متعاشين ومتجاورين لليهود في يثرب. وكان صفة صوم العرب قبل الإسلام هي صوم هي صوم امتناع عن الطعام والشراب، وعدم إثيان النساء، والصوم عن فاحش القول ايضاً^(١).

٧- القرابين:

كان تقديم القرابين للآلهة من بين بين الطقوس الدينية التي اشار إليها صحيح مسلم في الحديث الشريف، ومن بين القرابين التي ذكرها لنا الحديث الشريف الفرع والعتيرة، فقد قال رسول الله (ﷺ) " لا فرع ولا عتيرة "^(٢)، وهي من القرابين التي قدمها العرب قبل الأسلام للآلهة، والفرع هو أول نتاج من ولد الناقة كانوا يذبحونه لألهتهم رجاء البركة في الأم^(٣)، وليس كما يقول ابن منظور حيث يدمج بين العتيرة والفرع^(٤). أما العتيرة فقد كانوا يدعون ذبائح الغنم التي يقدمونها للأصنام والانصاب بالعتائر، والمذبح العتر^(٥)، والعتيرة هي شاة كانوا يذبحونها في شهر رجب لألهتهم، وبهذا يقول الخطابي العتيرة في الحديث شاة تذبح في شهر رجب وهذا الذي يشبه معنى الحديث، ويليق بحكم الدين وأما العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية فهي الذبيحة التي كانت تذبح للإصنام ويصب دمها على رأسها^(٦)، وهي كما ذكرنا سابقاً كانت تذبح وقت العمرة في شهر رجب^(٧)، كما ان عرب قبل الإسلام كان الرجل فيهم يقول إذا بلغت ابلي مائة عترة عنها عتيرة فأذا بلغت المائة ضحى لها بشاة^(٨).

(١) جواد علي/المفصل/١٤٢/٦

(٢) مسلم/الصحيح/٨٣/٦

(٣) مسلم/م.ن/٨٣/٦؛ ابن سيدة/المخصص/١٥/٧

(٤) ابن منظور/لسان العرب/٢١٠/٦

(٥) ابن الكلبي/الأصنام/ص ٣٣-٣٤؛ الطبري/التاريخ/٢٤٤/٢؛ وايضاً الطبري/التفسير/١٩/٨

(٦) ابن منظور/المصدر السابق/٢١٠-٢١١

(٧) عبد المحسن الحسيني/تقويم العرب في الجاهلية/ص ٧٩؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢٣٢

(٨) ابن منظور/المصدر السابق/٢١١/٦

وتعد القرايين من ابرز الوسائل التي تعمق روح الصلة بين الآله وبين البشر فهي تقنع المتدين التقى المتقرب بها إلى آلهته بأنه قدم شيئاً ثميناً لها، وانها سترضى عنه، لانه قد اثرها على نفسه فقدم اليها اعز الاشياء واغلاها، وانها سترضى عنه لانه لم ينسها ولم يغفل عنها ولم يفتر حبه لها^(١)، كما كانت لها نظرة اجتماعية ايضا، فأن الاشتراك في الطعام يولد أو يقوي العلاقات بين الكائنات، ويخلق ويثبت الالتزامات الاجتماعية المتبادلة فالاشتراك في أكل الخبز والملح كان يؤدي إلى خلق نوع من الحلف المعنوي، وهي فكرة لا يزال يدين بها كثير من الناس، فاذا كان الطعام المشترك يولد بين الناس مثل هذا الحلف والتعاون المتبادل بينهم فأحرى به أن يخلق مثل ذلك بين الناس واللهم^(٢).

كما يخبرنا الصحيحان أيضاً عن نوع آخر من القرايين التي كانوا يتقربون بها العرب قبل الإسلام إلى آلهتهم وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، ففي حديث شريف لسعيد بن المسيب انه قال " ان البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس، اما السائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء... "^(٣)، كما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال " الوصيلة الناقة البكر تبكر في اول نتاجها الأبل ثم تنثى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احدهما الاخرى ليس بينهما ذكر، والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت واعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي"^(٤). فقد كان عرب قبل الإسلام يوقفون بعض مواشيهم لآلهتهم، وقد ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون)^(٥)، فأما البحيرة فهي أن اهل الوبر إذا الناقة انتجت خمسة ابطن عمدوا إلى الخامس ما لم يكن ذكراً فشقوا اذننها فلا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به، وتهمل لآلهتهم فلا

(١) جوادعلي/المفصل/١٨٤/٦؛ هاشم يونس عبدالرحمن/المثل والقيم الخلقية عند العرب/ص٥٣

(٢) صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص٢٢٩-٢٣٠

(٣) البخاري/الصحيح/٤/١٦٠؛ مسلم/الصحيح/٨/١٥٥

(٤) البخاري/م.ن/٥/١٩١

(٥) القرآن الكريم/المائدة/١٠٣

تركب ولا تحمل^(١)، أما السائبة فهي أن الرجل كان ينذر أن يسيبها إذا برأ من مرضه أو أن أصاب أمراً يطلبه، فإذا كان اسباب الناقة من ابله أو جمللاً لبعض آلهتهم فسامت ورعت لا ينتفع بها، وتكون حراماً ابداً، ومنافعها للرجال دون النساء^(٢)، وكانوا يقولون في اجنة البوائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص بالذكور لا تأكل منه الأنثى، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور والأنثى^(٣)، وقد ذكر القرآن الكريم فعلهم هذا بقوله تعالى (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم في شركاء)^(٤)، أما الوصيعة فهي الشاة إذا وضعت سبعة ابطن عمدوا إلى السابح فأن كان ذكراً ذبح وأن كانت أنثى تركت، وأن ذكراً وأنثى قيل وصلت أخاها فحرماً جميعاً وكانت منافعهما ولبن الأنثى للرجال دون النساء^(٥)، وأما الحام فهو فحل الأبل إذا ركب أولاد أولاده، فصار ولده جداً أو بلغ عشراً منه فيقولون قد حمى ظهره فتركوه، فلا يحمل عليه ولا يركب وإذا مات اشترك في اكله الرجال والنساء^(٦).

ولقد اخبرنا الحديث الشريف في الصحيحين بمن سن هذا الفعل الجاهلي، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) انه قال " رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوائب"^(٧)، فقد كان عمرو بن عامر الخزاعي ويعد هو من جلب الأصنام إلى مكة، اول من سيب السوائب وبحر البوائر وجعل الوصيعة والحام^(٨). ويذهب أحد الباحثين إلى القول ان هذه هذه المعتقدات ليس لها هدف ديني محض بل ان لها فائدة مادية تعود على اصحابها بالنفع من

(١) مقاتل/التفسير/٣٤٦/١؛ ابن هشام/السيرة النبوية/١١٢/١؛ ابن حبيب/المحبر/ص٣٣٠؛ الأبيشي/المستطرف

/٧٧/٢؛ ابن الأثير/جامع الأصول/١٢٧/٢؛ القلقشندي/صبح الأعشى/٤٠٢/١

(٢) مقاتل/م.ن/٣٤٦/١؛ ابن هشام/م.ن/١١٢/١؛ ابن حبيب/م.ن/ص٣٣٠؛ الأبيشي/م.ن/٧٧/٢؛ ابن الأثير/م.ن/٢/

١٢٧؛ العيني/عمدة القارئ/٢٣/٢٥٣؛ القلقشندي/م.ن/١/٤٠٢

(٣) الطبري/التفسير/٤٧/٨؛ الزمخشري/الكشاف/٥٥/٢؛ الفخر الرازي/التفسير/٢١٩/١٣

(٤) القرآن الكريم/الأنعام/١٣٩

(٥) مقاتل/المصدر السابق/٣٤٧/١؛ ابن هشام/المصدر السابق/١١٢/١؛ ابن حبيب/المصدر السابق/ص٣٣١؛

الأبيشي/المصدر السابق/٧٧/٢؛ القلقشندي/المصدر السابق/٤٠٢/٢

(٦) مقاتل/المصدر السابق/٣٤٧/١؛ ابن هشام/المصدر السابق/١١٢/١؛ ابن حبيب/م.ن/ص٣٣١؛ الأبيشي

/المصدر السابق/٧٧/٢؛ القلقشندي/المصدر السابق/٤٠٣/٢

(٧) البخاري/الصحيح/٤/١٦٠؛ مسلم/الصحيح/٨/١٥٥

(٨) ابي الهلال العسكري/الأوائل/ص٤٩؛ الزمخشري/الكشاف/٥٧/٢

حيث تخصيص بعضها للضيوف فهي عادات ومعتقدات ظهرت وشاعت بينهم^(١). كما كانت لدى لدى العرب قبل الإسلام قرابين أخرى إلا أن الحديث الشريف لم يذكرها^(٢).

٨- الاستقسام بالالزام:

لقد سادت في حياة العرب قبل الإسلام عادات وتقاليد دينية، وقد ورد بعضها في الصحيح، ففي حديث ابن عباس (رض) انه قال "الألزام القдах يقتسمون بها في الامور..."^(٣)، والالزام القдах واحداه زلم، وهي الأقلام ايضاً واحداه قلم، سميت بذلك لانها تقلم أي تترم ولذلك سمي القلم الذي يكتب به قلماً، ولها موضع آخر حرمة الله وهو الاستقسام بها، والاستقسام استفعال من القسم وهو النصيب وكانوا إذا اردوا أن يقتسموا شيئاً مختلفاً بين قوم تساهموا عليه فما خرج لكل امرئ جعلوه حظاً له، فقليل الاستقسام أي طلب القسم وهو النصيب. وإذا تشادوا في امر من الامور تساهموا عليه ثم جعلوه لمن خرج قدحه^(٤)، وقد ذكر القرآن الكريم فعلهم هذا^(٥)، وكانوا يستقسمون

(١) عواطف أديب سلامة/قريش قبل الأسلام/ص ٢٩٦

(٢) لقد قدم العرب قبل الأسلام كل أنواع القرابين حتى البشرية منها، فالضحية عندهم عادة تكون من ذوات الأرواح، ويبدو انهم قد اتبعوا سنة أبراهيم(ع) عندما أراد ذبح ابنه، فقد كان أهل دومة الجندل يضحون برجل كل سنة لآلهتهم، ثم يدفنونه قرب المذبح، وتقديم المنذرين ماء السماء بأريعمانية ضحية للعزى من أسراه. انظر: ابو عبيدة/أيام العرب قبل الأسلام/ق ١/٢٩٥؛ صالح العلي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٢٣١؛ عواطف أديب سلامة/م/ن/ص ٢٩٥. وهناك نوع آخر من تقديم القرابين للأضحية عند أهل المدروالحرث، فقد كانوا إذا حرثوا حرثاً أو غرسوا غرساً، خطوا في وسطه خطاً فقسموه بأثنتين، وقالوا ما دون هذا الخط لآلهتهم، وماذراه الله، فإن سقط فيما جعلوا لآلهتهم شيء مما جعلوه الله عز وجل أقره وتركوه، ان سقط مما جعلوه لآلهتهم شيء فيما جعلوه الله تبارك أسمه رده، ثم يرسلون الماء الذي سموه لآلهتهم فان انفتح في الذي سموه الله عز وجل سدوه وان ارسلوا في الذي سموه الله فانفتح في الذي سموه لآلهتهم قالوا: أتركوه، فإنه فقير اليه، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة الأنعام حيث قال تعالى (وجعلوا لله ما ذراً من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون). انظر: ابن حبيب/المحبر/ ص ٣٣١-٣٣٢؛ الفخر الرازي/التفسير/١٣/٢١٥؛

البيضاوي/التفسير/٢/٢٠٩؛ الكازروني/الحاشية/٢/٢٠٩

(٣) البخاري/الصحيح/٨/١٢١

(٤) ابن قتيبة/الميسر والقдах/ص ٣٨؛ ابن كثير/التفسير/٢/٩٢؛ العيني/عمدة القارئ/٢١/١٦٣؛ البيضاوي/التفسير/٢/١٣٥؛ الكازروني/الحاشية/٢/١٣٥

(٥) القرآن الكريم/المائدة/٣، ٩٠

بالقداح لأمر تهمهم، فقد كانوا يجيلون القداح للنكاح، ودفن الميت، والشك في صحة النسب، فهناك قداح فيه ملصق، وصريح، لبيان النسب، فأَنْ خرج صريح الحقوه بنسبهم ولو كان دعياً، وأن خرج ملصق نفوه عنه ولو كان صريحاً، كما انه يذكر ان القداح سبعة، مكتوب على اولها الله عزل وجل، وعلى الثاني لكم، والثالث عليكم، والرابع نعم، والخامس منكم، والسادس من غيركم، والسابع الوعد^(١)، وللحضر والسفر سهمان، فكانوا إذا اردوا الخروج إلى وجه ضربوا القداح فأَنْ خرج القدح الامر نفذ الرجل لوجهه راجياً للسلامة والصنع، وإذا خرج القدح الناهي امسك عن الخروج خائفاً النكبة والجائمة، وقد بين هذا الشاعر بقوله:

هم المجيرون والمغبوط جارهم في الجاهلية إذ يستأمر الزلم^(٢)

فهم لا يقدمون على امر حتى يضربوا القداح ويستشيرونها، ثم يلتزمون بما تخرج به القداح وتامرهم بعمله، ومنها أنهم إذا اردوا ختان غلاماً استقسموا هبل وضربوا القداح فحيث ما خرج به عملوا به^(٣)، ولهم اماناء على القداح لا يتقون بغيرهم، وان استقسام العرب قبل الإسلام كان يكون عند انصابهم في بيوت اصنامهم، وكانوا يظنون انها هي التي تخرج لهم في القدح ما يمتثلونه^(٤)، وكانت القداح السبع عند هبل وفي كل منها كتاب، وتولى القداح غاضرة بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي^(٥).

وبالرغم من هذا لكن ليس جميع العرب ملتزمون بما تأمر به الاستقسام بالقداح، وخاصة إذا خرجت بما تخالف رغباتهم، فهذا امرئ القيس بن حجر الكندي، لما خرج لقتال بني اسد للأخذ بثأر ابيه منهم مر بذي الخلصة فوقف يستخيره، ولما كانت الاستخارة ضد ما يريد هو ضرب الصنم بالاقداح وقال:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً

(١) ابن حبيب/المحبر /ص ٣٣٢؛ الفلقشندي/صيح الأعشى/١/٤٠٢

(٢) ابن حبيب/م.ن/ص ٣٣٢؛ ابن قتيبة/المصدر السابق /ص ٣٩-٤٠

(٣) شاعر مجيد كاظم/مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام/ص ١١٤

(٤) ابن قتيبة/المصدر السابق/ص ٤١؛ الطبري/التاريخ/٢/٢٤٠

(٥) الأزرقي/أخبار مكة/١/١٩٣؛ الطبري/م.ن/٢/٢٤٠

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني اسد^(١)، كما كان العرب قبل الإسلام يضربون القداح أيضاً للميسر، وهو نوع من المقامرة عند العرب قبل الإسلام^(٢).

(١) ابن الكلبي/الأصنام/ص٤٧؛ ابوالفرج الأصفهاني/الأغانى/٩/١١١؛ ابن الأثير/الكامل/١/٥١٧؛ مهدي عريبي الدخيلي/بنو اسد ودورهم في التاريخ العربي/ص١٢٣؛ احمد الشنقيطي/شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها/ص١٢-١٣

(٢) ابن قتيبة/الميسر والقداح/ص٤٣، والميسر هو نوع من أنواع القمار في الجاهلية حد عشر قدحاً، وكان عرب قبل الأسلام يتقائمون بها أيام الشتاء عند شدة البرد وجذب الزمان فيجعلوا جزوراً أو إبلاً ويتقائموا عليها، فمن فازت أقداحه أخذ نصيبه ومن خاب منهم يغرم قدر ثمن الجزء من اللحم، وكانوا يجعلون لحومها لذوي الحاجة منهم والفقراء ومن أضرهم الزمان. حنتقال الشعر فيهم:

والجاعلوا القوت على الياسر

المطعموا الضيف اذا ما شتوا

ابن قتيبة/م/ن/ص٤٣-٤٤

المبحث الثالث

معارف العرب قبل الإسلام*

الأمية العرب قبل الإسلام:

لقد جاء في صحيح مسلم حديث عن رسول الله (ﷺ) انه قال "انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب"^(١) ويقول الدكتور جواد علي "الشائع بين كثير من الناس أن العرب قبل الإسلام كانوا في جهالة عمياء وضلالة، لا يقرأون، ولا يكتبون، وأن الكتابة كانت قليلة بينهم، وأستدلوا على رأيهم هذا بأطلاقهم لفظة (الجاهلية) على أيامهم، وبما جاء من انهم كانوا قوماً (أميين لا يكتبون) وأستدلوا على ذلك بحديث ذكر أن رسول الله قاله هو، انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب"^(٢)، إلا أنني أرى ان الجاهلية المقصودة هذه لاتعني عدم معرفتهم القراءة والكتابة، وانما المراد من اطلاق لفظة الجاهلية عليهم هي من السفه والحمق والغلظة والغرور^(٣)، والأمية ليس الجهل بالكتابة والقراءة، وانما الأميون من لا كتاب لهم وليس لديهم شيء من آثار النبوة، كما كان عند أهل الكتاب^(٤)، كما وأن المستشرق جب، يناقض نفسه يثبت لنا أن العرب كانت تكتب وتفيد كتاباتها التاريخية بقوله "انني أعتقد انه لم

* لابد أن ننوه أولاً بأن معارف العرب قبل الإسلام لم تقم على معرفة دقيقة وعلمية لها أصول وقواعد، وأنما كانت معارفهم في الجاهلية تتصل اتصالاً وثيقاً بحياتهم البدوية فلم يكونوا يهتموا ذاك الأهتمام بالقراءة والكتابة، كما انهم كسبوا بالخبرة والمران الألبام بعلوم اضطرتهم اليها بيئتهم، ومن ذلك الشعر والبيان والفلك ومطالع النجوم فقد برعوا بالنوء وهو جزء من علم الفلك، كما عرفوا أيضاً شيئاً من الطب وذلك لأن الإنسان بحاجة الى الطب وأقتصر طبهم على مداواة ما كان ينزل بهم من أمراض وعلل، كما تفوقوا في معرفة آثار الأقدام وساعدتهم على ذلك طبيعة بلادهم الرملية الصحراوية، كما ولعوا بالمحافظة علناً لأنساب والأحساب، كما كانت عندهم خبرة بالنجوم والتفكر مما قادهم الى الكهانة والعرافة وصاروا يستطلعون بها الطالع، فهذا ما كان عند عرب البادية قبل الإسلام، أما أهل الحضر من أهل المدن فكانت لهم علومهم المتقدمة بسبب اتصالهم بالأمم الأخرى. ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أنظر: ابن العبري/تاريخ مختصر الدول/ص ٩٤؛ أبراهيم جمعة/مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الإسلام/ص ٤٤-٤٥؛ أبراهيم نمير سيف الدين/تاريخ العرب/ص ١٦ وحول علوم ومعارف العرب أنظر: الشهرستاني/الملل والنحل ٢/٢٣٨-٢٤١؛ حسين قاسم العزيز/موجز تاريخ العرب والإسلام/ص ١٠٥ فما بعدها

(١) مسلم/الصحيح/٣/١٢٤

(٢) جواد علي/المفصل/٨/٩١

(٣) احمد امين/فجر الإسلام/ص ٢٧؛ جواد علي/م.ن/٨/٩١

(٤) الطبري/التفسير/٣/١٤؛ ابن رجب الحنبلي/لطائف المعارف/ص ٨٤؛ أبراهيم عبد الرحمن محمد/الشعر الجاهلي

قضاياها الفنية والموضوعية/ص ٢٢؛ جواد علي/المصدر السابق/٨/٩٤-٩٨

يقم برهان حتى الآن على وجود أي آداب نثرية مدونة بين العرب الذين سكنوا جزيرة العرب-ويزعم من ناحية- أنه ربما وجدت كتب مدونة في الحيرة، وأنه وجدت بالفعل بعض المقيّدات التاريخية هناك فهذا لامراء فيه^(١)، فقد قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي "كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل آل نصرين ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة"^(٢)، كما دونوا الشعرايضاً، فقد كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول ومأمّدح به هو وأهل بيته، وصار ذلك إلى بني مروان فيما بعد^(٣)، كما كان هناك من تعلم الكتابة، فقد تعلم حماد حماد بن زيد بن أيوب، الكتابة في داره بعد مقتل أبيه، فخرج من أكتب الناس وصار كاتب النعمان الأكبر، وتعلم عدي بن زيد العبادي في كتاب عربي ثم كتاب فارسي، وصار من أكتب الناس بالعربية والفارسية وكتب بالعربية في ديوان كسرى، ثم كتب لكسرى بعده ابنه يزيد، وقد تعلم المرقش الأكبر هو وأخوه حرمة الكتابة من نصراني بالحيرة وكان يكتب شعره، كما كان هناك الكثير من الشعراء من يقرأ أو يكتب الشعر^(٤).

وقد وجدت كتابات عربية في شبه جزيرة العرب، وقد دلت النقوش التي عثر عليها في أجزاء جزيرة العرب على معرفة العرب للقراءة والكتابة^(٥)، فقد كتب العرب على قصر غمدان، وعلى عمود مأرب مأرب وعلى ركن المشقر، وعلى الأبلق الفرد، وإيضاً قد بين لنا طريقة الكتابة حيث كانوا يجعلون حفراً في الصخور، ونقشاً في الحجارة، وخلقة مركبة في البنيان فيما كان الكتاب هو الناتيء، وربما كان الكتاب هو الحفر، إذا كان تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم، أو موعظة يُرتجى نفعها، وأحياناً شرف يريدون تخليد ذكره^(٦)، كما أن على باب الندوة كان مكتوباً :

(١) هاملتون جب/دراسات في حضارة الإسلام/ص ٢٩٤

(٢) الطبري/التاريخ/٣٧/٢؛ احمد الحوفي/المراآئي الشعر الجاهلي/ص ٤١٥

(٣) ابن سلام/طبقات الشعراء/ص ١٠

(٤) ابن قتيبة/الشعر والشعراء/١/٢١١، ٢٢٨-٢٢٩؛ جواد علي/المفصل/٨/١٤٠-١٤١؛ احمد الحوفي/المصدر السابق/ص ٤١٤-٤١٥، وحماد بن زيد بن أيوب من بني زيد مناة بن تميم وهو جد عدي بن زيد العبادي الذي مرت ترجمته سابقاً. ابن قتيبة/م.ن/١/٢٢٥، والمرقش الأكبر: هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وسمي بالمرقش لقوله "رقش في ظهرا لأديم قلم. ابن قتيبة/م.ن/١/٢١٠

(٥) أنظر: خليل يحيى نامي/نقوش خربة معين/ص ٢-٣٢، وللمؤلف نفسه/نقوش خربة براقش/ص ١-٣٦؛ محمد توفيق/آثار معين في جوف اليمن/ج ١/ق ١/١-٢٤، ج ٢/ق ٢/٢-٣٦؛ مطهر علي الارياني/في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات/ص ٤١-٥٠٥؛ منذر البكر/محاضرات في تاريخ العرب/ص ١٤-٢٩؛ هاشم يحيى الملاح /الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام/ص ٥٩-٦٠

(٦) الجاحظ/الحيوان/١/٦٩، قصر غمدان: في صنعاء باليمن، وهو مسكن سيف بن ذي يزن الحميري. الهمداني/الأكليل/٨/١٥-٢٨؛ ابن خرداذبة/المسالك والممالك/ص ١٣٦، مأرب: وهي قرية في اليمن بينها وبين صنعاء سبع

الهي قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحثاً لا خليط له وقولها رحلت عير أتت عير^(١)

كما أشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم، فكان غلمانهم يتعلمونها ويرددون قراءة ما يكتبون
ويقرونها، وقد أشار إلى ذلك الشاعر ليبيد بقوله:

فنعاف صارة فالقتان كأنها زبر يرجعها وليد يمان
متعود لحن يعيد بكفه قلماً على عُب ذبلن وبان^(٢)

وكان في يثرب مكاناً يتعلم فيه الناس القراءة والكتابة يعرف بأسم (مدراس)^(٣) كما أن ثقيفاً حذقت
الكتابة وبرزت بها^(٤)، كما كانت في مكة الكتابة أيضاً، فقد قام الإسلام وهناك سبعة عشر نفرأ
يعرف القراءة والكتابة^(٥)، كما كان هناك معلمون يشرفون على الكتاتيب التي كانوا يتعلمون بها
الصبيان الكتابة والشعر وأيام العرب في مكة وثقيف أمثال أبي سفيان بن حرب بن عبد شمس وأبي
قُبيس بن عبد مناف بن زهرة، وعمر بن زرة، في قريش، وغيلان بن سلمة بن معتب من ثقيف
وغيرهم^(٦). كما كان هناك من يقرأ ويكتب ليس بالعربية وحسب وإنما حتى بالسريانية، وخير مثال على
ذلك ورقة بن نوفل بن عبد شمس الذي ذكرنا أنه كان يدين بالنصرانية مع نفر من أهل مكة وكان يقرأ
كتاب الأنجيل وهو بالسريانية ويكتب ماشاء الله أن يكتب، كما أخبرنا بذلك الحديث الشريف
سابقاً^(٧).

سكك وفيها قصر سليمان وبلقيس، والسد وهو سد العرم. ابن خرداذبة/م.ن/ص ١٣٨، ركن المشقر: وهو من أعمال
البحرين نحو مدينة هجر. أبي الفدا/تقويم البلدان/ص ٨٥، حصن الأبلق الفرد: وهو في تيماء من أعراض المدينة
وكان ملكه السموأل بن عادي اليهودي الموصوف بالوفاء. ابن خرداذبة/المسالك والممالك/ص ١٢٨

^(١) ابن الزيعري/شعر ابن الزيعري/ص ٣٧؛ ابن سلام/طبقات الشعراء/ص ٥٨، والسفاسير: جمع سفسير وهو
السمسار الذي يسعى بين البائع والمشتري. ابن قتيبة/ادب الكاتب/ص ٨٢

^(٢) ليبيد بن ربيعة العامري/شرح ديوان ليبيد/ص ١٣٨؛ جواد علي/المفصل/١٣٨/٨، والعسب والبان كانوا يكتبون بها في
اليمن، والعسب جريد النخل الرطب. ليبيد/م.ن/ص ١٣٨

^(٣) جواد علي/م.ن/٨/١٤٢

^(٤) جواد علي/المصدر السابق/١٣٨/٨

^(٥) ابن عبد ربه/العقد الفريد/١٥٧/٤

^(٦) ابن حبيب/المحبر/ص ٤٧٥؛ محمد عجاج الخطيب/السنة قبل التدوين/ص ٢٩٥

^(٧) أنظر الحديث في: مسلم/الصحيح/٩٧/١

كما كن بعض النساء يجدن القراءة والكتابة، فقد ذكر أن رسول الله (ﷺ) طلب من الشفاء بنت عبد الله، أن تعلم (حفصة) رقية النملة وكانت الشفاء، كاتبة في الجاهلية، وكذلك أم كلثوم بنت عقبة وكريمة بنت المقداد، في حين كانت أم سلمة، تقرأ ولا تكتب^(١).

ومن خلال ما قدم تبين أن العرب قبل الإسلام كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة لأُميين بها جهلاً بمعرفتها، كما أتهموا به، وإنما أُميتهم المذكورة في الحديث النبوي هو أمية الدين والرسالة خصوصاً عندما نعرف أنهم كانوا أصحاب تجارات ومعاملات مع الدول الأخرى^(٢). إلا أنها لم تكن شائعة بين أفراد المجتمع العربي قاطبة بل كان هنالك الكثير من العرب من لا يعرف القراءة والكتابة.

٢- الكهانة:

لقد ورد في الصحيحين أحاديث نبوية شريفة أشارت إلى الكهانة عند العرب قبل الإسلام، ففي حديث عائشة (رض) عن غلام كان لأبي بكر (رض) انها قالت "فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبوبكر فقال له الغلام تدري ما هذا فقال ابوبكر وما هو قال كنت تكهنت لأنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا اني خدعته..."^(٣)، وجاء في حديث الحكم السلمي قال "قلت يا رسول الله أموراً كنا نأتي الكهان قال فلاتأتوا الكهان..."^(٤)، فالحديث يؤكد أن الكهانة كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام كما قد ذكرها القرآن الكريم بقوله تعالى (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون) وغيرها من الآيات^(٥)، فكانت الكهانة قبل الإسلام فاشية خصوصاً في العرب لأنقطاع النبوة فيهم^(٦).

والكهانة هي الأدعاء بعلم الغيب وأعطاء الأخبار بما سيقع في الأرض مستقبلاً مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الشياطين والجن للسمع من كلام الملائكة فيلقيه إلى الكاهن، والكاهن هو من يقضي بالغيب، والعرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً، والكهنة قوم لهم أذهان حادة و نفوس شريرة و طباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور

(١) البلاذري/فتوح البلدان وأحكامها/ص ٤٥٨

(٢) لمزيد من المعلومات حول معرفة العرب للقراءة والكتابة أنظر: منذر البكر/محاضرات في تاريخ العرب/ص ١٤-

٢٩؛ هاشم يحيى الملاح/الوسيط في تاريخ العرب/ص ٥٩-٧١

(٣) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٦

(٤) مسلم/المصدر السابق/٧/٣٥

(٥) القرآن الكريم/الطور/٢٩، الحاقة/٤٢

(٦) ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٨٣

ومساعدتهم بكل ماتصل مقدرتهم اليه حسب زعمهم^(١). ومن أشهر من عرف من الكهان العرب سطيح الذنبي، وشق اليشكري، وكان سطيح كاهن الكهان^(٢)، وكاهن جنب، وكاهن ثقيف خطر والكاهن الخزاعي، وسلمة بن المغفل كاهن بني الحارث، و سواد بن قارب الدوسي، وغيرهم من كهان العرب^(٣)، كما كان هناك من النساء الكاهنات ايضاً أمثال الغيظلة، وفاطمة النجارية، وزبراء الكاهنة، والشعناء الكاهنة، وطريفة الخير، وعفراء، وغيرهن^(٤). وكان الشيطان الذي يجلب الأخبار الى الكاهن يسمى (الرئي) أو التابع، فكان يرجع اليه الكاهن لمعرفة الأخبار^(٥)، حسب زعمهم.

(١) ابن حجر/م.ن/١٠/١٨٣، ولمزيد من المعلومات حول علاقة الكهانة والشياطين بها انظر: المسعودي/مروج الذهب/٢/١٨١؛ ابن حزم/الفصل في الملل والأهواء والنحل/٥/١٧؛ النووي/شرح مسلم/١٤/١٨٤؛ النووي/نهاية الأرب/٣/١٢٨؛ ابن خلدون/المقدمة/١٠٠؛ العيني/عمدة القارئ/٢١/٢٧٥؛ جواد علي/المفصل/٦/٧٥٦، كما أن هناك مرادفات لكلمة الكاهن عند العرب مثل (الطاغوت) وغيرها. انظر: الطبري/التفسير/٣/١٩؛ جواد علي/م.ن/٦/٧٥٦-٧٥٧، كما كان يطلق على الكاهن (العراف)، إلا أن هناك فرق بينهما، فالكهانة هي التنبؤ بالأخبار المستقبلية، أما العرافة فهي التنبؤ بأخبار الماضي، كما أن المسعودي يجعل العراف في رتبة دون الكاهن، ومن عرافي العرب قبل الإسلام، ألبلق الأزدي، والأجلح الدهري، وعروة بن زيد الأزدي، ورياح بن عجلة عراف اليمامة. انظر عنهم: المسعودي/م.ن/٢/١٨٢؛ الفلقشندي/صبح الأعشى/١/٣٩٨-٣٩٩؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن الإسلامي/٣/١٩؛ احمد الحوفي/المرأة في الشعر الجاهلي/ص٤٠٦؛ عمر رضا كحالة/العالم الإسلامي/١/١٧؛ احمد شوكت الشطي/مجموعة أبحاث في الحضارة العربية/ص١٤-١٥

(٢) المسعودي/أخبار الزمان/ص٩٣

(٣) انظر عنهم: ابن هشام/السيرة النبوية/١/٢٣٩-٢٤٣؛ السهيلي/الروض الانف/١/٢٣٩-٢٤٣؛ احمد زكي صفوت/جمهرة خطب العرب/١/٣١٧-٣٣٦

(٤) انظر عنهم: ابن هشام/م.ن/١/٢٣٨؛ السهيلي/م.ن/١/٢٣٩؛ اسماعيل بن القاسم القالي/الأمال/١/١٦٠-١٦١؛ احمد زكي صفوت/م.ن/١/٣٣٩-٣٥٢

(٥) الطبري/التاريخ/٢/٢٤٢؛ الجاحظ/البيان والتبيين/١/٣٠٧؛ جواد علي/المفصل/٦/٧٥٧

كما يخبرنا الحديث الشريف في الصحيحين عن طريقة أخذ الأخبار من قبل التابع وألقائه على الكاهن، فقد قالت عائشة (رض) "سأل رسول الله (ﷺ) ناس عن الكهان فقال ليس بشيء فقالوا يارسول الله انهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله (ﷺ) تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجن فيقرأها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة" (١). وفي حديث آخر قال (ﷺ) "يستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون الى أولياؤهم ويرمون به فما جاؤا به على وجهه فهو الحق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون" (٢). فقد كانت الكهانة على أصناف عند عرب قبل الإسلام، وهذا منها، فمنها ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون الى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً الى أن يدنوا الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه الى الذي يليه الى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرمت السماء من الشياطين وأُرسلت عليهم الشهب، وكانت اصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً (٣)، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهاباً) (٤) وبهذا الخصوص يقال أن القذف بالنجوم قد كان قديماً وقد كان في الجاهلية عند العرب ولكنه اذا ماجاء الإسلام غُظ وشدد، وفي قول الله سبحانه "وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً"، ولم يقل حرس، دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما

(١) البخاري/الصحيح/٢٨/٧

(٢) مسلم/الصحيح/٣٧/٧

(٣) ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٨٣

(٤) القرآن الكريم/الجن/٨

بُعِثَ النبي (ﷺ) ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وذلك لينحسم أمر الشياطين^(١)، فقد كان يرى العرب قبل الإسلام في تساقط النجوم والنيازك أهمية كبيرة في التكهن^(٢).

كما أشار لنا البخاري في حديثه الى أن كهان الجاهلية قبل الإسلام كانوا يحكمون بين المتخاصمين، فعندما حكم الرسول (ﷺ) في أمر الجنين في بطن أمه وديته، ولم يقبل بهاولي المرأة الغارمة، قال النبي (ﷺ) "انه من أخوان الكهان"^(٣). فقد كان الكهان يحكمون بين المتخاصمين كما كانوا يقومون بأعمال أخرى، فالجانب اخبارهم بالمغيبات، فقد كان للكهان منزلة كبيرة في حياة العرب قبل الإسلام، فهو يعتبر من النخبة البارزة في القبيلة ومن الذين يخضع لرأيه سيد القبيلة^(٤) فلم يكن الكاهن كاهناً ، بمعنى المخبر عن المغيبات فقط بل كان حاكماً يحكم بين الناس فيما يقع بينهم من خلاف، فالكاهن حاكم يفصل في الخصومات، وقد كان أكثر حكام العرب كهاناً، يقصدهم المتخاصمون من مواضع بعيدة ليعرفوا به من أصالة الرأي وصحة الحكم^(٥)، كما كان الكاهن غير مطالب بأن

(١) السهيلي/الروض الانف/٢٣٥/١، ويؤكد البعض على ان الكهانة قد انقطعت بمجيء الإسلام ولم يعد للكهانة والكاهن ذكر في الإسلام وذلك لمنع الشياطين الأستراق للسمع من السماء. ولمزيد من المعلومات حول هذا الرأي أنظر: ابن حزم/الفصل في الملل والأهواء والنحل/١٧/٥؛ الأبيشي/المستطرف/٨١/٢؛ النويري/نهاية الأرب/١٢٨/٣؛ ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٨٥. الا أن ابن خلدون ينفرد برأي وهو إعادة الكهانة وعدم انقطاعها بعد النبوة كما يقول الآخرون، فيقول "وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء، كما وقع في القرآن، والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من نفوسهم ايضاً كما قرناه وايضاً فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، وايضاً فأنما كان ذلك بين يدي النبوة فقط، ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تخدم في زمن النبوة كما تخدم الكواكب والسرّج عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور...". ابن خلدون/المقدمة/ص ١٠١، ويبدولي أن رأي ابن خلدون، هو الأقرب الى الصحة، فما وجود المشعوذين والعرافين وقارئ الفنجان الى يومنا هذا، الا انه نوع من انواع الكهانة في الإسلام.

(٢) تقي الدباغ/الفكر الديني القديم/ص ١٥٩

(٣) البخاري/الصحيح/٢٧/٧

(٤) أبراهيم جمعة/مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي/ص ٤٠

(٥) جواد علي/المفصل/٦/٧٦٤

يبرر أحكامه لأنها غيبية مقدسة عندهم^(١)، ومن أشهر الخصومات والمنازعات التي حكم بها كاهن، هو تنازع هاشم بن عبد مناف، وابن أخيه أمية بن عبد شمس، حول رئاسة وأدارة شؤون مكة، فذهبا إلى الكاهن، عمرو بن الحمق الخزاعي، ليقضي بينهما فحكم له هاشم^(٢) كما كان الكاهن أيضاً طبيبهم، وربما ارتقى إلى مستوى الربوبية وليس غريباً عليهم يومئذ، فهم ينظرون لهم على أنهم وسطاء أو شفعاء لهم بين آله الأعلى وبين الناس^(٣)، كما كان الناس يستشيرونهم في الأمور الحربية، مثلما فعلت قبائل مذحج اليمنية في حربها مع تميم في يوم الكلاب الثاني، عندما استشاروا كاهنهم الحارثي في حرب تميم فأشار عليهم بالكف^(٤)، كما أشرت بعض الكهانة في الحروب فكانوا يشجعون قومهم ويحثونهم على القتال، وكان بعضهم من مشاهير الفرسان، وقد جمعوا بين الكهانة وقيادة الجيوش مثل زهير بن جناب الكلبي، وزهير بن جذيمة العبسي^(٥).

ومن خلال هذا الكلام، نعلم مداهمية الكهانة والكاهن في حياة العرب قبل الإسلام، فهو الذي يخبرهم بالأخبار الغيبية عنهم وينصحهم بالأفعال المستقبلية، كما أنه يكون عنده دواء بعض الأمراض المستعصية وخاصة الروحية كونه طبيباً، كما أنه الحاكم الأول والأصدق كونه لا يسأل عن أحكامه بوصفها مقدسة، كما أنه يعد قائد القبيلة ورئيسها أحياناً في الحروب، هذا إلى جانب مهنته الرئيسية في المعابد حيث الإشراف على المراسم والشعائر الدينية، كما يعتبر المرشد والموجه الروحي الأكبر في المجتمع، وعلى العموم فهذه الأعمال التي يقوم بها الكاهن عند العرب، هي أهم مقومات ودعائم الحياة عند العربي قبل الإسلام ومن أهميتها تتأتى أهمية الكاهن عند عرب قبل الإسلام.

(١) مصطفى عبد اللطيف جياووك/ أثر العقائد الدينية في القيم الاجتماعية/ ص ٢١٩

(٢) المقريزي/ النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبنو هاشم/ ص ١٨-٢١

(٣) أبي عبيدة/ كتاب أيام العرب قبل الإسلام/ ق ١/ ٢٨٤

(٤) ابن الأثير/ الكامل/ ١/ ٦٢٢؛ محمد أحمد جاد المولى/ أيام العرب في الجاهلية/ ص ١٢٥، ويوم الكلاب الثاني:

حرب وقعت في منطقة الكلاب، وهو عين ماء بين البصرة والكوفة، وهذا اليوم وقع بين تميم ومذحج وكان لتميم على مذحج. ابن الأثير/ م. ن. ١/ ٦٢٢

(٥) علي إبراهيم حسن/ التاريخ الإسلامي العام/ ص ١٢٤؛ جواد علي/ المفضل/ ٦/ ٧٦٣

٣- القيافة:

لغة تعني الأتباع أو أتباع الأثر، والقائف الذي يتتبع الأثر ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه والنسب^(١)، والقيافة إحدى معارف العرب قبل الإسلام، وهي معرفة الأنساب والأشخاص من تقاطيع الجسم وهيئته، وكان هذا العلم أو المعرفة قد فطن العرب به دون سائر الأمم، وليس موجوداً في سائر أبناء العرب، وإنما هو للخاص منها الفطن والمتدرب الطن، وإذا وجد في بعض الأمم فإن ذلك موروث عن العرب^(٢)، وقد أشار مسلم في صحيحه إلى معرفة العرب بالقيافة في حديث عائشة (رض) أنها قالت "دخل علي رسول الله (ﷺ) ذات يوم مسروراً فقال يا عائشة ألم تري أن مجزراً المدلجي دخل علي فرأى أسامة وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما فقال ان هذه الأقدام بعضهما من بعض"^(٣). فقد كان من أختص بهذا الفن من المعرفة من العرب هم بنو مدلج من ولدمرقين عبدمنابن كنانة، وأحياء مضرين نزار^(٤)، إلا أن بني مدلج كانوا مخصصين بهذا الشأن ولهم إصابة ظاهرة، وحذق مشهور، والعرب تعترف لهم بذلك وتسلم^(٥).

والقيافة عند العرب كانت على قسمين قيافة الأثر وقيافة البشر، فأما قيافة الأثر فهي التي تقوم على تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة، وذلك لأن أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار أقدامهم فيظفروا به، كما أنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن، حتى أن رجلين من القافة اختلفا في أمر بغير وهما بين مكة ومنى، فقال أحدهما هو جمل، وقال الأخر هي ناقة، وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بني عامر فإذا بغير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهوذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعاً^(٦)، فهذا أن دل علشيء فهو المعرفة والفطنة الحادة لقائفي العرب للأثر ومعرفة جنس صاحب الأثر. أما قيافة البشر، فهي التي ذكرها لنا الحديث آفءا، وهي الاستدلال بهيئات أعضاء

(١) ابن منظور/لسان العرب/١١/٢٠١-٢٠٢؛ الزبيدي/تاج العروس/٦/٢٢٨؛ لوئيس معلوف/المنجد في اللغة / ص ٦٦٢

(٢) المسعودي/مروج الذهب/٢/١٧٤؛ ابن عبد ربه/العقد الفريد/٣/٣٢٤

(٣) مسلم/الصحيح/٤/١٧٢

(٤) المسعودي/المصدر السابق/٢/١٧٨؛ ابن حزم/جمهرة أنساب العرب/ص ١٨٣؛ الأبشيهي/المستطرف/٢/٨٢؛ محمد

ابوالفضل أبراهيم وعلي الجاوي/أيام العرب في الجاهلية/ص ٣٢٤

(٥) ابي حيان التوحيد/البصائر والذخائر/٢/٨٩

(٦) الأبشيهي/المصدر السابق/٢/٨٢؛ احمد شوكت الشطي/مجموعة أبحاث في الحضارة العربية/ص ١١

الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهم افي النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما^(١). كما عرفوا العرب ايضاً الأثار بالأرض والرمل، فمنهم من كان يخط الرمل في الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد، وكان ممن عرف بهذا خراش، فقد قال رجل شردت الي ابل فجئت النخراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط لي في الأرض فخطت ثم قامت فضحك خراش ، ثم قال أتدري قيامها لأي شيء قلت لا ، قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فأستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها^(٢)، فهذا يدل على وجود هذ النوع من المعرفة عند العرب قبل الإسلام، كما يدل على ممارسة النساء في ذلك العصر لهذه المعارف، ولم تكن مقتصرة على الرجال فحسب.

٤- الأنواء:

ومن المعتقدات التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام وأشار اليها الصحيحان في أحاديث شريفة موضوع الأنواء، والنوء لغة يعني النجم الطالع، فالناتئ هو الطالع، وسمي نوءاً لأنه اذا سقط الغارب ناء الطالع، فذلك الطالع هو النوء، كما قيل ان النوء هو السقوط والميلان وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرو والبرد الى الساقط منها فتقول مطرنا بنوء كذا^(٣)، فقد قال الرسول (ﷺ) "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والأستسقاء بالنجوم والنياحة"^(٤)، كما انه في حديث أخر جعل الأستسقاء بالنوء أحد خلال الجاهلية فعن ابن عباس (رض) انه قال "خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة، ونسي الثالثة وقال سفيان ويقولون انها الأستسقاء بالأنواء"^(٥)، فهذه الأحاديث تدل على ان العرب قبل الإسلام قد عرفت الأنواء والنجوم والفلك، فقد كانت لديهم دراية ومعرفة بالنجوم والكواكب، وقد تأتى لهم ذلك من تطلعهم

(١) احمد شوكت الشطي/مجموعة أبحاث في الحضارة العربية /ص ١٢

(٢) الجاحظ/الحيوان/٦/٣٠؛ الأبيهي/المستطرف/٢/٨٢

(٣) ابن قتيبة /ادب الكاتب/ص ٨٨؛ ابن دريد /جمهرة اللغة/١/١٩٠؛ ابن سيده /المخصص/٩/١٣؛ جواد علي

/المفصل /٨/٢٤

(٤) مسلم/الصحيح/٣/٤٥

(٥) البخاري/الصحيح/٤/٢٣٨

للكواكب والنجوم وأهتمامهم بها واحتياجهم لها في معرفة الأنواء والمواسم وفي أسفارهم^(١)، فقد كان العرب يحددون مساكنهم بمواقع النجوم، حيث قيل "ان السليك بن السلكة أحد صعاليك العرب وشعرائها المشهورين سأل قيس بن مكشوح المرادي، أن يصف له منازل قومه فقال قيس: خذ بين مهيب الجنوب والصبائم سرحتي لاتدري اين ظل الشجرة فاذا أنقطعت الحياة فسر أربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد، فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء فثم منازل قومي سعد بن زيد مناة، وقد وصل كل منهما الى حيث وصف له"^(٢)، وأشار القرآن الكريم الى اعتماد العرب علل النجوم في تنقلاتهم حيث قال تعالى (وبالنجم) وبالنجم هم يهتدون^(٣)، وقوله تعالى (هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)^(٤)، وقد نعت المرزوقي "العرب بأنهم من أحفظ الأمم لهذا النوع من المعرفة، من خلال تجاربهم"^(٥)، وقد بقيت هذه المعارف الجغرافية الفلكية حتى بعد مجيء الإسلام حيث أصبحت القاعدة المتينة التي قامت عليها المؤلفات الإسلامية الجغرافية اذ أخذ مؤلفوها يتتبعون مآثر أسلافهم في هذا الفن^(٦)، وقد كتب فيما بعد العديد من المسلمين في الأنواء حيث أورد ابن النديم في كتابه الفهرست أسماء من ألف كل واحد منهم كتاباً أسماه (الأنواء)^(٧).

(١) حسين قاسم العزيز/ موجز تاريخ العرب/ ص ١٠٦؛ ظاهر شوكت/ الأنواء والحياة اليومية عند العرب/ ص ٥ وحول
حول علم النجوم والفلك عند العرب انظر: الخوارزمي/ مفاتيح العلوم/ ص ١٢٢-١٢٥؛ عبدالمحسن الحسيني /
تقويم العرب في الحاهلية/ ص ٢٢-٢٣؛ حكمت نجيب/ دراسات في تاريخ العلوم/ ص ١٨١-١٨٢

(٢) البكري/ معجم ما استعجم/ ٢/ ٤١١

(٣) القرآن الكريم/ النحل/ ١٦

(٤) القرآن الكريم/ الأنعام/ ٩٧

(٥) المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ٢/ ١٧٩، الا ان هناك من الباحثين من يؤكد على ان العرب قد استفادوا واخذوا من
علوم وتجارب الأمم السابقة، وقد تعلموا منهم مثل الكلدانيين واليهود واللاتين. انظر: جواد علي /المفصل ٨/

/ ٤٢٦؛ احمد شوكت الشطي/ مجموعة أبحاث في الحضارة العربية/ ص ١٥-١٦

(٦) عرام بن الأصبغ السلمي/ أسماء جبال تهامة وسكانها/ ٢/ ٣٧٣؛ وكذلك كراتشوفسكي/ تاريخ الأدب الجغرافي / ١/

وكان لحاجة العرب الى المطر، لما كانوا في ضنك العيش وكلف من الحاجة فألحوا في تتبع مواقعهم، وترقبوا الأنواء فأكسبتهم خبرة في مراقبة الجو وتغيراته، ونظراً لأهمية المطر في حياة جزيرة العرب، اهتموا بمراقبة مظاهر الأنواء واللوان السحب، وقد علمتهم التجارب أن السحب البيضاء لا تكون ممطرة وأن السحب السوداء تكون هطلة تغيث الناس^(١)، فقد كان العرب قبل الإسلام على اطلاع بأحوال سقوط المطر وكيفيته، فقد وصف عبيد بن الأبرص، البرق والمطر بقوله:

أرقت لضوء برق في نشاط تلاً في مملاة غصاص
لواقح دلح بالماء سحم تشج الناء من خلل الخصاص^(٢)

كما ذكر المطر النابغة الذبياني بقوله:

تجري بها الأرواح من بين شمال وبين صباها المعصرات الدوامس^(٣)

ولهذا نجد للسحب أسماء كثيرة من حيث ترتيبها وأوصافها وقربها وبعدها عن الأرض، ولونها وأحتمال وجود الغيث فيها، ولكثرة الأسماء التي أطلقوها كلها فإنه يدل على شدة اهتمام العرب بالسحاب لما له من أثر في حياتهم، لاسيما بالنسبة لنزول الغيث، فقد كانوا يستسقون بالنوء ويرجعون سبب سقوط المطر اليه^(٤)، وقد أستسقت العرب في أعوام الجذب والقحط، فقد توالى على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقطى الضرع، ففزعوا الى عبد المطلب، جد الرسول (ﷺ) وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى فأدع الله أن يسقينا، فخرج عبد المطلب، وحمل معه الرسول (ﷺ) وقد كان صغيراً وأستسقى لهم، فقال عبد المطلب: اللهم ساد الحلة وكاشف الكربة، انت عالم غير معلم مسؤول غير مبخل، وهؤلاء عبادك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنيهم التي قحلت الضرع وأذهبت

(١) جواد علي/المفصل/٨/٤٢٤-٤٢٥؛ احمد شوكت الشطي/مجموعة أبحاث في الحضارة العربية/ص ١٦؛

عمر رضا كحالة/العالم الإسلامي/١/٨٨

(٢) عبيد بن الأبرص/الديوان/ص ٨٤، النشاط: السحاب المرتفع بعضه فوق بعض. المملاة: المراد بها السحب الممتلئة بالماء. اللواقح: الرياح التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع بالسحاب صار مطراً. الدلح:

وهي السحب الكثيرة الماء. عبيد بن الأبرص/م.ن/ص ٨٤

(٣) السيوطي/الدر المنثور/٦/٣٠٦، ولم أعثر على هذا البيت في ديوان النابغة الذبياني.

(٤) جواد علي/المصدر السابق/٨/٤٢٥

الزرع، فأسمعن اللهم وأمطرن غيثاً مريعاً مغدقاً، فلما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي
بثجه، وبذلك يقول بعض قريش:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الكرى وأجلوز المطر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به مافي الأنام له عد ولا خطر^(١)

كما يورد لنا الهمداني رواية بان في الجاهلية "أصاب الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء
وسموها سنة الجمود لجمود الرياح فيها وأنقطاع الأمطار، وذهاب الماشية و هزالها وثبات الغلاء
وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية والآبار، ويسمى مثل هذه السنة الحُمة والأزمة واللزبة
المجاعة والرمد وكحل والقصر والشدة والحاجز، فأقبل الناس بالضجة والعواء والتضوع الى بيت الله
الحرام من أرض نجد وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسروات يدعون الله عزوجل بالفرج لهم
ويستسقون"^(٢) وكان العرب قبل الإسلام، اذا أستمطروا عمدوا الى أذنان البقر وأضرموا فيها النار،
وأصعدوها في جبل وعر وتبعوها يدعون الله عز وجل ويستسقونه، وباشعال النار يقول ابن
الكلبي: كانوا بضرمونها تفاولاً للبرق، اما ابوحنيفة فيقول: كانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحوالمغرب
من بين الجهات قصداً الى العين يعني عين السماء، فكان هذا أسلوبهم في الاستسقاء حسب
زعمهم^(٣).

ولقد كان بعض العرب يعتقد ان للظواهر الفلكية والنور تأثيراً على الحوادث الأرضية تأثيراً
روحياً، فلقد أخبرنا صحيح مسلم في حديث شريف عن ذلك، حيث قال رسوا الله (ﷻ) "انهم كانوا
يقولون ان الشمس والقمر لا يخسفان الا لموت عظيم..."^(٤)، وبهذا الخصوص يقول أحد الباحثين "أن
هناك فرقاً في موقف العرب قبل الإسلام من هذه الأنواء كما يسمونها هم، فقسم منهم كان يرى فيها
مصدراً للخصب والرياح والحر والبرد، فيما كان قسم منهم يجعلها تقويماً للحوادث فمثلاً يؤرخون
للجفاف الذي يحل بمدينتهم بطلوع نجم من النجوم أو يؤرخون لموت ملك بسقوط نجم آخر.. وهكذا،

(١) اليعقوبي/التاريخ/١٣/٢؛ ابن سعد/الطبقات/١/٨٩-٩٠؛ السهيلي/الروض الأنف/٢/٢٩؛ الدياربي/تاريخ
الخميس في أحوال أنفس نفيس/١/٣٣٨؛ القطب الراوندي /قصص الأنبياء/ص٣٢٥، القحل: اليابس ، وأقل
الضرع يبس. الفراهيدي/العين/٣/٤٦؛ ابن منظور/لسان العرب/١١/٥٥٢

(٢) الهمداني/صفة جزيرة العرب/ص٣٣٣

(٣) المرزوقي/الأزمنة والأمكنة/٢/١٢٣-١٢٤

(٤) مسلم/الصحيح/٣/٣١، ٣٧/٧

فضلاً عن ذلك فليس من المسبب ان يكون قسم منهم مدركاً لحقيقة أثر الأجرام الفعلي أو العملي على الرياح، الى أن جاء الإسلام فأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب في الحوادث الأرضية تأثيراً روحياً^(١)، فقد أبطل الإسلام هذا الاعتقاد بقوله (ﷺ) "ان الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما من آيات الله..."^(٢)، فالحديث يؤكد بطلان هذا المعتقد.

٥- الطب:

الطب من العلوم المطلوبة في كل زمان ومكان، لماله من صلة بحياة الإنسان، وقد عرف العرب قبل الإسلام الطب وكان أحد معارفهم^(٣)، الا أن طب البادية عند العرب لم يكن علماً ذا أصول وقوانين، وانما كما قال ابن خلدون "يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير"^(٤)، وكان التطبيب عندهم على نوعين تطبيب يقوم به الكهان والعرافون ولهم فيه التقرب للأصنام بالرقى، والتي ترغب الأرواح الشريرة على الخروج من جسم المريض، وانهم كانوا يعتقدون ان الأرواح الشريرة هي سبب الأمراض. كما يتم معالجة الأمراض من خلال شرب الأدوية البسيطة كالعسل وبتر العضو المريض عند الضرورة أو كيه بالنار^(٥)، كم اكان الكهنة والسحرة والحذاة قبل الإسلام، هم الذين يمارسون الطب ويعالجون المرضى بالسحر والأدعية أو بالأدوية التي أخذوها عن سبقتهم ومن تجاربهم الخاصة فقد وجدوا ان بين الطب والسحر صلة، فقد كان الساحر طبيباً، وكذلك الكهان يداوون

(١) حميد سراج جابر/الفكر الاختباري في نهج البلاغة للأمام علي (ع)/ص ١٢٦

(٢) مسلم/الصحيح/٢٩/٣

(٣) جواد علي/المفصل/٨/٣٨٠-٣٨١؛ كمال السامرائي/مختصر تاريخ الطب العربي/١/١٩٩

(٤) ابن خلدون/المقدمة/ص ٣٩١

(٥) ابن عبد ربه/العقد الفريد/٦/٣٠٤-٣٠٦؛ مصطفى الرافعي/حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة/ص ٣٣؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن الإسلامي/٣/٢٣، ولمزيد من المعلومات حول تطبيب العرب وعلاجاتهم انظر: ابن عبد ربه/م.ن/٦/٣٠٤-٣٠٦؛ السيوطي/تاريخ الخلفاء/ص ١٥٠؛ جرجي زيدان/م.ن/٣/٢٢-٢٣ جواد علي/المصدر السابق/٨/٣٩٠-٤١٨؛ كمال السامرائي/المصدر السابق/١/٢٠١-٢٠٧

المرضى^(١) وكانوا يداونون المرضى بالعزائم والرقي^(٢)، وكان الطبيب عند العرب يسمى حاذقاً^(٣)، وقد حاذقاً^(٣)، وقد وجدنا في الصحيحين أحاديث نبوية شريفة تشير الى التطبيب عند العرب، ومنها الرقي الرقي وخاصة من العين، فقد جاء في حديث عائشة (رض) انها قالت "أمرني رسول الله (ﷺ) أو أمر أن يسترقى من العين"^(٤)، فأن شرالعين شيء ثابت وموجود^(٥)، وكان العرب قبل الإسلام يؤمنون بالأسباب بها وأن أسبابها قوى غيبية سحرية قوية^(٦)، ولهذا لجأوا الى السحرة والكهان لعلاجهم منها، فكانت الأصابة بالعين والوقوع بالمرض بسببها معتقداً قديماً كافحه الأعراب بالرقي والتعاويذ، فيعلقون على أبواب دورهم الأحذية البالية أوحدوة الخيل^(٧)، كما خاف عرب قبل الإسلام من العين العين على حيواناتهم ايضاً فأبتكروا طريقة لدفعها عنها وهي التعمية أوالتفقتة، فكان الرجل اذا بلغت ابله ألفاً قلع عين الفحل، ويقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقل عينه الأخرى^(٨)، حتى كانت العرب تقول "ان العين تسرع بالأبل الى أوصامها، وبالرجال الى أسقامها"^(٩).

وكان هناك رقي نهى عنها الرسول (ﷺ)، ففي حديث جابر بن عبد الله انه قال "كان لي خال يرقى من العقرب فنهى رسول الله (ﷺ) عن الرقي قال فأتاه فقال يا رسول الله انك نهيت عن الرقي وأنا أرقى من العقرب فقال من أستطاع منكم ان ينفع أخاه فليفعل"^(١٠)، فالرقي التي نهى عنها الرسول (ﷺ) انها رقي الجاهلية قبل الإسلام والتي لم يكن يفهم من معناها شيء وهذا ما يؤكد ابن

(١) جرجي زيدان/تاريخ التمدن الإسلامي/٢٢/٣؛ جواد علي/المفصل/٨/٣٨٠

(٢) شوقي ضيف/العصر الجاهلي/ص ٨٤

(٣) العيني/عمدة القارئ/٢١/٢٢٩

(٤) البخاري/الصحيح/٧/٢٣، والرقي: هي الأعمال التي يقوم بها الطبيب أو الكاهن من أجل شفاء المريض. ابن

منظور/لسان العرب/١٩/٤٨

(٥) ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٧٣

(٦) هاملتون جب/دراسات في حضارة الإسلام/ص ٢٣٩

(٧) كمال السامرائي/مختصر تاريخ الطب العربي/١/٢٠٧

(٨) الألبشيهي/المستطرف/٢/٧٩

(٩) ابن عبد ربه/العقد الفريد/٦/٢٧٧

(١٠) مسلم/الصحيح/٧/١٩

حجر بقوله " كان أهل الجاهلية يعتقدون بأن الأدوية تنفع بطبعها وكان رقي الجاهلية كلام من الذي لا يعقل معناه"^(١).

وقد أشتهر عدد من الأطباء قبل الإسلام، الذين ذكرتهم الأخبار، ومن أشهرهم، الحارث بن كلدة الثقفي من أهل الطائف، طبيب العرب قبل الإسلام، وقد رحل الى أرض فارس وتعلم بمدرسة جنديسابور، وطب بأرض فارس، وله كتاب المحاورة في الطب، بينه وبين كسريانوشروان وحصل على أموال من كسرى ثم رجع الى أرض العرب وقد أشتهر بأسم طبيب العرب وعاش أيام الرسول محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين الى أيام معاوية^(٢)، كما برز في الجاهلية الطبيب زهير بن جناب الحميري^(٣)، كما أشتهر من أطباء العرب قبل الإسلام، ابن حذيم، وهو من تيم الرباب، وأنه كان بارعاً في الطب، وكان يضرب به المثل، فيقال "أطب من ابن حذيم"^(٤)، كما انه حاز على شهرة واسعة بين العرب قبل الإسلام، وقد ذكره أوس بن حجر في شعره، حيث قال:

فهل لكم فيها إلي فأني طبيب بما أعيأ النطاسي حذيما^(٥)

كما أن الطب لم يكن وفقاً على الرجال فقط بل مارسه بعض النساء مثل زينب، من بني أود، كانت تطب وتعالج العيون وأشتهرت بالجراحة ايضاً^(٦). هذا الى جانب معرفة العرب قبل الإسلام بالطب الحيواني^(٧)، وتخصص نفر من الجاهليين بمعالجة الحيوان، وهم البيطرة يعالجون يعالجون أمراضها فيصفون الأدوية، ويقال للواحد منهم البطير والبيطر والبيطار، ومن الذين أشتهروا عند العرب قبل الإسلام بمعرفتهم بالبيطرة، العاص بن وائل السهمي القرشي، كان يعالج الخيل والابل، وقد برع البيطرة بمعرفتهم الخاصة بالخيول والابل، لأنها أثمن أموال العرب^(٨).

(١) ابن حجر/فتح الباري/١٠/١٧٩

(٢) ابن أبي أصيبعة/عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ص ١٤٥-١٤٦؛ ابن جليل/طبقة الأطباء والحكماء/ص ٥٤-٥٥؛ ابن العبري/تاريخ مختصر الدول/ص ٩٢؛ محمد كرد علي/الإسلام والحضارة العربية/١/١٣٠؛ أحمد محمود الساداتي/تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية/ص ٥٥؛ جواد علي/المفصل/٣٨١/٨، وجنديسابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت اليه أسكن فيها سبي الروم وطائفة من الجند. ياقوت الحموي/معجم البلدان/٢/١٧٠

(٣) حكمت نجيب/دراسات في تاريخ العلوم/ص ٣٨

(٤) الميداني/مجمع الأمثال/١/٦١٠؛ الزمخشري/المستقصى في أمثال العرب/١/٢٢٠؛ جرجي زيدان/تاريخ التمدن الإسلامي/٤/٢٤

(٥) أوس بن حجر/الديوان/ص ١١١؛ الزبيدي/تاج العروس/٨/٢٣٨

(٦) ابن أبي أصيبعة/المصدر السابق/ص ١٦٢؛ جواد علي/المصدر السابق/٨/٣٨٧

(٧) انظر: ابن قتيبة/كتاب الجرائيم/ج ١/ق ١١٥-١٣٩

(٨) جواد علي/المصدر السابق/٨/٤١٥-٤١٧؛ محمد الصالح/الخيول عند العرب/١/٢٦؛ شوقي ضيف/العصر

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام

توطئة

لقد كان نصيب العرب كباقي الأمم الأخرى من اختلاف في الموارد والأنشطة الاقتصادية وكان للبيئة وطبيعة بلادهم أثراً كبيراً في اختلاف معاشهم واقتصادهم، فأما ان يكونوا حضراً يعيشون في المدن والواحات أو بدواً رحلاً، وقد قسم ابن العبري العرب واقتصادهم إلى مراتب فقال " وأما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين أهل وبر وأهل مدر، فأما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض والتجارة، وأما أهل الوبر فهم قطان الصحارى وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها منتجعين منابت الكلاً ومرتادين لمواقع القطر، فيجتمعون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الراعي، ثم يتوجهون لطلب العيش وابتغاء المياه فلا يزالون في حل وترحال " ^(١). فسكان المدن العامرة في اليمن ومكة ويثرب والحيرة، غير سكان البادية الموغلين في الصحراء، وكان سكان المدن يختلفون في مستوياتهم المعاشية فمنهم التاجر الثري ومنهم العبد الرقيق والمسكين الضعيف، وآخرون بين هؤلاء وهؤلاء وفي البادية أغنياء موسورون وفقراء مرملون، ولهذا كانت الحالة الاقتصادية إحدى أهم مميزات الحياة العربية قبل الإسلام، وقد أعطاهما الحديث النبوي الشريف الذي ذكر في الصحيحين جانباً منه، فهناك روايات تشير إلى بعض النشاطات الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة، كما ذكر لنا أهم أسواقهم وما كان لهذه الأسواق من أهمية عندهم، كما تطرق الحديث النبوي الشريف في الصحيحين إلى ذكر بعض أنواع المعاملات التجارية والمكاسب الخاصة بهم كأنواع البيع والربا ومعاملات أخرى تختص بالبيع والشراء، وهذا ما سنتطرق إليه في ثنايا هذا الفصل.

المبحث الأول

(١) ابن العبري/تاريخ مختصر الدول/ص ١٥٩

النشاطات الاقتصادية

١- التجارة:

التجارة كانت المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها، وهي مهنة الحضر المتعلمين، ولم تكن ظروف البادية ولا طباع أهلها تعين على ان يبرعوا فيها، ولكن بعضهم كان يعمل دليلاً يرشد القافلة من ان تضل في مجاهل الصحراء، أو خفياً حامياً يمنعها من النهب والغارة^(١)، كما كانت جزيرة العرب منذ القدم طريقاً عظيماً للتجارة^(٢)، وبسبب التجارة والظروف السياسية فقد استطاعت ان تقوم بعض المدن والحوضر في البوادي وكونت دويلات تقوم عليها أشرف القبائل وكبار التجار، مثل مكة حيث نزلت قبيلة قريش^(٣)، فقد عرف العرب قبل الإسلام التجارة وقد ورد ذكر إحدى تجارتهم المهمة في الأحاديث النبوية الشريفة في الصحيحين، فعن عائشة (رضي الله عنها) انها قالت " لما نزلت آيات سورة البقرة عن آخرها خرج النبي (ﷺ) فقال حرمت التجارة في الخمر " ^(٤)، فكانت تجارة الخمر إحدى التجارات التي يقوم بها العرب قبل الإسلام مع بلاد الشام إلى جانب المنتجات الأخرى، حيث كان تجار مكة يستوردون كذلك منتجات الزيت والحبوب والأسلحة والجواري والمنسوجات والمصنوعات لقاء تصديرهم للشام بضائع الهند واليمن كالذهب والأحجار الكريمة والعطور والأخشاب والتوابل والجلود^(٥)، ومما أدى إلى اشتهار وقيام تجارة الخمر عند العرب، هو مكانة الخمر في حياتهم وشدة ولعهم وتعلقهم بها، كما بينها سابقاً .

(١) يحيى الجبوري / الجاهلية مقدمة في الحياة العربية/ص ٨٠

(٢) احمد أمين / فجر الإسلام/ ص ١٢

(٣) كلود كاهن/تاريخ العرب والشعوب الإسلامية / ص ٩؛ وللتجارة وأثرها في إيجاد المراكز الحضرية ينظر: عبد

المنعم ماجد/التاريخ السياسي للدولة العربية/ص ٨٣-٨٤

(٤) البخاري/ الصحيح/٤١/٣؛ مسلم / الصحيح/٤١/٥، ١٠٢/٦

(٥) صالح العلي / محاضرات في تاريخ العرب/ص ٩٧؛ ثابت الراوي/محاضرات في تاريخ العرب /ص ٥٤؛ رشيد

الجميل/تاريخ العرب/ص ١٧٣؛ كما قد كانت للعرب قبل الإسلام تجارات مع الدول الأخرى كالروم

كما أشار البخاري في حديثه الوارد عن ابن مسعود (رضي الله عنه) عن أثر التجارة وأهميتها للمكيين، فعندما التقى أبو جهل هشام بن الحكم بسعد بن معاذ، وكانا يطوفان بالكعبة فتلاحيا وتغاضبا لأن قوم سعد بن معاذ قد آووا الرسول (ﷺ) والمهاجرين في المدينة، ولما أراد أبو جهل من سعد من الطواف بمكة هدهد سعد وقال له " والله لأن منعنتي أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام ... " ^(١)، فالمعروف عن مكة انها احتلت مركزاً ممتازاً له جانبان، جانب ديني، وجانب تجاري، فهي تعتبر المركز الديني الرئيسي في الجزيرة العربية، فضلاً عن كونها محطة للقوافل التجارية ومركزاً تجارياً مهماً لأنها واقعة على الطريق التجاري البري بين اليمن جنوباً وبلاد الشام والعراق شمالاً، أي في منتصف المسافة تقريباً، وقد أخذت أهمية مكة بالازدياد منذ القرن الخامس الميلادي بسبب الأوضاع السياسية في اليمن ونشوب الحروب بين الفرس والروم مما عرقل التجارة في هذه الأراضي، ولم يكتف المكيون بأن تكون مدينتهم ممراً للقوافل فقط بل ساهموا انفسهم في النشاط التجاري، وقد جلبت التجارة على سكان مكة الثراء الفاحش حتى قيل ان تسعة أعشار الرزق في مكة من التجارة ^(٢)، فلذا نرى سعد بن معاذ لم يرَ بد من تهديد أبي جهل بقطع المورد الرئيسي والحساس عنه إلا وهي التجارة ^(٣).

والهند والصين ومصر وغيرها، أنظر عنها: محمد أسعد طلس / ص ١٣١ - ١٣٢؛ أحمد محمود الساداتي / تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية / ص ٥٤ - ٥٥؛ كذلك كانت لهم سلع أخرى يتاجروا بها كتجارة الرقيق والأصنام. أنظر: الأزرق / أخبار مكة / ١/ ١٢٣؛ جرجي زيدان / تاريخ التمدن الإسلامي / ٤/ ٢٨. إلا أن أحاديث الصحيحين لم تذكرها لنا.

^(١) البخاري / الصحيح / ٤/ ١٨٥، وسعد بن معاذ بن النعمان بن عمرو القيس بن زيد بن عبد الأشهل من الأوس الانصاري سيد الأوس وكان أحد حكام يثرب في الجاهلية، وكان قد نزل بني قريظة على حكمه يوم الخندق وقد

جرح يوم الخندق ومات سنة ٥ هـ. ابن عبد البر / الاستيعاب / ١/ ٣٦٢؛ ابن حجر / الإصابة / ٢/ ٣٧

^(٢) أحمد أمين/ فجر الإسلام/ ص ١٤؛ ابراهيم أحمد العدوي/ الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم/ ص ٢٢-٢٨؛ ثابت الراوي/ محاضرات في تاريخ العرب/ ص ٥٣-٥٤؛ شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ٤٩ - ٥٠

^(٣) وقد التفت المسلمون إلى هذا الأمر بعد هجرتهم إلى المدينة فقاموا بقطع الطريق التجاري الذي يربط بين مكة والشام وتعرضوا للقافلة التجارية التي كان يقودها أبو سفيان، وعلى أثر ذلك وقعت معركة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

ولم تعد التجارة وسيلة ارتزاق ومورد عيش للمكيين فحسب، بل عدت الناظم لعلاقاتهم السياسية والدولية، والمحور الذي تدور حوله شؤون اقتصادهم وعلاقاتهم بالقبائل العربية المختلفة، كما غدت مصالحهم التجارية هي التي تحدد انتماءهم إلى هذا الحلف أو ذاك من الأحلاف التي قامت في مدينتهم قبل الإسلام^(١)، وخير دليل على هذا الكلام هو الإيلاف والإيلاف من يؤلفون أي يهيئون ويجهزون، وهو العهد والذمام الذي أخذه هاشم بن عبد مناف وأخوته من ملوك الدول لقريش^(٢)، فقد كان ولد عبد مناف هاشم وعبد شمس ونوفلاً والمطلب، قد أخذوا لقريش عهداً تجارياً وأمنية من الأماكن التي اختلفوا إليها، فكانوا أول من أخذ لقريش العصم، فانتشروا من الحرم، فأخذ لهم هاشم عهداً من ملوك الشام الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس عهداً من النجاشي الأكبر فأختلفوا بذلك العهد إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل عهداً من الأكاسرة، فاختلفوا بسبب ذلك العهد إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطلب عهداً من ملوك حمير فاختلفوا بذلك العهد إلى اليمن، حتى أنهم ماتوا في تلك الأراضي ما عدا عبد شمس فإنه مات في مكة^(٣). وكان هاشم هو الذي سن لقريش الرحلتين رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام^(٤)، والتي ذكرها القرآن الكريم^(٥)، وأنه أيضاً أول من ذهب خارجاً إلى الشام، وزار الملوك وقام برحلات بعيدة وأجتاز الأعداء، وأخذ منهم الإيلاف^(٦)، وكانت قريش لا تفارق مكة ولا تتعامل إلا مع التجار الذين يترددون على سوق عكاظ وذي المجاز خلال الأشهر الحرم ويأتون مكة، ولكن بسبب الأيلاف الذي أخذه هاشم وأخوته فقد أصبحوا تجار مكة يحملون البضائع إلى الشام والعراق واليمن، وهذه التجارة المستندة إلى أحلاف الإيلاف كانت عملية مشتركة بين أسر قريش وأسرة عبد مناف، وإن الأحلاف المعقودة مع القبائل

أنظر: الطبري / التاريخ/ ٢/ ٤٢١-٤٢٦؛ ابن الأثير/ الكامل/ ٢/ ١١٦-١٣٧؛ ابن كثير/ البداية والنهاية/ ٣/ ٢٥٦-

٢٥٧

(١) نبيه عاقل/ الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لمقاومة قريش الدعوة الإسلامية/ ص ٨٥

(٢) أين منظور / لسان العرب / ٩ / ١٠؛ سعيد الأفغاني/ أسواق العرب / ص ١٥٣

(٣) أين هشام / السيرة النبوية / ١/ ١٥٧؛ أين حبيب/ المحبر/ ص ١٦٢ - ١٦٤؛ الطبري/ التاريخ/ ٢/ ٢٥٢

(٤) أين هشام / م.ن / ١/ ١٥٧؛ الطبري/ م.ن / ٢/ ٢٥٢؛ جواد علي/ المفصل / ٧/ ٢٩٠

(٥) القرآن الكريم/ سورة قريش

(٦) أبي الهلال العسكري/ الأوائل/ ص ١٣

على مبدأ الربح التجاري لم تكن معروفة حتى ذلك الحين^(١)، فيبدو ان أخذ هاشم العهود والأحلاف من القبائل الأخرى هو لحماية التجارة المكية في طرقها التي تسلكها عن طريق تلك القبائل التي تمر بها وتأمين سلامتها مقابل بعض الأرباح لتلك القبائل.

ومن الأحلاف المهمة التي قامت في مكة لنصرة المظلوم وتوفير الحماية بمكة للتجار الغريباء عنها حلف الفضول وهو الحلف الذي عقده قريش بينها على نصرة كل مظلوم بمكة^(٢)، فقد تداعت بطون من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم وبنو المطلب واسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها وغيرها ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وأخذوا حقه ممن ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وكان أكرم حلف سمع به قبل الإسلام، حتى ان الرسول (ﷺ) قال " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً، ما أحب الي به حمر النعم، ولو أدعا به في الإسلام لأجبت "، وكان من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب - عم الرسول (ﷺ) - وكان سببه اقتصادياً حيث ان رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقه فاستدعى عليه الزبيدي بنو عبد الدار ومخزوماً وجمح وسهماً وعدي بن كعب، فأبوا ان يعينوه على العاص بن وائل وزبروه، أي انتهروه، فلما رأى الزبيدي الشر، وقف على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا	آل	فهر	لمظلوماً	بضاعته	بيبطن	مكة	ناء	الدار	والنفر
ومحرم	أشعث	لم	يقضي	عمرته	يا	للرجال	وبيين	الحجر	والحجر
ان	الحرام	لمن	تمت	كرامته	ولا	حرام	لثوب	الفاجر	الغدر

(١) سعيد الأفغاني/ اسواق العرب/ ص ١٤٩؛ كستر/ الحيرة ومكة/ ص ٤٦-٤٨

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ١/ ١٥٥؛ ابن حبيب/ المحبر/ ص ١٦٧؛ السهيلي/ الروض الأنف/ ١/ ١٥٦؛ ظافر القاسمي/ نظام الحكم/ ص ٢٠

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار بن جدعان، لكي ينصروا المظلوم على الظالم، فمشوا إلى العاص بن وائل، وانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه^(١)، وعلى رأي احد الباحثين بأن هذا الحلف هو المقصود بقول النبي (ﷺ) " لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة " ^(٢)، واعتقد ان حلف الفضول هو احد المصاديق الذي ينطبق عليه المقصود بهذا الحديث، وذلك لما فيه من أعمال توافق ما جاء الإسلام بها من نصره المظلوم ورد المظالم، وإقضاء الأمن والسلام، إلا أننا لا نستطيع الجزم بان هذا الحلف هو المقصود في الحديث الشريف وذلك لوجود أحلاف أخرى كانت عند العرب غير هذا الحلف كالحلف والمعاهدات بين القبائل أو بين أبناء القبائل انفسهم وغيرها من الاحلاف^(٣).

ولقد كان الدافع الذي يكمن في عقد حلف الفضول دافعاً تجارياً اقتصادياً، لأنهم كانوا منتفعين من دخول التجار اليمنيين إلى مكة، على عكس البيوت القرشية الأخرى، فمخزوم وسهم وجمعة وعبد الدار التي لم تكن بحاجة إلى هذه التجارة، حيث شعروا ان هذا الاعتداء سوف يؤدي إلى عزوف التجار عن دخول مكة وبالتالي تتضرر مصالحهم الاقتصادية^(٤). ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أهمية التجارة عند المكيين وضرورة مراعاتها وتوفير الأجواء المناسبة لها من خلال الأحلاف ومد جسور الصلة مع القبائل الأخرى، وذلك لأنها تعد العامل أو الشريان الرئيس المغذي لأهل مكة.

(١) ابن هشام /السيرة النبوية/ ١/١٥٥-١٥٦؛ السهيلي/الروض الأنف/ ١/١٥٦؛ والعاص بن وائل بن هاشم السهمي من قريش أحد الحكام في الجاهلية وكان نديماً لهشام بن المغيرة وكان على رأس بن سهم في حرب الفجار وقد أدرك الإسلام ولكنه ظل على الشرك ومات مشركاً. الزركلي/الاعلام/ ١١/٤

(٢) سعيد الافغاني/أسواق العرب/ص ١٨٤، وقد ورد هذا الحديث النبوي الشريف عند مسلم/الصحيح/ ٧/١٨٣

(٣) لمزيد من المعلومات حول أنواع الحلف عند العرب ينظر: دلال جويد تعبان/الاحلاف في الشعر العربي/ص ١٢-٢١

(٤) مونتغمري واط/محمد في مكة/ص ٣٩؛ هاشم الملاح/الوسيط في تاريخ العرب/ص ٢٩٤-٢٩٥؛ حسين علي الشرهاني/السيد خديجة بنت خويلد (ع)/ص ٣١

كما يبين لنا نفس الحديث الشريف السالف الذكر أيضاً مدى ارتباط يثرب بمكة من الناحية الاقتصادية، فقد كانت يثرب تقع على طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام، حيث كانت تصل إليها منتجات الشام واليمن، سالكة الطريق البري الذي يمر عبر مكة، والطريق البحري عبر البحر الأحمر^(١)، حتى أنه في ما بعد وعند مجيء الإسلام فأن مشركي قريش قد استاءوا كثيراً عندما هاجر الرسول (ﷺ) إلى يثرب، وذلك لعلمهم بأهمية موقع يثرب، وبما سيقوم المسلمون من التعرض لقوافلهم والتحرش بتجارته حتى أنهم قد شعروا بالضرر والخسارة التي منيت بها تجارة مكة بسبب هجرة الرسول (ﷺ) إلى يثرب واعتراضه طرق القوافل^(٢).

٢ - الحرف الصناعية:

وهي من الأنشطة التي مارسها العرب قبل الإسلام وقد ذكر مسلم في حديث شريف أحد هذه الصناعات التي كانت عند العرب، إلا وهي صناعة الخمر، فقد قال انس بن مالك " انها كانت خليط البسر والتمر " ^(٣)، وفي حديث عن جابر بن عبد الله الانصاري قال " ان النبي (ﷺ) نهى ان يخلط الزبيب والتمر والبسر والتمر " ^(٤)، وقد قامت هذه الصناعة في يثرب التي كانوا يصنعون الخمر المستخرجة من التمر ^(٥).

كما يخبرنا الحديث الشريف في الصحيح عن صناعة الخمر في اليمن، حيث كانت تختلف عن صناعة الخمر في المدينة المعتمدة على التمر، فقد ورد عن أبي موسى ومعاذ بن جبل لما بعثهما النبي (ﷺ) إلى اليمن فقالا " يا رسول الله ان شرباً يصنع بارضنا يقال له المزمر من

(١) رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص١٨٧؛ وللمدينة أو يثرب أسماء كثيرة منها المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والمرحومة والعذراء والمحوبة وغيرها، وكانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجوف.

لمزيد من المعلومات أنظر: ابن النجار/الدرة الثمينة في تاريخ المدينة/ص٣٢٣

(٢) جواد علي / المفصل/٢٩٧/٧

(٣) مسلم/الصحيح/٨٨/٦، والبسر: وهو التمر قبل ان يصبح رطباً أو الرطب. الفراهيدي/العين/٢٥٠/٧؛ ابن

منظور /لسان العرب/٥٨/٤؛ الزبيدي/تاج العروس/٤٢/٣

(٤) مسلم/الصحيح /٨٩/٦

(٥) العيني /عمدة القارئ/١٧٣/٢١؛ رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص ١٨٧-١٨٨

الشعير، وشراب يقال له البتع من العسل " (١)، أما المزر فهو الخمر الذي يصنع من الشعير أو الحبوب (٢)، أما البتع فهو الخمر الذي يصنع من العسل (٣)، وهما نوعان من أنواع الخمور التي كانت تصنع في اليمن (٤)، حتى ان ابا موسى قد حدد أنواع الخمر وممن تصنع بقوله " خمر المدينة من البسر والتمر، وخمر أهل فارس من العنب، وخمر أهل اليمن من البتع، وهو نبيذ العسل، وخمر الحبشة الشكره وهي من الذرة " (٥)، فكانت العرب تصنع خمرها من أشياء هي التمر والعسل والقمح والشعير (٦)، ويبدو ان اعتماد العرب على هذه المحاصيل لكثرتها عندهم فهم فهم اصحاب بساتين ونخل.

كما نهاهم النبي (ﷺ) عن الانتباذ في الدباء والمزفت (٧)، فالنبيذ ما يعمل من شراب من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير، وتتبدد إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً فإذا اشتد وغلى صار مسكراً (٨). وكانت طريقة العرب في صنعهم للخمر ان يتركوا الخمر والزبيب أو العسل أو الحنطة أو غيرها في أوعية خاصة كالدباء وهو وعاء يغلي فيه النبيذ سريعاً ويسكر (٩)، أو المزفت وهي أوعية تظلى بمادة الزيت كالفير لوضع الخمر فيها فتصبح خمر (١٠).

وعلى العموم فإن صناعات العرب كانت قليلةً وبسيطة فاستمدوا منها ما كانوا في أشد الحاجة إليه (١)، وقد كان يوجد هناك اختلاف في الصناعة بين البدوي والحضر فقد كان البدوي يكرهون الحرف اليدوية، وهي عندهم من الأمور غير المحبذة وربما يعود السبب في ذلك لأنها

(١) مسلم / المصدر السابق/ ٩٩/٦

(٢) الفراهيدي/ العين/ ٣٦٦/٧ ؛ ابن منظور/ لسان العرب / ١٩؛ الزبيدي/ تاج العروس/ ٥٤١/٣

(٣) الفراهيدي/ م. ن. ٨٠/٢ ؛ ابن منظور/ م. ن. ٤/٨ ؛ ابن سيده/ المخصص/ ٨١/٩؛ الزبيدي/ م. ن. ٢٦٩/٥

(٤) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ٣٥٦/٦؛ ابن سيده/ م. ن. ٨١/٩

(٥) ابن عبد ربه/ م. ن. ٣٥٥/٦؛ الزبيدي/ المصدر السابق/ ٢٦٩/٥

(٦) ابن عبد ربه / المصدر السابق/ ٣٥٦/٦؛ ابراهيم احمد العدوي/ الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم/ ص ٢٤

(٧) البخاري/ الصحيح/ ٢٤٤/٦؛ مسلم/ المصدر السابق/ ٩٢/٦

(٨) ابن عبد ربه/ المصدر السابق/ ٣٥٣/٦؛ النووي/ شرح مسلم/ ١٢٤/١٣؛ ابن منظور/ المصدر السابق/ ٥١١/٣

(٩) الفراهيدي/ العين/ ٨٢/٨؛ ابن منظور / لسان العرب/ ١٤/٢٤٩

(١٠) ابن منظور / م. ن. ٣٤/٢

تتطلب الاستقرار، وهذا يتعارض مع حياتهم القائمة على التنقل ولذلك فأنها نالت ازدياد واستهجان البدو أكثر من غيرهم، فعلى سبيل المثال كانت مهنة الحدادة، وكان يسمى الحداد (القين) مهنة منبوذة عندهم^(٢)، بحيث لم يجد جرير ما يهجو به الفرزدق ويذكره بأن أحد أجداده كان قيناً حيث يقول:

إذا عُدت الأيام أخزين دارما وتخزيك يابن القين أيام داري^(٣)
كما عير عمر بن كلثوم التغلبي، الملك النعمان بن المنذر وهو ملك على الحيرة، بأن أمه من أسرة تمهنت الصياغة، حيث كانوا أخواله صواغاً يعملون القروط في يثرب بقوله:

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زلفةً والأمنأ خالاً وأعجزنا أبأ
وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله يصوغ القروط والشنوف بيثرباً^(٤)

(١) إبراهيم نمير سيف الدين/ تاريخ العرب وعصر النبوة/ ص ٩
(٢) نجمان ياسين/ تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة/ ص ٤٤؛ مهدي عريبي الدخيلي/ بنو أسد ودورهم في التاريخ/ ص ٢٤؛ جواد علي/ المفصل/ ٧/ ٥٠٦-٥٠٧؛ مصطفى جواد/ كره العرب للحياكة/ ٣٣٥
(٣) المبرد/ الكامل/ ٢/ ٧٨؛ يحيى الجبوري/ الجاهلية/ ص ٧٩
(٤) أبو الفرج الأصفهاني/ الأغاني/ ٢/ ٩٨؛ الأب لويس شيخو/ شعراء النصرانية قبل الإسلام/ ق ١/ ٢٠٣؛ يحيى الجبوري/ م.ن/ ص ٧٩

فقد كانت العرب تعير حتى الشريف الذي يتزوج من امرأة أبوها وأخوها يمتنهن الحرف اليدوية^(١)، ولذلك نرى الرسول (ﷺ) يحث على العمل اليدوي والحرفة منهيًا هذه النظرة المتقشية بين الأعراب بقوله "ما أكل أحد طعام قط خيراً من أن يأكل من عمل يده" ^(٢).

وعلى الرغم من ذلك إلا أن متطلبات الحياة الواقعية أملت وجود بعض الحرف البسيطة بين البدو أنفسهم^(٣)، وهذا ما يؤكد ابن خلدون بقوله "لأن العمران البدوي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيطة خاصة المستعملة في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار، وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وإنما يوجد منها بمقدار الضرورة" ^(٤)، فهذا يعني وجود بعض الحرف الضرورية البسيطة عند البدو إلا أنها قليلة جداً إذا ما قارناها عند أهل الحضر.

أما أهل الحواضر والمدن فإن نظرتهم تختلف عن أهل البادية، ولذلك نرى أن قامت صناعات وحرف في اليمن والحجاز، فقد اشتهرت اليمن بصناعة التعدين والسيوف والدروع والبناء، فقد بنوا القصور المشيدة^(٥)، كما اشتهرت اليمن بصناعة الطيب والبخور وغيرها من الصنائع^(٦)، الصنائع^(٦)، كما عرفت في مكة بعض الحرف والصنائع التي كانت تسمى بـ (صنائع الأشراف) فقد كان أبو طالب عطاراً، وكان أبو بكر بزازاً، وكان عمر دلالاً يسعى بين البائع والمشتري، وكان عثمان بزازاً وكذلك طلحة وعبد الرحمن بن عوف، وكان سعيد بن أبي وقاص يبيري النبل، وكان العوام أبو الزبير خياطاً، وكان أبو عمرو العاص جزاراً وكان الوليد بن المغيرة

(١) مليحة رحمة الحمد/ الطفل عند العرب/ ص ١٩٤؛ مصطفى جواد/ كره العرب للحياكة/ ص ٣٣٧؛ شاكر مجيد كاظم/ التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام/ ص ٣٣

(٢) البخاري / الصحيح / ٩/٣

(٣) نجمان ياسين/ تطور الأوضاع الاقتصادية/ ص ٤٥

(٤) ابن خلدون/ المقدمة/ ٤٠١، وكان عند أهل البادية من الصنائع البيتية التي تقوم بها النساء كالنسيج والحياكة والتضميد. ينظر عنه: أحمد محمد العوفي/ المرأة في الشعر الجاهلي/ ص ٣٩٨-٤٠٦.

(٥) محمد كرد علي/ الإسلام والحضارة العربية/ ١/ ١٣٠؛ يحيى الجبوري/ الجاهلية/ ص ١٠

(٦) المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ٢/ ١٦٤، وعن صناعات اليمن الأخرى المشهورة أنظر: جواد علي/ المفصل/ ٧/ ٥١١-٥٢٩

حداداً وكذلك العاص بن هاشم أخو أبي جهل .. وغيرهم من أشرف مكة ممن امتنهن مهناً أخرى^(١)، وهذا يوضح لنا ان عدم احترام المهنة كان عند البدوي بشكل خاص وليس عند العرب عموماً بدلالة هذه المهن المختلفة التي كانت عند اهل مكة^(٢)، وعلى أي حال فان الصناعة عند العرب قبل الإسلام كانت ضئيلة مقارنة من الأمم الأخرى المجاورة، كما كانت مختلفة عندهم من ناحية النظر اليها كنشاط اقتصادي^(٣).

٣. الزراعة:

لم يذكر لنا الصحيحان في أحاديثهما النبوية أي تفاصيل عن الزراعة عند العرب قبل الإسلام مباشرة، وإنما أشار إلى وجود الزراعة عندهم وذلك من خلال ذكره المعاملات الزراعية التي كانت عندهم، ووجود المعاملة الزراعية دليل على وجود الزراعة، فقد جاء عن رافع بن خديج انه قال " اتاني ظهير فقال لقد نهى رسول الله (ﷺ) عن أمر كان بنا رافقا فقلت وما ذاك ما قال رسول الله (ﷺ) فهو حق، قال سألني كيف تصنعون بمحاقلكم، فقلت نؤاجرها يا رسول الله على الربع أو الأوسق من التمر أو الشعير، فقال لا تفعلوا أزرعوها " ^(٤)، كما نهى النبي (ﷺ) " عن كراء المزارع بالمزاعة وأمر بالمؤاجرة، وكانوا قد أكثروا منها " ^(٥)، وقد نهى النبي (ﷺ) عن كراء المزارع بالمزاعة كون الأرض جرداء لم تزرع بعد فلا يعرف مقدار ثمرها ونتاجها وخوف الوقوع بالغبن، وهذا ما يعرف أيضاً بالمخابرة الذي سيأتي فيما بعد. وأمر بالمؤاجرة كون الأجر هو أخذ

(١) انظر: ابن الكلبي / المثالب / ورقة ٦-١٠؛ ابن رسته/الاعلاق النفيسة/ص٢١٤-٢١٥؛ ابي حيان

التوحيدي/البصائر والذخائر/٢/٤١-٤٣

(٢) نجمان ياسين/تطور الأوضاع الاقتصادية/ص٤٦

(٣) بهذا الخصوص انظر: ابن خلدون / المقدمة/ص٤٠٤؛ نجمان ياسين/م.ن/ص٤٥-٤٧

(٤) مسلم/الصحيح/٥/٢٤، المحاقل: المزارع، ومحاقلكم مزارعكم. ابن منظور/لسان العرب/١١/١٦٠، الأوسق: جمع

جمع وسق وهو كيل معلوم حمل بغير أو ما يساوي ٦٠ صاعاً أو مائة وستون مناً. الفراهيدي/العين/٥/١٩١؛

ابن منظور/لسان العرب/١٠/٣٧٨

(٥) البخاري / الصحيح/٥/١٨؛ مسلم/م.ن/٥/٢٥

الجزء عن العمل الذي قام فيه ^(١)، فلا يوجد به غبن ولا غش فلذلك أمر به النبي (ﷺ) والملاحظ ان حديث النبي (ﷺ) كان موجهاً لأهل يثرب، لأن رافع بن خديج وظهير عمه هم من الأوس سكان يثرب ^(٢)، وقد نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون والآبار والأمطار، فقد كانت زراعة العرب قبل الإسلام في يثرب وخيبر والطائف وأطراف الجزيرة شمالاً وجنوباً ^(٣).

وكانت يثرب واحة حقيقية ذات تربة صالحة للزراعة فأرضها بركانية خصبة تتوفر فيها مياه الأودية والعيون والآبار، ويأتي النخيل في مقدمة الحاصلات الزراعية في يثرب ^(٤)، فقد كان أكثر أموال أهلها النخل ومنه معاشهم وأقواتهم ^(٥)، وبالإضافة إلى النخيل فقد زرعوا المحاصيل الأخرى كالحبوب المختلفة كالشعير والقمح، كما زرعوا أنواع الفواكه كالعنب والموز والرمان والليمون والبطيخ ^(٦)، أما بأرض خيبر جملة عيون ومسائل ماء لا يزال الناس يزرعون عليها، وتوجد آثار ونقوش وكتابات تشير إلى السكن فيها منذ القدم ^(٧).

أما الطائف فقد كانت الزراعة تعتبر عماد الثروة الاقتصادية فيها، وقد ساعد على قيامها جودة التربة وتوافر المياه وملائمة المناخ، مما أدى إلى نشاط زراعي واسع وانتشرت حولها المزارع والبساتين حتى كانت مصيفاً لأهل مكة ^(٨)، وقد كانت تنتج أنواع الفاكهة والخضروات حيث توصف

(١) الفراهيدي/العين/١٧٣/٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٤/١٠، والغبن: هو الوكس في البيع أي الغفلة فيه. ابن

منظور/م/ن/١٣/٣١٠

(٢) ابن دريد/الاشتقاق/ص ٤٤٥

(٣) يحيى الجبوري/الجاهلية/ص ٧٧؛ منذر البكر/دراسات في تاريخ العرب/ ص ٨٨

(٤) رشيد الجميلي/تاريخ العرب/ص ١٨٧؛ ثابت الراوي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٥٨

(٥) ابن خردادبه/المسالك والممالك/ص ١٢٨

(٦) محمد أسعد طلس/ تاريخ الأمة العربية/ ص ١٣٣؛ رشيد الجميلي/ المصدر السابق/ ص ١٨٧

(٧) جواد علي/المفصل/ ٧٠/٧

(٨) رشيد الجميلي/ المصدر السابق/ ص ١٩٦؛ ثابت الراوي/ المصدر السابق/ ص ٥٩، والطائف: هي واد وج وهي

بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً وتقع جنوب مكة، وسميت الطائف لحائط بنوه وطافوه بها. ياقوت

الحموي/معجم البلدان/٤/٩-١١

توصف بأنها ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه^(١)، هذا فقد كان من أهم حاصلات الطائف الرمان والخوخ والموز، والعنب والزيتون والسفرجل والبطيخ والقمح والتمور، كما اشتهرت الطائف أيضاً بتربيتها للنحل أنتاجها للعسل^(٢).

وقد اعتمد أهل مكة على ما تنتجه الطائف من الفواكه والزرع^(٣)، حيث ان مكة بلد غير ذي ذي زرع، كما وصفها القرآن الكريم^(٤)، فلما كانت مكة بلداً غير زراعي فقد اعتمدوا في زراعتهم على الطائف حتى ان من أهل مكة من كانت له مزارع في الطائف، وهذا ما يؤكد البلاذري بقوله فقد كان للعباس بن عبد المطلب أرض بالطائف، وكان الزبيب يُحْمَل منها فينبذ في السقاية للحاج، وكانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها طمعت ثقيف فيها، حتى إذا فُتحت ثقيف أقرت في أيدي المكيين، وصارت أرض الطائف مخلاًفاً من مخاليف مكة^(٥).

أما اليمن فقد كانت زراعتها قائمة منذ القدم، بحيث ان زراعتها من حيث الإنتاج والتنظيم كان أكثر حيوية من الزراعة في وسط الجزيرة والحجاز^(٦).

(١) عرام بن الأصبغ/ أسماء جبال تهامة/ ص ٤٢٠؛ ياقوت الحموي/ معجم البلدان / ٩/ ٤
(٢) رشيد الجميلي/ تاريخ العرب/ ص ١٩٦؛ ثابت الراوي/ محاضرات في تاريخ العرب/ ص ٥٩؛ منذر البكر/ محاضرات في تاريخ العرب/ ص ٨٩
(٣) أبين حوقل/ صورة الأرض/ ١/ ٣٢؛ رشيد الجميلي/ م.ن/ ص ١٩٦
(٤) القرآن الكريم/ سورة إبراهيم/ ٣٧
(٥) البلاذري/ فتوح البلدان/ ص ٦٤
(٦) أنظر عنها: غوستاف لوبون/ حضارة العرب/ ص ٩٤-٩٥؛ نجمان ياسين/ تطور الأوضاع الاقتصادية/ ص ٤٠

المبحث الثاني الأسواق

أسواق الجاهلية:

يعتبر السوق من جملة النشاطات الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، كونه موضع البيع الذي يباع به ويشترى^(١)، وكون التجارة تعتمد عليه في ترويج السلع وشرائها، فقد ذكر البخاري في صحيحة ثلاثاً من أهم أسواق العرب قبل الإسلام، ففي حديث ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال 'كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم'^(٢)، فقد كانت هذه الأسواق تقام أيام المواسم في الحج قبل الإسلام، وكانوا يسمون الذي يخرج للتجارة بـ(الداج) وكانوا ينزلون في الشق الأيسر من منى، وكان الحاج ينزلون عند مسجد منى، وكانوا لا يتجرون^(٣)، ولأهمية هذه الأسواق الثلاثة^(*)، عند العرب قبل الإسلام سنتنا ولها بشيء من التفصيل.

١- سوق عكاظ:

عكاظ واد نخل يقع في جنوب مكة بينها وبين الطائف، وكانت السوق تقوم في مكان يعرف بالأنثداء^(٤)، وأما وقتها فقد اختلف فيه، فهناك من يرى أنها كانت تقوم في الأول من ذي القعدة وتستمر إلى مدة (٢٠ يوماً)^(٥)، كما ان هناك من يرى ان السوق كانت تقام في منتصف شهر ذي

(١) ابن منظور/ لسان العرب/ ١٠/ ١٦٧

(٢) البخاري/ الصحيح/ ٤/ ٣، ١٥٨/ ٥

(٣) الطبري/ التفسير/ ٢/ ٢٨٤؛ الزمخشري/ الكشاف/ ١/ ٣٤٧؛ السيوطي/ الدر المنثور/ ١/ ٢٢٢

* ويوجد هناك العديد من الأسواق التجارية عند العرب قبل الإسلام، وهي منتشرة في طول الجزيرة وعرضها، من اليمن إلى الشام، ولمزيد من المعلومات حول معرفة هذه الأسواق أنظر: ابن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٤-٢٦٧؛ اليعقوبي/ التاريخ/ ١/ ٢٧٠-٢٧١؛ المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ٢/ ١٦١-١٦٥؛ السويدي البغدادي/ سبائك الذهب/ ص ١١٩-١٢٠

(٤) ياقوت الحموي/ معجم البلدان/ ٤/ ١٤٢؛ ابن حجر/ فتح الباري/ ٣/ ٤٧٣، ٨/ ٥١٤؛ سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٢٨٦

(٥) اليعقوبي/ التاريخ/ ١/ ٢٧٠؛ الفاسي/ شفاء الغرام/ ٢/ ٢٨٢؛ السويدي البغدادي/ سبائك الذهب/ ص ١٢٠؛ عبد القادر بدران/ تهذيب تاريخ دمشق/ ٤/ ٤١٧

القعدة وإلى آخره^(١)، في حين هناك من يجعله في شهر شوال كله^(٢) إلا أن الذي يرجح وهو الأقرب إلى الصحة هو الرأي الأول وذلك لأنها تبدأ من أول ذي القعدة وتستمر حتى العشرين منه، ثم تبدأ سوق مجنة فيرتحل الناس إليها وهي أقرب من مكة، فإذا أهل ذو الحجة أرتحل الناس إلى ذي المجاز قرب عرفة وبقوا فيها حتى يبدأ الحج^(٣). ويذكر ابن حجر أن سوق عكاظ قد بدأت قبل عام الفيل بخمس عشر سنة^(٤)، إلا أن بعض الباحثين حددوا بداء بعشرات السنين قبل عام الفيل أو ربما مئة سنة^(٥).

ويعتبر سوق عكاظ من أعظم الأسواق عند العرب قبل الإسلام، على رغم كثرة أسواق العرب^(٦)، ويبدو ذلك لوقوعه في موسم الحج حيث يتهيا الناس فيه إلى الحج^(٧)، فنتوقف المشاحنات والسرقات والحروب طوال أربعة أشهر حتى تتمكن القبائل والقوافل في شبه الجزيرة العربية كلها من المشاركة فيه وفي غيره من الأسواق^(٨)، ولهذا فقد جاء عن المرزوقي قوله "أن كل شريف أما كان يحضر سوق بلده إلا عكاظ فأنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة، فكانت أعظم الأسواق"^(٩). وذلك لأنها تقع ضمن مناطق العبادة المقدسة حيث تقع بالقرب من بيت الله الحرام^(١٠)، كما أنها لم يكن فيها مكوس لأنها لم تكن في ملك أحد الأمراء^(١١)، فقد كانت عكاظ

(١) ابن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٧؛ المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ١٦٥/٢؛ البيروني/ الآثار الباقية/ ص ٣٢٨

(٢) ياقوت الحموي/ معجم البلدان/ ١٤٢/٤؛ ابن حجر/ فتح الباري/ ٥١٤/٨

(٣) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٢٨٩؛ عرفان محمد حمور/ أسواق العرب/ ص ١٠٧؛ ناصر الرشيد/ سوق

عكاظ/ ص ١٣-١٤

(٤) ابن حجر/ المصدر السابق/ ٥١٤/٨

(٥) سعيد الأفغاني/ المصدر السابق/ ص ٣٤٢-٣٤٣؛ عرفان محمد حمور/ المصدر السابق/ ص ١٠٨؛ ناصر

الرشيد/ المصدر السابق/ ص ١٥-٢٤

(٦) ابن حبيب/ المصدر السابق/ ص ٢٦٧؛ المرزوقي/ المصدر السابق/ ١٦٥/٢؛ ناصر الرشيد/ المصدر

السابق/ ص ١٤

(٧) ناصر الرشيد/ المصدر السابق/ ص ٦٤

(٨) ريسلر/ الحضارة العربية/ ص ٢٥

(٩) المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ١٦٦-١٦٧

(١٠) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٣٤٥؛ عرفان محمد حمور/ أسواق العرب/ ص ١٦١

لقيس وثقيف، وكان ينزل بها قريش وهوازن وغطفان وخزاعة والأحابيش وطوائف أخرى من العرب وسائر الطوائف الجزيرة^(٢).

أما معروضات السوق من السلع، فكانت من الكثرة بحيث لا يمكن ضبطها، ومن التنوع بحيث أغرت الملوك والأمراء في المناطق المجاورة ان يوفدوا من يشتري لهم من عكاظ ما يتهيبون به ويفتخرون^(٣)، فقد كان يحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل إليها أدبه، فإليها يجلب الخمر من هجر والعراق وغزة وبصرى، والسمن من البوادي وما تنتجه مواشيهم ويرد إليهم من اليمن البرود الموشاة والأدم، وفيها الغالية وأنواع الطيب وأدوات السلاح، ويباع فيها الحرير، وفيها من زيوت الشام وزبيبا وسلاحها ما اعتادت قريش ان تحمله في قوافلها إلى مكة، كما يعرض فيها الرقيق الذي ينشأ من الغزو وسبي الذراري فيباع فيها بيع المتاع التجاري^(٤)، ومن أشهر من ابتعن بسوق عكاظ سلمى بنت حرملة الغزية الملقبة بـ(النابعة) أم عمرو بن العاص، فقد أصابتها رماح العرب فبيعت بسوق عكاظ، فأشترها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له^(٥)، وقد كانت تجارة الحيرة تصل منها أشياء إلى عكاظ، فأن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيمة، أي قافلة، في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجبرها له ويحميها من كل معتد حتى تصل سالمة إلى عكاظ فتباع هناك، ويشترى بئمنها ما تحتاج إليه من أدم (جلود) الطائف وسائر المتاع في عكاظ

(١) المرزوقي/ المصدر السابق/ ١٦٥/٢؛ سعيد الأفغاني/ م.ن/ ص ٢٩١؛ جواد علي/ المفصل/ ٣٧٧/ ٧، والمكس:

دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق قبل الإسلام. ابن دريد/ جمهرة اللغة/ ٤٦/٣

(٢) أبن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٧؛ اليعقوبي/ التاريخ/ ٢٧٠/١؛ الفاسي/ شفاء الغرام/ ٢٨٣/٢؛ أبن حجر/ المصدر السابق/ ٤٧٣/٣

(٣) عرفان حمور/ المصدر السابق / ص ١٠٩

(٤) سعيد الأفغاني/ المصدر السابق/ ص ٢٧٨؛ عرفان حمور/ المصدر السابق / ص ١١٠-١١١

(٥) أبن عبد البر/ الاستيعاب/ ٩٨/٢

من حرير وعصب^(١)، وكانت طريقة بيعهم في سوق عكاظ بالسرار وهو إذا وجب البيع وعند ألف ممن يريد الشراء ولا يريده أشركه بالريح^(٢).

كما كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب الأخرى، فقد كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد، والحلة الحسنة، والمركوب الفاره، فيقف بها وينادي عليه "ليأخذه أعز العرب" يريد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجانزته^(٣)، كما كان كسرى يبعث في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في تلك السوق وينادي مناديه: ان هذا بعثه الملك إلى سيد العرب، فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعاً بالسؤدد، فكان آخر من أخذه بعكاظ، حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، وكان كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم في أمور العرب فيكونوا عوناً له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب^(٤).

ولم تكن عكاظ سوقاً للبيع والشراء فقط، وإنما كان منتدىً أدبياً يتبارى فيه الشعراء ويحكم بينهم، فقد كان يضرب للناطقة الذبياني قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه شعراً، فقد أنشد أمامه في سوق عكاظ، قيس بن ميمون الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء فحكم بينهم^(٥)، كما كان منبراً للوعظ والدعوة والإرشاد، فقد كان قس بن ساعدة الأيادي، أحد خطباء العرب المشهورين قبل الإسلام يلقي الخطب في عكاظ، وقد سمعه رسول الله (ﷺ) وهو يلقي أحد خطبه، حيث قال (ﷺ) "كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجد في حفظه" وهذا يعني ان السوق كان أحد مراكز الوعظ والإرشاد للناس^(٦)، كما كان أيضاً منتدىً اجتماعياً لإعلان الأمور المهمة والتي يراد إظهارها أمام الجميع،

(١) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٢٧٩؛ ناصر الرشيد/ سوق عكاظ/ ص ٥٣

(٢) ابن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٧؛ المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ١٦٥/٢

(٣) المرزوقي/ م.ن/ ١٦٥/٢؛ سعيد الأفغاني/ المصدر السابق/ ص ٢٨١

(٤) المرزوقي/ المصدر السابق/ ١٦٥/٢؛ سعيد الأفغاني/ المصدر السابق/ ص ٢٨١

(٥) ابن قتيبة/ الشعر والشعراء/ ١٦٧-١٦٨، ٣٤٤

(٦) عن خطبة قس بن ساعدة الأيادي أنظر: أبو الفرج الأصفهاني/ الأغاني/ ١٥/٢٣٦/٢٣٧؛ أحمد زكي صفوت/

صفوت/ جمهرة خطب العرب/ ١/٣٥؛ أحمد الربيعي/ قس بن ساعدة الأيادي/ ص ٢٧٥

كخلع المسيئين، كما فعلت خزاعة، عندما خلعت الشاعر قيس بن الحداية الخزاعي وهو أحد الصعاليك عند العرب وذلك كونه صعلوكاً خليعاً، وأشهدت على نفسها بخلعها إياه فلا تحتل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجزها أحد عليه^(١)، كما كان في سوق عكاظ يحكم لهم في حل المشكلات وكان الأقرع بن حابس التميمي يحكم للعرب في سوق عكاظ^(٢)، كما كان النشاط العبادي الديني حاضراً في السوق، حيث تورد الروايات أن في سوق عكاظ صخوراً يطوفون حولها ويحجون إليها^(٣)، كما كان لهوازن في سوق عكاظ صنم يدعى جهارا كانت تعبده^(٤)، وهذا يدل على أن الجانب الديني كان قائماً في هذا السوق، كما كانت أمور أخرى قائمة في هذا السوق^(٥)، فمن خلال ما تقدم يتبين لنا أهمية سوق عكاظ بالنسبة للعرب قبل الإسلام وأنه يعد واحداً من أهم وأعظم الأسواق عندهم.

٢- سوق مجنة:

وهو موضع قرب مكة على بعد أميال منها، حيث كان بمر الظهران، قرب جبل يقال له الأصغر ويقع جنوب مكة، وهي لكنانة لأن أرضها من أرض كنانة^(٦)، وكانت تقوم في العشر الأخير من شهر ذي القعدة، على حد قول أحد مرتاديها وهو حكيم بن حزام حيث يقول "وكان سوق مجنة يقوم عشرة أيام حتى إذا رأينا هلال ذي الحجة انصرفنا فانتبهينا إلى سوق ذي المجاز"^(٧)، أي

(١) أبو الفرج الأصفهاني/م.ن/ ١٤٢/١٤ - ١٤٣

(٢) أبو الهلال العسكري/الأوائل/ ص ٥٩؛ السويدي البغدادي/ سبائك الذهب/ ص ١٢٠؛ كستر/ مكة وتميم مظاهر من علاقاتهم/ ص ٣٠

(٣) ياقوت الحموي/ معجم البلدان/ ١٤٢/٤؛ ابن حجر/ فتح الباري/ ٥١٤/٨

(٤) ابن الكلبي/ الأصنام/ ص ١٠٨؛ ابن حبيب/ المحبر/ ص ٣١٥

(٥) لمزيد من المعلومات حول الأمور التي كانت تجري في سوق عكاظ أنظر: سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٢٨٢-٢٩٣؛ عرفان حمور/ أسواق العرب/ ص ١١٦-١٥٧؛ محمد أحمد جاد المولى/ قصص العرب/ ١٧٧، ٢٢، ١٦/١

(٦) الأزرقي/ أخبار مكة/ ١٩٠/١؛ الفاسي/ شفاء الغرام/ ٢٨٣/٢؛ ياقوت الحموي/ المصدر السابق/ ٥٨/٥؛ ابن حجر/ المصدر السابق/ ٤٧٣/٣

(٧) عبد القادر بدران/ تهذيب تاريخ دمشق/ ٤١٨/٤

أي بعد انصراف العرب من سوق عكاظ بعد ان تنفط^(١)، فيقصدها نفس الذين شهدوا سوق عكاظ ولنفس الغايات تقريباً، وإنما على شكل مصغر بالنسبة للتبادل التجاري والنشاطات الأخرى، فإنه من فاته غرض في عكاظ يبحث عنه في مجنة، ومن بقي لديه فضل من بضاعته باعه فيها، ومن كان له أسير لم يجده في عكاظ سعى إلى مجنة بحثاً عنه لعله يعثر عليه فيفديه، فيعتبر سوق مجنة استمراراً من الناحية التجارية والاجتماعية لسوق عكاظ أو تنمة له، ولكنهم ينتقلون إليها لأن في ذلك اقتراباً من منسلك الحج، ويقيمونها سوقاً للمبادلات من أجل أولئك الذين فاتهم حضور عكاظ، أو لمن حضروا عكاظ متأخرين حيث يجدون في سوق مجنة تعويضاً لهم عما فاتهم^(٢)، وقد ورد حديث عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال فيه "كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية"^(٣)، كما ان هنالك من المؤرخين الذين تطرقوا للأسواق العربية قبل الإسلام ولكنهم لم يذكروا فيها مجنة^(٤)، وبهذا الخصوص يقول أحد الباحثين أيضاً "ومجنة-وان قرنت في أغلب الأحيان مع عكاظ وذو المجاز-دون هاتين السوقين شأنًا"^(٥)، حتى ان المرزوقي لم يذكرها مستقلة مستقلة كما ذكر غيرها، بل اكتفى بقوله "وزاد بعضهم في الأسواق المجنة وهو قريب من ذي المجاز"^(٦).

وعلى كل حال فإن هذه السوق كانت موجودة وان عُدت امتداداً لسوق عكاظ، وذلك لذكر الحديث الشريف لها، وأيضاً ذكر بعض المؤرخين لها في مؤلفاتهم^(٧)، ولذلك فمن الطبيعي ان يعرض في هذه السوق مثلما عُرض في غيرها من الأمتعة والعروض التجارية وان يجري فيها مثل

(١) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ص ٣٤٥

(٢) عرفان حمور/ أسواق العرب/ص ١٦٠

(٣) البخاري/ الصحيح/٢/١٩٧

(٤) ابن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٧-٢٦٨؛ اليعقوبي/ التاريخ/ ١/ ٢٧٠-٢٧١؛ المرزوقي/ الأزمنة والأمكنة/ ١٦٥-١٦٧/٢

(٥) سعيد الأفغاني/ المصدر السابق / ص ٣٤٦

(٦) المرزوقي/ المصدر السابق / ١٦٥/٢

(٧) ومن المؤرخين الذين ذكروا سوق مجنة هم: الفاسي/ شفاء الغرام/ ٢/ ٢٨٣؛ الهمداني/ صفة جزيرة العرب/ ص ٢٩٦؛ ابن حجر/ فتح الباري/ ٣/ ٤٧٣؛ عبد القادر بدران/ تهذيب تاريخ دمشق/ ٤/ ٤١٨

ما كان يجري في غيرها من مفاخرات ومنافرات ومعاهدات وخطب وأشعار وحتى الخمر لم تكن تقل شأنًا هنا، فقد كانت تجلب إليها من بلاد الشام والعراق، وكانت هذه السوق كسابقتها لم تكن بها ضرائب ورسوم، وإنما كانت منطقة حرة معفاة من الرسوم لأنها مشمولة بالحرمان باعتبارها تقع ضمن مناطق العبادة^(١)، ألا وهو بيت الله الحرام كما أشرنا سابقاً.

٣- سوق ذي المجاز:

وقد اختلفت الروايات في تحديد مكانها، فهناك قولان، الأول أنها بناحية عرفة قريباً من جبل كبك بعرفات، وهي من ديار هذيل وهم أهلها^(٢)، أما القول الثاني فهو بين مكة والطائف بالقرب من عكاظ^(٣)، إلا أن الذي يرجح هو القول الأول بالقرب من عرفة وذلك كون إجازة الحاج كانت منه، ولذا سمي بذي المجاز^(٤)، أما وقته فقد كان يقوم في أول ذي الحجة، ويستمر ثمانية أيام إلى يوم التروية، أي وقت بدء مناسك الحج^(٥).

وكان يجري في المجاز ما كان يجري في غيرها من تجارة وقضاء وفخر وأدب وفداء، كما كان الرقيق والسبأ من جملة العروض التجارية التي تباع في سوق ذي المجاز^(٦)، ومما يذكر هنا هو أن طالب الثأر إذا كان من المحرمين تربص بواتره بعد أن يتعرف عليه حتى ينقضي الشهر الحرام، أما إذا كان من المحليين وتمكن من واطره، فإنه يعاجله ويأخذ بثأره منه، كما فعل قيس بن

(١) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٣٤٥؛ عرفان حمور/ أسواق العرب / ص ١٦١

(٢) الأزرق/ اخبار مكة/ ١/ ١٩١؛ الفاسي/ المصدر السابق / ٢/ ٢٨٣؛ الهمداني/ المصدر السابق/ ص ٢٨٨؛ ياقوت

الحموي/ معجم البلدان / ٥/ ٥٥؛ ابن حجر/ المصدر السابق / ٣/ ٤٧٣

(٣) ابن حبيب/ المحبر/ ص ٢٦٧؛ اليعقوبي/ التاريخ/ ١/ ٢٧٠؛ البيروني/ الآثار الباقية/ ص ٣٢٨؛ المرزوقي/ الأزمنة

والأمكنة / ٢/ ١٦٦، إلا أن سعيد الأفغاني يجعلها في منى بين مكة وعرفات في منتصف الطريق تقريباً ولا

أعلم من أين جاء بهذه الرواية ومن أي مصدر. أنظر: سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٣٤٧

(٤) سعيد الأفغاني/ المصدر السابق / ص ٣٤٧؛ عرفان حمور/ المصدر السابق/ ص ١٦٢

(٥) ابن حبيب/ المصدر السابق/ ص ٢٦٧؛ الفاسي/ المصدر السابق / ٢/ ٢٨٢؛ البيروني/ المصدر السابق/

ص ٣٢٨؛ المرزوقي/ المصدر السابق / ٢/ ١٦٥؛ ابن حجر/ المصدر السابق / ٨/ ٤١٥؛ عبد القادر بدران/

المصدر السابق / ٤/ ٤١٨؛ سعيد الأفغاني/ المصدر السابق/ ص ٣٤٨، ويوم التروية: سمي يوم التروية لتروي

الحجاج الماء بذي المجاز فينادي بعضهم بعضاً ليتروون من الماء لأنه لا ماء بعرفه ولا المزدلفة يومئذ.

الفاسي/ م. ن. / ٢/ ٢٨٢

(٦) سعد الأفغاني/ أسواق العرب / ص ٣٤٩-٣٥١؛ عرفان حمور/ أسواق العرب/ ص ١٦٣

الخطيم الظفري الشاعر الجاهلي حينما ظفر بقاتل جده في سوق ذي المجاز وهو أحد بني عبد القيس فقتله^(١).

ويعد يوم التروية آخر يوم من سوق ذي المجاز، نهاية الموسم التجاري للأسواق الثلاثة المهمة عكاظ ومجنة وذي المجاز^(٢)، وذلك لأن العرب قبل الإسلام كانوا لا يتبايعون في يوم عرفة ولا في أيام منى^(٣).

ولقد عرفت هذه الأسواق الثلاثة عكاظ ومجنة وذي المجاز بأسواق مكة^(٤)، وقد استفاد منها أهل مكة كثيراً وجلبت لهم كثير من الأموال والثروات وذلك لوفود معظم قبائل العرب إليها، ولأن مواعدها قد اتفق مع أوقات الحج، وهذا ما كان يحدو العرب قبل الإسلام على قصد تلك الأسواق، للتجارة ومعالجة شؤونهم الدنيوية من جهة، ولأداء فريضة الحج من جهة أخرى^(٥)، وهذا مما دعا بعض الباحثين إلى أن يعتبروها جزءاً من مناسك الحج^(٦)، وأنا لا أتفق مع هذا الرأي، لأن العرب كانوا يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء ولم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج وليس الحاج، وهؤلاء كانوا ينزلون غير منازل الحجاج حيث كانوا ينزلون في الشق الأيسر من منى^(٧)، كما أن أحد أصحاب هذا الرأي يرد على نفسه بنفسه، وذلك حيث يقول "وهناك سنة جاهلية يتبعها أهل الغلو في دينهم وهو تجنب التجارة أيام المواسم وخاصة موسم الحج لأنهم يرون أن من يتجر في هذا الموسم فهو داج فليس حاج"^(٨)، وأيضاً أن العرب كانوا لا يتبايعون في عرفة ومنى، ولهذا فلا يعتبر أشهاد الموسم التجاري في ذي القعدة

(١) أبو الفرج الأصفهاني/ الأغاني/ ٣/ ٣-٤

(٢) جواد علي/ المفصل/ ٣٨٠/٧

(٣) الأزرقي/ أخبار مكة/ ١/ ١٨٨؛ الفاسي/ شفاء الغرام/ ٢/ ٢٨٢؛ ابن حجر/ فتح الباري/ ٣/ ٤٧٣

(٤) الفاسي/ م.ن/ ٢/ ٢٨٢، وقد قرنها الدكتور ناصر الرشيد بمكة بعدة أسباب راجعها في/ سوق عكاظ/ ص ٦٣

(٥) عرفان حمور/ المصدر السابق/ ص ١٦٢-١٦٤

(٦) أنظر: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الإسلامية/ ص ٢٥؛ ناصر الرشيد/ المصدر السابق/ ص ٦٣؛ عرفان حمور/

المصدر السابق/ ص ١٦١

(٧) الطبري/ التفسير/ ٢/ ٢٨٤؛ الزمخشري/ الكشاف/ ١/ ٣٤٧؛ السيوطي/ الدر المنثور/ ١/ ٢٢٢

(٨) ناصر الرشيد/ سوق عكاظ/ ص ٦٦

والثمانية أيام الأولى من ذي الحجة للسوق جزءاً من الحج عند العرب قبل الإسلام، وإنما كان خارج طقوس الحج^(١).

^(١) يحيى الجبوري/ الجاهلية/ ص ٨٤؛ نجمان ياسين/ تطور الأوضاع الاقتصادية/ ص ٥٨

المبحث الثالث المعاملات التجارية

أولاً- أنواع البيع:

لقد ألف العرب قبل الإسلام أنماطاً خاصة من البيع يتخذونها في أسواقهم ومعاملاتهم، وهي في جملتها مما يثير الاستغراب والدهشة لأن أكثرها مما يغيب فيه البائع والمبتاع^(١)، وقد ذكر لنا الحديث النبوي الشريف في الصحيحين عدداً من هذه البيوع التي نهى عنها الرسول (ﷺ) في أحاديثه، لما فيها من غيب وجهل، والبيع التي ذكرها لنا الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم ضمن نطاق دراستنا هي:

١- بيع الغرر:

لقد ذكر لنا الحديث الشريف في الصحيح هذا النوع من البيع، فعن أبي هريرة قال "نهى رسول الله (ﷺ) عن بيع الحصة وبيع الغرر"^(٢)، وبيع الغرر هو كل بيع احتوى جهالةً وتضمن المخاطرة^(٣) وان يكون على غير عهدة وثقة ويكون مجهولاً ولا يحيط بكنبهها المتبايعان حتى تكون معلومة^(٤)، وما لا يقدر على تسليمه وما لم يتم ملك البائع عليه، كبيع السمك في الماء، والطائر في الهواء، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وكل هذا بيع غرر^(٥)، أي ما عقد على جهل بمقداره وصفاته حين العقد^(٦)، وقد نهى النبي (ﷺ) عنه، لما فيه من جهالة المشتري بنوع السلعة المباعة ونوعيتها ومدى سلامتها، كما يقول ابن حزم عن السلعة التي تباع بالغرر بأنها "لم يرها أحد قط"^(٧)، فعلى حد هذا القول يكون احتمال الغش في السلعة موجوداً أيضاً.

٢- بيع الحصة:

(١) سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٤٦

(٢) مسلم/ الصحيح/ ٣/٥

(٣) السيد سابق/ فقه السنة/ ٣/ ١٢٨

(٤) ابن منظور/ لسان العرب/ ٦/ ٣١٧؛ الزبيدي/ تاج العروس/ ٣/ ٤٤٣

(٥) النووي/ شرح مسلم/ ١٠/ ١٢٧؛ ابن منظور/ م.ن/ ٦/ ٣١٧؛ الزبيدي/ م.ن/ ٣/ ٤٤٣

(٦) ابن حزم/ المحلى/ ٧/ ٢٨٧

(٧) ابن حزم/ م.ن/ ٧/ ٢٨٧

لقد جاء في الحديث السابق الذي ذكرناه ان رسول الله (ﷺ) قد ذكر بيع الحصاة^(١)، وقد ذكر لهذا البيع صوراً متعددة، أحدها أن يقول: بعثك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التي أرميها، أو بعثك من هذه الأرض من هنا إلى ما انتهت اليه هذه الحصاة، وأما ان يقول: بعثك على انك تختار إلى ان أرمي بهذه الحصاة، وأما ان يجعل نفس الرمي بالحصاة بيعاً فيقول: إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو بيع منك بكذا، وكان هذا أحد بيوعهم قبل الإسلام، وهو من الغرر لما فيه من الجهالة^(٢)، وذلك لأن المشتري لا يعلم أي الأثواب سيقع عليها الحصاة وهل هي التي يريدّها، أما في بيعة الأرض فالجهل بالمسافة التي سيدفع ثمنها ليشترىها، فربما يكون بهذا البيع مغبوناً، وكان هذا البيع يجري في سوق دومة الجندل وسوق الشحر وصحار قبل الإسلام^(٣).

٣- بيع الملامسة:

لقد ذكر الصحيحان هذا النوع من المبيع عند العرب، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال " نهى رسول الله (ﷺ) عن بيعتين نهى عن الملامسة والمناذرة .. واللامسة لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو بالنهار ولا تقلبه " ^(٤)، وقد كان هذا البيع كما ذكره الحديث الشريف، هو ان يقول الرجل للرجل أبيعك ثوبي بثوبك ولا ينظر واحد منهما إلى ثوب الآخر كأن يأتي الثوب مطوياً أو في ظلمة، ولكنه يلمسه لمساً وان لمسه وجب البيع، وهو ان يقوم المسك مقام

(١) مسلم/الصحيح/٣/٥

(٢) النووي/شرح مسلم/١٠/١٢٧؛ ابن منظور/لسان العرب/١٨/١٩٩؛ سيد سابق/فقه السنة/٣/١٢٩

(٣) ابن حبيب/المحبر/ص ٢٦٤-٢٦٦؛ البيروني/الآثار الباقية/ص ٣٢٨؛ المرزوقي/الأزمنة والأمكنة/٢/١٦٢-١٦٣؛ سعيد الافغاني/أسواق العرب/ص ٤٦، سوق دومة الجندل: وكان يقوم في دومة الجندل شمال الجزيرة ويقوم في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، وكان لجديلة طيء وكتب أي غلب عليها أقامها وكان أول الأسواق العربية التي تقام في السنة. المرزوقي/م/ن/٢/١٦١، سوق الشحر: وكانت تقام هذه السوق عند مهرة تحت ظل الجبل الذي فيه قبر النبي هود (ع) ولم يكن يخضع لأحد لأنه لم يكن ضمن مملكة وكان يقوم في النصف من شعبان. المرزوقي/م/ن/٢/١٦٣-١٦٤، سوق صحار: ويقام هذا السوق في جنوب الجزيرة العربية ولا يملكه أحد فلا خفارة فيه ولا عشور وكان يقوم في شهر رجب. البيهقي/التاريخ/١/٢٧٠

(٤) البخاري/الصحيح/٣/٣٥، ٤٢/٧، ٩٧/١٠؛ مسلم/المصدر السابق/٣/٥

النظر، أو ان يجعل نفس اللبس بيعاً فيقول: إذا لمسته فهو مبيع لك، أي جعل اللبس باليد قاطعاً بالخيار، وهو من الغرر^(١)، وذلك إذا ابتاع ليلاً ولم ينظر إلى الشيء المراد شراؤه قط كما بينا سابقاً. وكان هذا النوع من البيع يجري في سوق المشقر وأيضاً في سوق عكاظ وصنعاء^(٢).

٤- بيع المنابذة:

لقد ذكر لنا الحديث الشريف الذي سبق هذا النوع من البيع، حيث جاء عن أبي سعيد الخدري أنه قال: " المنابذة في البيع .. والمنابذة ان ينبذ الرجل إلى الرجل ثوبه وينبذ الآخر ثوبه ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا تراض " ^(٣) ويكون هذا البيع ان ينبذ الرجل ثوبه وينبذ الآخر ثوبه، أي ان يلقي كلاهما ثوبه، ويكون بيعهما عن غير نظر ولا تراض، أو ان يجعل نفس النبد بيعاً فيقول: بعثك فإذا نبذته إليك قد وجب البيع، وهذا البيع فيه غرر ايضاً ^(٤).

٥- بيع حبل الحبل:

وهو من بيوع العرب التي ذكرها لنا الصحيحان، فقد ورد عن عبد الله بن عمر (رض) انه قال " كانوا يتبايعون الجزور إلى حبل الحبل، فنهى النبي (ﷺ) وهو ما تنتج الناقة ما في بطنها " ^(٥)، وكان هذا البيع من بيوع اهل الجاهلية قبل الإسلام وهو ان يبيع بثمان مؤجل إلى ان تلد الناقة

(١) النووي/شرح مسلم/١٠/١٢٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٨/٩٤؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٣٥؛ الزبيدي/تاج العروس/٤/٢٤٣؛ ابن قيم الجوزية/زاد المعاد/٤/٣٢٢

(٢) ابن حبيب/المحبر/ص٢٦٥-٢٦٦؛ المرزوقي/الأزمنة والأمكنة/٢/١٦٣-١٦٤؛ البيروني/الآثار الباقية/ص٣٢٨؛ ناصر الرشيد/سوق عكاظ/ص٦٠، سوق المشقر: ويقع هذا السوق بهجر وكان ملوكه من بني تميم رهط المنذر بن ساوي وكانوا يعشرونه ويخفرونه وكان يقوم في أول جمادي الآخرة إلى نهاية الشهر. المرزوقي/م.ن/٢/١٦٢-١٦٣، سوق صنعاء: ويقع هذا السوق في اليمن وكان الأبناء وهم الفرس يعشرون وكان يقام في النصف من رمضان. اليعقوبي/التاريخ/١/٢٧٠

(٣) البخاري/الصحيح/٧/٤٢، ١/٩٧، ٣/٣٦؛ مسلم/الصحيح/٥/٣

(٤) الزمخشري/أساس البلاغة/ص٦١٣؛ النووي/المصدر السابق/١٠/١٢٦؛ ابن قيم الجوزية/المصدر السابق/٤/١٢٩؛ ابن حجر/المصدر السابق/٤/٣٠٠؛ سيد سابق/فقه السنة/٣/١٢٩

(٥) البخاري/المصدر السابق/٣/٤٦؛ مسلم/المصدر السابق/٥/٣، وفي رواية مسلم " كان أهل الجاهلية يتبايعون لحم الجزور ... "

ويلد ولدها ^(١)، ويقول ابن منظور " كانت العرب في الجاهلية تتبايع على حبل الحبلة في أولاد أولادها في بطون الغنم الحوامل فكانوا يتبايعون أولاد ما في بطون الحوامل، أو هو تتابع نتاج ولد الجنين الذي في بطن الناقة " ^(٢)، وقد نهى النبي (ﷺ) عنه لأنه يعتبر بيع غرر، لأنه بيع بثمن إلى أجل مجهول وانه بيع معدوم ومجهول وغير مملوك البائع وغير مقدور على تسليمه ^(٣)، في حين عده ابن قيم الجوزية من القمار حيث يقول عنه " انه كان من بيوع الجاهلية التي يعتادونها وانها تعتبر من جنس القمار والميسر " ^(٤).

٦- بيع التصرية:

وهو من البيوع التي ذكرها لنا صحيح مسلم في حديثه، حيث قال (ﷺ) " ولا تصروا الأبل والغنم فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد ان يحلبها " ^(٥)، والتصرية هو تجمع اللبن في ضرع الإبل والبقر والغنم ^(٦)، وهو بيع الحيوان ناقة أو شاة بغش وخداع، فقد كان من عادة بعض العرب إذا ارادوا بيع شاة أو ناقة تركوها أياماً لا يحلبونها فيتجمع اللبن في ضرعها فيكبر، فيعرضها البائع للبيع، ويظن المشتري ان كبر ضرعها ووجود اللبن بغزارة فيه هو بسبب ان تلك الشاة أو الناقة حلوبة فيشتريها، فيغش ^(٧)، وقد نهى النبي (ﷺ) عنه لما فيه من خداع وغش ^(٨).

(١) النووي/شرح مسلم/١٠/١٢٨؛ ابن حجر / فتح الباري/٤/٢٩٩؛ سيد سابق/فقه السنة/٣/١٣٠

(٢) ابن منظور/لسان العرب/١٣/١٤٨

(٣) النووي/المصدر السابق/١٠/١٢٩؛ سعيد الافغاني/أسواق العرب/ص٥٢

(٤) ابن قيم الجوزية/زاد المعاد/٤/٣٢٢

(٥) مسلم/الصحيح/٥/٤

(٦) ابن منظور/المصدر السابق/١٤/٤٥٨

(٧) جواد علي / المفصل/٧/٣٩٦؛ سعيد الافغاني/ أسواق العرب/ص٥٣

(٨) ابن منظور/المصدر السابق/١٤/٤٥٨؛ جواد علي/م.ن/٧/٣٩٦

٧- بيع الصبرة:

وهو من أنواع البيع التي ذكرها لنا الصحيح في أحاديثه الشريفة، فقد ورد عن النبي (ﷺ) انه " نهى عن بيع الصبرة من التمر لا يعلم مكيلتها بالكيل^(١)، كما قال (ﷺ) " من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يفيضه " ^(٢)، والصبرة ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض وكان معروفاً عند العرب^(٣).

٨- بيع الولاء:

وهو من أنواع البيع المختصة بالعبيد، فقد ذكر الصحيحان في أحاديثهما ان رسول الله (ﷺ) " نهى عن بيع الولاء وعن هيبته " ^(٤)، وهو انه إذا مات (المعتق) ورثه شرعاً (معتقه) حسب قوانين أهل الجاهلية قبل الإسلام، وكانت العرب تبيعه وتهبه مع انه كالنفس فلا يزول بالانالة وقد كان العرب قبل الإسلام ينقلون الولاء بالبيع وغيره، فاذا اعتق رجل عبده صار له حق ولائه له ولورثته حتى يبيع ذلك الولاء على نحو ما كان لهم من حق الحصول على إرثه ^(٥) وقد أبطل الإسلام هذا البيع وجعل الرسول (ﷺ) الولاء لمن اعتق ^(٦).

٩- بيع المزروعات

لقد ذكر الصحيحان في أحاديثهما جملة من بيع المزاينة الزراعية التي كان يتعامل بها العرب قبل الإسلام وقد نهى النبي (ﷺ) عن بيع وهي (المزاينة والمحاقة والمخاضرة والمخابرة)^(٧). فالمزاينة بيع ثمر النخل بالتمر كيلاً وبيع العنب بالزبيب كيلاً وبيع الزرع بالحنطة كيلاً ^(٨)، وقد نهى الرسول (ﷺ) عنه لأنه بيع مجازفة، فكل شيء لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده

(١) مسلم/الصحيح/٨/٥

(٢) مسلم/م.ن/٩/٥

(٣) ابن دريد/الاشتقاق/ص ١٢٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٦/١٤٠؛ الزبيدي/تاج العروس/٣/٣٢٤

(٤) البخاري/الصحيح/٣/١٢١؛ مسلم/المصدر السابق/٤/٢١٦

(٥) جواد علي/المفصل/٣٦٧/٤٣٦

(٦) البخاري / المصدر السابق/٣/١٢٦، ٨/١٠، مسلم/المصدر السابق/٤/٢١٣

(٧) أنظر الأحاديث: البخاري/المصدر السابق/٣/٣٥-٣٦، ٨١/مسلم/المصدر السابق/٥/١١-١٧

(٨) البخاري/الصحيح/٣/٣٥، مسلم/الصحيح/٥/١٥، الشافعي/الأم/٣/١٦٦/٦٤

ان بيع بشيء مسمى من الكيل فهو مزينة، فيقع فيه الغبن والجهالة والمزينة من المدافعة وقيل للبيع المخصوص المزينة لأن كل واحد من المتبايعين يدفع صاحبه عن حقه^(١)، فهو كل بيع معلوم بمجهول من جنسه أو بيع مجهول بمجهول من جنسه، وهي المغالبة في الجنس الذي لا يجوز فيه الغبن، لأن البيعين إذا وقفا فيه على الغبن، وأراد المغبون ان يفسخ البيع وأراد الغابن ان يرضيه، فيتزايدنا فيتدافعا^(٢) كما اعتبر هذا النوع من البيع ربا وذلك لقول الرسول (ﷺ) عندما نهى عنه (ذلك الربا تلك المزينة)^(٣)، ويعتبر أيضاً نوع من أنواع الغرر^(٤) وقد قيل ان هذا النوع من البيع يختص بالنخل والكروم والزبيب^(٥)، إلا ان الحديث النبوي الشريف عدّ أيضاً إلى اجنب النخل والكروم الحنطة أيضاً^(٦) فهو أذن ليس مختصاً بالنخل والكروم والكروم فقط وإنما في بقية الزروع كالحنطة، كما يمكننا ان نعهده في جميع أنواع التمر.

أما المحاكلة، فهو يبدو على نحو المزينة، وذلك لقول الشافعي " المحاكلة في الزرع كالمزينة في التمر " ^(٧) إلا انه يختص بالزرع القائم بلحب كبلاد^(٨) وهو بيع الزرع في سنبله بالحنطة أو بيع بيع الزرع قبل بدو صلاحه، وهو نوع من الغرر، لأنه مغيب في الحمامة^(٩)، فهذا البيع مختص بالحبوب فقط، التي تزرع في الحقول.

(١) النووي/شرح مسلم/١٠/١٥٤؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٣٢٠؛ الخوارزمي/ مفاتيح العلوم/ص١٣

(٢) الزبيدي/تاج العروس/٩/٢٤٤؛ جواد علي/المفصل/٧/٣٩١

(٣) مسلم/المصدر السابق/٥/١٤

(٤) النووي/المصدر السابق/١٠/١٥٣؛ سعيد الافغاني/أسواق العرب/ص٥١

(٥) الشافعي/المصدر السابق/٣/٦٤؛ ابن حزم/ المحلى/٧/٣٩١؛ ابن حجر/المصدر السابق/٤/٣٢٠؛ جواد

علي/المصدر السابق/٧/٣٩١

(٦) البخاري/المصدر السابق/٣/٣٥؛ مسلم/المصدر السابق/٥/١٥

(٧) الشافعي/المصدر السابق/٣/٦٤

(٨) مسلم/المصدر السابق/٥/١٧

(٩) ابن حزم/المصدر السابق/٧/٢٩٤؛ ابن منظور/لسان العرب/١٣/١٧٠؛ الزبيدي/المصدر السابق/٧/٢٨١؛

الخوارزمي/المصدر السابق/ص١٣؛ سيد سابق/فقه السنة/٣/١٢٩

أما المخاضرة فكانت إحدى أنواع البيوع عند العرب قبل الإسلام، وهو بيع الثمار وهي خضر قبل بدو صلاحها ^(١)، ويدخل في هذا البيع الرطاب والتبول وأشباهها وسمي مخاضرة لأن المتبايعين تبايعاً شيئاً أخضر بينهما فهو مأخوذ من الخضرة ^(٢).

أما المخابرة فهي الأرض البيضاء الجرداء، يدفعها الرجل إلى الرجل فينق فيهما ثم يأخذ من الثمر ^(٣)، أي هي كراء الأرض أو المزارعة بالنصف أو الثلث أو الربع ^(٤) وهذا النوع من البيع بالزراعة ألصق وأقرب على حد رأي أحد الباحثين ^(٥)، إلا أن لها صلة بالبيع كونها معاملة تجارية وهي كراء الأرض مقابل نسبة من الزرع الذي فيها.

ومن بين بيوع العرب قبل الإسلام التي أقرها النبي (ﷺ) في أحاديثه الشريفة هي بيع العرايا أو العرية، حيث ورد عنه (ﷺ) " أنه رخص في العرايا أن تباع بخرصها كيلاً " ^(٦)، وهو بيع تمر رؤوس النخل، دون النخلة، وقد كان العرب بالجذب يتطوع أهل النخل بذلك على من لا تمر له ^(٧)، له ^(٨)، وهناك من يرى أن العرايا تكون بالنخل والعنب لأنه لا يضبط خرصه شيء غيره ^(٩)، وقد رخص الرسول (ﷺ) بذلك لأنها لا تكون إلا بالكيل يداً بيد ولم تكن جزافاً ^(١٠).

كما ذكر الصحيحان أيضاً بيع السلف، الذي كان عند أهل يثرب، فقد كانوا يـُـسلفون، فعن ابن عباس أنه قال " قدم النبي (ﷺ) المدينة وهم يسلفون في النماء السنة والسنتين، فقال من أسلف

(١) البخاري/الصحيح/٣، ٨١؛ الفراهيدي/العين/٤/١٧٦؛ ابن منظور/لسان العرب/٤/٢٨٤

(٢) ابن منظور/م.ن/٤/٢٨٤؛ جواد علي/المفصل/٧/٣٩١

(٣) مسلم/الصحيح/٥/١٧

(٤) الشافعي/الأم/٣/٦٤؛ الفراهيدي/المصدر السابق/٤/٢٥٨؛ ابن منظور/المصدر السابق/٤/٢٣٨؛ الخوارزمي/مفاتيح

مفاتيح العلوم/ص ١٣

(٥) سعيد الأفغاني/أسواق العرب/ص ٥١-٥٢

(٦) البخاري/المصدر السابق/٣/٣٣، ٨١؛ مسلم/المصدر السابق/٥/١٤، ١١٧

(٧) ابن حجر/فتح الباري/٤/٣٢٥؛ الخوارزمي/المصدر السابق/ص ١٣

(٨) الشافعي/المصدر السابق/٣/٥٧، ويخالفه ابن حزم بقوله " أن أصحاب العرايا أن لهم في التمر بالتمر فقط".

المحلى / ٧/٣٩٥

(٩) البخاري / المصدر السابق/٣/٣٣؛ الشافعي/المصدر السابق/٣/٥٥-٥٦

في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم " (١)، والسلف هو القرض (٢)، وهو نوع من البيوع يعجل فيه الثمن وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم (٣). كما يورد ابن منظور معنيين للسلف عند العرب فيقول "والسلف في المعاملات له معنيان: أحدهما القرض الذي لا منفعة للمقرض فيه غير الأجر والشكر، وعلى المقرض رده كما أخذه، والعرب تسمى القرض سلفاً، والمعنى الثاني في السلف هو ان يعطي مائلاً في سلعة إلى أجل معلوم بزيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك منفعة للسلف" (٤)، والمعنى الثاني هو الذي ينطبق على البيع الذي نتكلم عنه عند العرب قبل الإسلام في يثرب، وذلك أنهم كانوا يسلفون بالنماء، أي بالزيادة في كيل معلوم وأجل معلوم كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف بوضوح.

وحسب فهمنا للنصوص المتقدمة عن أنواع البيوع عند العرب قبل الإسلام وخاصة بيوع الملامسة والمناذرة والصبرة وحبل الحبله والتصرية والولاء، أنها كانت تنشط في الأسواق التجارية وفي المدن التي تعتمد على التجارة كمكة وغيرها، التي كانت تعتمد على البيع والشراء وتبادل السلع، أما بيوع الزروع، فإنه يمكن القول أنها كانت معروفة في المناطق الزراعية من جزيرة العرب كيثرب والطائف وخيبر وغيرها، وذلك كونها مناطق زراعية وتعتمد على الزراعة في اقتصادها بشكل كبير.

١٠ - معاملات تجارية أخرى

ولم يقتصر ذكر الصحيحين في أحاديثهما عن البيوع عند العرب قبل الإسلام، وإنما ذكروا معاملات تجارية فاسدة كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام، وهي النجش، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) انه نهى عن النجش (٥)، والنجش في البيع هو ان يريد البيع فينتدب إنسان للزيادة في

(١) البخاري/الصحيح/٤٦/٣؛ مسلم/الصحيح/٥٥/٥

(٢) الفراهيدي/العين/٢٥٨/٧؛ الفيروزآبادي/القاموس المحيط/١٥٨/٣

(٣) ابن منظور/لسان العرب/١٥٨/٩

(٤) ابن منظور/م.ن/١٥٩/٩

(٥) مسلم/المصدر السابق/١٣٨/٤، ٤/٥

البيع، وهو لا يريد الشراء لكن ليغتر غيره فيزيده بزيادته، أي هو التزايد في البيع^(١)، والغاية من كل ذلك هو غش المشتري وجر النفع، لذلك نهى الإسلام عنه^(٢).

كما ذكر لنا صحيح مسلم، عادة المساومة في البيع، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله "ولا يبيع بعضكم على بيع بعض"^(٣)، فقد نهى الإسلام عن بيع الرجل على بيع أخيه وسومه، فقد كان العرب قبل الإسلام يستامون بعضهم على بعض بما في ذلك استيلاء الأخوة، فنهي عنه لما قد يحدث هذا الاستيلاء من فرقة واختلاف بين الأخوة^(٤).

ولقد كان بعض التجار من العرب قبل الإسلام يتبع أساليب معينة قد ورد ذكرها في صحيح البخاري ومسلم، حيث نهى الرسول (ﷺ) من أتباعها ألا وهي تلقي الركبان أو تلقي الجلب، حيث روي عنه (ﷺ) "نهى أن يتلقى الركبان وإن لا يبيع حاضر لباد"^(٥). فقد سعى بعض التجار إلى عملية احتكار البضائع وخاصة المتعلقة منها بالقوت الضروري للناس فكانوا يتلقون ويشتررون البضائع من أصحابها الوافدين، ثم يقومون بعملية بيعها مرة أخرى، سواء ف ينفس المكان وذلك قبل أن ينقلوها أو قبل أن يبلغوا السوق، وهؤلاء التجار كانوا يشترون تلك البضائع بأثمان بخسة من الأعراب الوافدين على القرى ثم يعرضونها بالأسواق بأعلى الأثمان، في حين كان قسم من التجار يقومون بشراء السلع في الأسواق من الوافدين عليها، ثم عرضها مرة أخرى بالسوق للبيع لكسب الفرق بين السعرين. كما كان بعض التجار يقوم بالبيع والشراء لحساب أهل البادية، ولكون هؤلاء بعيدين عن الأسواق فكان التجار يلحقون بالغ الضرر بهم، عما يباع ويشترى لهم

(١) ابن حزم/ المحلى / ٣٧٢/٧؛ الفيروز أبادي/ القاموس المحيط / ٢ / ٣٠٠؛ الخوارزمي/ مفاتيح العلوم/ ص ١٣؛

الزبيدي/ تاج العروس / ٣٥٤/٤

(٢) ابن حزم/ م.ن / ٣٧٢/٧؛ جواد علي/ المفصل / ٣٩٠/٧

(٣) مسلم/ الصحيح/ ٤/٥، ١٣٨/٤

(٤) جواد علي/ المصدر السابق / ٣٩٣/٧

(٥) البخاري/ الصحيح / ٥٢/٣؛ مسلم/ المصدر السابق / ٥-٤/٥

لجهلهم بالأسعار وعدم معرفتهم عن حقيقة الأمور والأوضاع داخل السوق، وقد نهى الإسلام عن تلك المعاملات لما فيها من احتكار وأضرار بالمصلحة العامة^(١).

وأعتقد انه لو ترك أصحاب البضائع وفسح المجال أمامهم للوصول إلى الأسواق وقيامهم بعرض بضائعهم بصورة مباشرة عندها يستطيع المرء ان يحصل عليها وبأسعار غير مرتفعة الثمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذلك الأمر سيفسح المجال أمام أكبر عدد ممكن من التجار بشراء تلك البضائع من داخل السوق، وهذا يقضي إلى درجة ما على ان ينفرد أحدهم بفرض سعر مبالغ فيه لتحقيق الربح الفاحش، وبالتالي تكون الأسعار على البضائع ذات ربح معقول.

كما يذكر لنا الحديث الشريف أعلاه، بأن العرب قد عرفوا الوساطة بين البائع والمشتري وهو السمسار، ففي حديث الرسول (ﷺ) ان لا يبيع حاضر لباد، فقد فسره ابن عباس بقوله " لا يبيع حاضر لباد قال إلا يكون له سمساراً " ^(٢)، فالسمسار هو المتوسط بين البائع والمشتري لامضاء البيع، وهو الذي يسميه الناس الدلال، فإنه يدل المشتري على السلع ويدل البائع على الاثمان ^(٣)، وممن كان يتوسط بين البائع والمشتري في الجاهلية قبل الإسلام، عمر بن الخطاب (رض) ^(٤)، وكان هناك عدة طرق لعمل السماسرة إلا ان اكثرها ربحاً، أولئك الذين كانوا يرعون أمور الركبان من الأعراب، ويبيعون لهم على الأمانة والتصرف ويكونون لهم وكلاء، إذ كانوا يبخسون الاعراب حقهم ويأخذون منهم أكثر مما يجب أخذه عن اتعابهم، لجهلهم بمعاملات السوق والبيع والشراء ^(٥). كما كانت عند العرب الخلابة، وهي الخداع في البيع ^(٦)، فلذلك نهى النبي (ﷺ) عنها بقوله " إذا بايعت فقل لا خلابة " ^(٧) ، فقد كان بعض الباعة يخادعون المشتري في بيوعهم ^(٨).

(١) جواد علي/ المفضل / ٣٩٥-٤٠٠؛ سعيد الأفغاني/ أسواق العرب/ ص ٥٦-٥٧

(٢) البخاري/ الصحيح/ ٥٢/٣؛ مسلم/ الصحيح/ ٥/٥

(٣) جواد علي/ المصدر السابق/ ٤١٣/٧

(٤) ابن رسته/ الاطلاق النفسية/ ص ٢١٤؛ ابي حيان التوحيدي/ البصائر والذخائر/ ٤١/٢

(٥) جواد علي/ المصدر السابق/ ٤١٤/٧

(٦) ابن حزم/ المحلى/ ٣١٤-٣١٦

(٧) البخاري/ الصحيح/ ٨٧/٣

كما كان عند العرب قبل الإسلام بعض أنواع أو موارد الكسب الممقوت جداً، حيث نهى النبي (ﷺ) عنه، فقد ذكر لنا في صحيح مسلم، ان الرسول (ﷺ) " نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن " (١)، فأما ثمن الكلب وهو المال الذي يدفع في شراء الكلب، وقد رخص النبي (ﷺ) فقط في كلب الصيد (٢)، وأما مهر البغي، فقط وردت أحاديث كثيرة في النهي عنه (٣)، وهو ما تأخذه الزانية على الزنا وسمي مهراً مجازاً، وهو كسب الإمام (٤)، وقد كان قسم من العرب قبل الإسلام يتكسبون بزنا اماءهم، وكان لبعضهن رايات منصوبة في أسواق العرب فيأتيها سفلة الناس فيفجرون بها (٥)، كما كان في سوق دومة الجندل لقبيلة كلب أماء كثير في حوانيت من شعر وكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء فيها (٦)، كما يخبرنا الحديث الشريف أيضاً ان عبد الله بن ابي سلول كان يتكسب في أمائه (٧)، وقد كانوا يأخذون ما تكتسب لهم جواريتهم من هذا الكسب المرذول (٨)، ويرجع أحد الباحثين هذا النوع من الكسب إلى الجاليات الأجنبية غير العربية التي تستوطن الجزيرة، وهم من ثقافات مختلفة فيقول عنهم " ولا شك ان كثيراً من هؤلاء كان مكسبه عن طريق نشر اللهو والمجون في الحانات، حيث الخمر والغناء والرقص " (٩)، فبلا شك إذ كان لهم دور في هذا المجال من الكسب، هذا وقد استمرت هذه العادة حتى هجرة الرسول (ﷺ) إلى

(١) جواد علي/المفصل/٣٩٧/٧

(٢) مسلم/الصحيح/٣٥/٥

(٣) النووي/شرح مسلم/١٩١/١٠

(٤) للإطلاع على الأحاديث أنظر: البخاري/المصدر السابق/٣/٥٤، ١٨٨/٦؛ مسلم/المصدر السابق/٣٥/٥

(٥) النووي/المصدر السابق/١٠/١٩٠؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٣٥٤

(٦) ابن حبيب/المحبر/ص ٣٤٠

(٧) المرزوقي/الأزمنة والأمكنة/٢/١٦٢

(٨) مسلم/المصدر السابق/٨/٢٤٤، عبد الله بن ابي سلول: هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ابو الحباب المشهور بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة كان سيد الخزرج في

آخر جاهليتهم، أسلم بعد وقعة بدر نقيّة، وقد توفي سنة ٩ هـ. الزركلي/الاعلام/٤/١٨٨

(٩) سعيد الافغاني/أسواق العرب/ص ٥٨

(١٠) يحيى الجبوري/الجاهلية/ص ٩٤

يثرب^(١)، وأما حلوان الكاهن فهو ما يأخذه الكهان على كهانتهم من أجر بكل سهولة وبلا كلف ولا مقابل مشقة، كما ان الحلوان أيضاً الرشوة التي يرشأها الكاهن على كهنته^(٢)، وقد أشاع الكهان فكرة الاتصال بالقوى الغيبية العليا سعياً وراء الكسب المادي^(٣)، وكان المحتكمون إلى الأصنام يعطون الحلوان إلى سدنتها فيضرب لهم بالقдах عندها، وقد بلغ الحلوان في حالة الاحتكام إلى هبل مائة درهم^(٤). فتعتبر هذه المكاسب الفاسدة والسيئة جداً والتي لا تقل فساداً وسوءاً عن ما ذكر من بيوع فاسدة كانت قائمة على جهالة وخداع وغش عند العرب قبل الإسلام.

ثانياً- الربا:

وهو من المعاملات الاقتصادية المشهورة عن قبل العرب الإسلام^(٥)، وقد ذكره لنا صحيح مسلم، وقد عده الرسول (ﷺ) من أمور الجاهلية في خطبته بعد فراغه من الحج فقال "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع.. ورا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عمي عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع..."^(٦)، كما ذكر الربا بالقرآن الكريم في آيات عدة^(٧)، والربا هو الزيادة، ويدعى به دفع الإنسان لشيء ليعوض ما هو أكثر منه، وهو كل قرض يؤخذ به أكثر منه^(٨)، ويكون على الصيارفة المتعاملين على النقيدين (الذهب والفضة)، وعلى المتعاملين على الأطعمة، إذ لا ربا إلا في نقد أو طعام^(٩)، وقد صرح بهذا الحديث الشريف، فقد قال رسول الله (ﷺ) "لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشقوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق

(١) سعيد الافغاني/اسواق العرب/ص ٥٩

(٢) الفيروزآبادي/القاموس المحيط/٤/٣٢١؛ القالي/الأمالى/٢/٣٠٦؛ ابن حجر/فتح الباري/٤/٣٥٤

(٣) هاشم يونس عبد الرحمن/المثل والقيم الخلقية عند العرب/ص ٤٢

(٤) النووي/شرح مسلم/١٠/١٩١؛ مصطفى جياووك/أثر العقائد الدينية في القيم الاجتماعية/ص ٢١٧

(٥) النووي/م.ن/٨/١٤٤؛ ابن كثير/التفسير/١/٣٣٤

(٦) مسلم/الصحيح/٤/٤١

(٧) القرآن الكريم/البقرة/٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨؛ آل عمران/١٣٠

(٨) ابن منظور/لسان العرب/١٩/١٧؛ الزبيدي/تاج العروس/١٠/١٤٣

(٩) ابن حزم/المحلّى/٧/٤٠١؛ محمد الغزالي/أحياء علوم الدين/٢/٧٨

بالورق، إلا مثلاً بمثل، ولا تشقوا بعضها على بعض^(١)، وقال أيضاً (ﷺ) "الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا..."^(٢).

وكان الربا عند العرب يكون على وجهين هما النسيء (الدين) في الربا في الأموال، أو بالزيادة في الكيل أو الوزن وهو الفضل في العقود والأطعمة^(٣)، فربا المال يكون ذلك بأن الرجل منهم قبل الإسلام يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا أحل الأجل وكان الذي عليه الدين ضائعاً لا يجد ما يؤدي به دينه، قال صاحب المال: زدني في المال حتى أزيدك في الأجل، فيقول الآخر: أخر عني دينك وأزيدك على مالك كذا فيفعلان ويكون الدين مئة فيصير إلى قابل مئتين مثلاً، فيصير أضعافاً مضاعفة^(٤)، فهذا هو ربا النسيء أو الدين.

وأما الربا الآخر وهو ربا الفضل في العقود والأطعمة، فهو ربا بيع الزرع كما أورد ابن كثير في تفسيره حيث يقول "أنما حرمت المخابرة وهي المزارعة ببيع ما يخرج من الأرض والمزابنة وهي اشتراء الرطب في رؤوس النخل بالتمر على وجه الأرض، والمحاكلة وهي اشتراء الحب في سنبلة في الحقل بالحب على وجه الأرض، إنما حرمت هذه الأشياء وما شاكلها حسماً لماجة الربا لأنه لا يعلم التساوي بين الشئيين قبل الجفاف"^(٥)، فلا يعرف كيله ولا وزنه ويمكن أن تكون هناك زيادة في أحد الطرفين وهي من جنس واحد فيكون الربا.

وفد اشتهرت عدة أماكن في الحجاز بالربا، وأهمها وأكثرها انتشاراً به مكة والطائف^(٦)، كما كان اليهود من أشهر المرابين في الحجاز^(٧).

(١) مسلم/ الصحيح/ ٤٢/٥

(٢) مسلم/ م.ن/ ٤٣/٥

(٣) الشافعي/ الأم/ ١٥/٣؛ القرطبي/ التفسير/ ٢٦٤/٢

(٤) الفخر الرازي/ التفسير/ ٣/٩؛ جواد علي/ المفصل/ ٧/ ٤٢٢-٤٢٣

(٥) ابن كثير/ التفسير/ ٣٣٥/١

(٦) الفخر الرازي/ التفسير/ ١٠٨/٧

(٧) جواد علي/ المفصل/ ٧/ ٤٢٢؛ سعيد الافغاني/ اسواق العرب/ ص ٦١

ولقد كان هناك دوافع وأسباب أدت إلى انتشار هذه المعاملة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام منها، ان سبب اقبال سكان الحجاز على التعامل بالربا يرتبط بالبيئة الطبيعية التي لم تمكن اصحاب الثروة من استثمار اموالهم في الزراعة نظراً لمحدودية الأرض القابلة للزراعة، إضافة إلى ضعف الحرف الصناعية التي لم تشجع على استثمار الأموال فيها فالتجأ الأثرياء إلى الربا بديلاً عنهما بغية زيادة الثروة^(١)، كما تبع اشتغال أهل مكة بالتجارة قيامهم بالصيرفة فقط كانت ترد اليهم دنائير الذهب البيزنطية والدرهم الفضية الفارسية فكانوا يقومون بأبدال هذه النقود بعضها ببعض الآخر وبأخذون من جراء ذلك رسوماً على هذا الإبدال، وكان الإبدال يقوم على أساس وزن العملة لا على أساس العدل، فتبع الصيرفة والتجارة الإقراض بالربا^(٢)، وبالإضافة إلى ذلك، ان العرب كانوا اهل التجارة واهل زراعة ورعي، ولم تكن العملة من دنائير ودرهم منتشرة بين المزارعين واهل البوادي، فكانت المقايضة تقوم عندهم مقام العملة بينهم، فمن احتاج إلى طعام أخذ من بائعه أو مالكة أو مكتنزه كيلاً بكيل مثله، لأجل معلوم على ان يعطيه زيادة عليه يتفق مع مقدارها فيأخذ قفيص تمر بقفيص ونصف أو قفيصين أو أكثر من ذلك، على نحو ما اتفق عليه، يؤديه لهم من جنس التمر المسلف، ومن جودته فإذا أحل الأجل ورأى المستحق ان يؤخر دينه على ان يزيد في المال فعل، وكلما أخره زاد في المال حتى يصير أضعافاً مضاعفة، وذلك بسبب الحاجة والفقر، وانه نشأ من الحاجة والظروف التي كان عليها العرب في ذلك العهد^(٣).

وقد عرف من بين الذين كانوا يعملون بالربا قبل الإسلام من أهل مكة، العباس بن عبد المطلب، وعثمان بن عفان، وخالد بن الوليد، وذلك قبل مجيء الإسلام، وبني المغيرة من قريش^(٤)، أما من أهل الطائف فقد كان مسعود وعبد يا ليل وحبيب وربيع بن عمرو بن عمير الثقفي، وقد كان لهم رباً على بني المغيرة المخزوميين، وقد عاهدهم النبي (ﷺ) بعد فتحه للطائف

(١) نجمان ياسين/تطور الأوضاع الاقتصادية/ص ٥٤

(٢) ثابت الراوي/محاضرات في تاريخ العرب/ص ٥٥

(٣) جواد علي/المصدر السابق/٧/٤٢٥؛ سميح عاطف الزين/الأمثال في القرآن الكريم/ص ٥٣١

(٤) الطبري/التفسير/٣/١٠٦-١٠٧؛ الفخر الرازي/التفسير/٧/١٠٨؛ السيوطي/الدر المنثور/١/٣٦٦

على ما كان لهم من ربا قبل الإسلام^(١). وقد نهى الإسلام عن الربا بوصفه معاملة فاسدة وسيئة في المجتمع العربي قبل الإسلام^(٢)، وكان يؤدي إلى ثراء طبقة معينة على حساب آخرين ولذلك فالمتعاملين به أي الذين يأخذون الربا كان من أشرف ورؤساء القوم وأهل البيوت الرفيعة، كما مر بنا آنفاً .

(١) مقاتل / التفسير / ١/٤٦؛ الطبري/م.ن/٣/١٠٦-١٠٧؛ الفخر الرازي/م.ن/٧/١٠٨؛ القرطبي/ التفسير /٢/

٢٧٥؛ السيوطي/م.ن/١/٣٦٦

(٢) لمزيد من المعلومات حول أسباب فساد الربا ونهي الإسلام عنه أنظر: عبد الله ناصح علوان/تربية الأولاد في

الإسلام/٢/٩١٢

الخاتمة

من خلال ما تقدم في البحث، لا بد ان ابين اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال سير البحث، فقد تبين لي ان الحديث الشريف منهل غزير لمعرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وذلك من خلال ذكره لعباداتهم وتقاليدهم وما كان سائداً لديهم من اعراف وأحكام وطقوس، ومن خلال أيضاً نستشف انه لم يمحو نهائياً آثار وتاريخ العرب قبل الإسلام، بل نجده قد اجتث ما هو منافياً للإسلام ومتعارضاً مع قواعده وأصلح وشذب ما يمكن ان يتفق مع الروح الإسلامية، وأقر ما هو ملائم لجوهر الإسلام.

وتوصلت إلى معرفة بعض جوانب الحياة عند العرب قبل الإسلام، من خلال الأحاديث الشريفة في الصحيحين، فقد بينت لنا اهم عباداتهم والطقوس التي كانت عندهم وأهم معتقداتهم التي كانوا يمارسونها، كما ذكر أهم المعارف التي كانت سائدة عندهم. كما تبين لنا جوانب مهمة من احوالهم الاجتماعية، من حياة أسرية وما كان يتعلق بها من أعمال فضلاً عن ذكر أنساب بعض القبائل وأصولها وما يرافقها من فخر وطمع في أحسابهم وانسابهم وغيرها، كما وضح عادات وتقاليدهم كانت شائعة في مجتمعهم من افراح وأحزان وما يستتبعها من اعمال كانت عند العرب، كما ذكر لنا بعض مآثرهم وأعمالهم التي كانوا يفتخرون بها، وأيضاً كشف لنا البحث عن بعض ممارساتهم في العقوبات والحدود التي كانت عندهم. اما في الجانب الاقتصادي، فقد أشار الصحيحان إلى النشاطات الاقتصادية للعرب من تجارة وصناعة وزراعة وذكر الصحيحان اهم الأسواق التي كانت عند العرب قبل الإسلام، التي تنأت أهميتها لارتباطها بموسم الحج، ووجدت في أحاديثهما انواع المعاملات التي كان يتعامل بها العرب من اساليب مختلفة في البيع والشراء للأغراض التجارية والمنتجات الزراعية، أضف إلى ذلك المعاملات التي كانوا يمارسونها في السوق من نجش وسمسة وغش وخداع، وبينت الأحاديث في الصحيحين أهم عملية كانت تتداول بين كبار التجار وأصحاب الأموال منهم، إلا وهي الربا الذي كان معروفاً عندهم، وبينت الأحاديث في الصحيحين كيفية التعامل به والمواد المتعامل بها،

وان هذه المعلومات تدل على ان العرب قبل الإسلام وخاصة أهل المدن والحوضر لم يكونوا متخلفين عن سائر الأمم آنذاك وانما كانوا سائرين في ركب ذلك العصر.

وقد تبين أيضاً من خلال البحث ان الحديث الشريف في الصحيحين يعتبر المصدر الوحيد لبعض المعلومات عن تاريخ العرب قبل الإسلام، فهو يضم معلومات قيمة لا توجد في مصدر آخر، ومنها على سبيل المثال أنواع الزواج، فيعتبر الحديث المصدر الوحيد الذي تكلم عنه، وقد اخذ جميع من كتب وتكلم عن الزواج عند العرب معلوماته من الحديث الشريف ولم يرجع إلى أي مصدر آخر قط، وقطعاً هذه الميزة تعطي للحديث الشريف أهمية كبيرة في مجال التاريخ، ولهذا يعد الحديث الشريف جديراً بالدراسة والبحث عند دراسي تاريخ العرب.

كما قد أشرت في البحث إلى النهي أو التأييد، إلى موقف الإسلام من أحداث تاريخ العرب قبل الإسلام، والتي ذكرت في أحاديث الصحيحين، وذلك يفيدنا في معرفة التغيير الجذري الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربي، والذي يعتبر فاصلة تاريخية مهمة في تاريخ العالم وليس العرب فحسب، وليبين لنا ما كان عند العرب قبل الإسلام، وما كان عندهم بعد مجيء الإسلام، وذكر بذكر الحديث الشريف له في الصحيحين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات

أبن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ - ٨١٧م).

١- مخطوطة المثالب، دار الكتب المصرية، رقم المخطوطة ٩٦٠٤ أدب.

المصادر الأولية

أبن الأبرص: عبيد (ت ٥٥٥م).

٢- الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (لا.ط).

أبن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ - ١٢٧٠م).

٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، طبعه وصححه ووضع فهرسه محمد باسل عون، ط ١، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

أبن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م).

٤- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار أحياء الكتب العربية، مطبعة

عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

أبن أبي سلمى: زهير (ت ٦٠٩م).

٥- الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (لا.ط).

أبن الأثير: مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م).

٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (لا.ط).

أبن الأثير: علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م).

٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق محسن أبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، كتاب

الشعب، (د.ت)، (لا.ط)، (لا.م.ط).

- ٨- الكامل في التاريخ، بيروت، لبنان، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، (لا.ط).
- أبن أسحاق: محمد (ت ١٥١-٧٦٨م).
- ٩- السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- أبن الأصبع: عرام.
- ١٠- أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام هارون (منشور ضمن كتاب نواذر المخطوطات الجزء الثاني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م، (لا.ط).
- أبن جلجل: سليمان بن حسان الأندلسي (عاش في القرن ٤هـ).
- ١١- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، ١٩٥٥، (لا.ط).
- أبن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م).
- ١٢- التبصرة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١٣- المدهش، المؤسسة العالمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣، (لا.ط).
- أبن حبيب: محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ-٨٥٩م).
- ١٤- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، تحقيق عبد السلام هارون، (مطبوع ضمن كتاب نواذر المخطوطات الجزء الثاني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، ١٩٥٥، (لا.ط).
- ١٥- المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتير، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٤٢، (لا.ط).
- أبن حجر: أوس.
- ١٦- الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (لا.ط).

أبن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ-١٠٦٣م).

١٧- جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

١٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)، (لا.ط).

١٩- المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).

أبن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ-٩١٢م).

٢٠- المسالك والممالك، إبريل، ١٨٨٩م، (لا.ط).

أبن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ-١٤٠٥م).

٢١- المقدمة، مطبعة الكشاف، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).

أبن خلكان: أحمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م).

٢٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).

أبن دريد: محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ-٩٣٣م).

٢٣- الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، (لا.ط).

٢٤- جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، (لا.ط).

أبن رسته: أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ-٩٠٣م).

٢٥- الأعلام النفيسة، مطبعة إبريل، لندن، ١٨٩١م، (لا.ط).

أبن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ-١٠٦٣م).

٢٦- العمدة، حققه وعلق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.

أبن الزيعرى: عبيد الله بن الزيعرى.

٢٧- شعر عبيد الله بن الزيعرى، تحقيق يحيى الجبوري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

أبن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ - ٨٤٤م).

٢٨- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).

أبن سلام: أبي عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ - ٨٣٨م).

٢٩- كتاب النسب، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

أبن سيدة: علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥م).

٣٠- المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).

أبن عبد البر: يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م).

٣١- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

أبن عبد ربه: أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ - ١٠١١م).

٣٢- العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وفهارسه أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم لابياري، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، (لا.ط).

أبن العبري: غريغورس الملطي (ت ق ٧هـ).

٣٣- تاريخ مختصر الدول، ط٢، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٥٨م.

أبن فارس: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م).

٣٤- كتاب النيروز، تحقيق عبد السلام هارون، (مطبوع ضمن كتاب نواذر المخطوطات الجزء الثاني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥م، (لا.ط).

٣٥- مجمل اللغة، تحقيق الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (لا.ط).

أبن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م).

٣٦- أدب الكاتب، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، (لا.ط).

٣٧- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، (لا.ط).

٣٨- عيون الأخبار، نسخة منقحة ومصححة، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٩- كتاب الجرائيم، تحقيق محمد جاسم الحميدي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٧م، (لا.ط).

٤٠- المعارف، مطبعة، جوتنجن، ١٨٥٠م، (لا.ط).

٤١- الميسر والقдах، نسخه وصححه وعلق عليه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٤٣هـ، (لا.ط).

أبن قيم الجوزية: محمد بن بكر (ت ٧٥١هـ - ١٣٥٠م).

٤٢- زاد المعاد في هدى خير العباد، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف طه، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، (لا.ط).

أبن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م).

٤٣- البداية والنهاية، ط ١، مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٤٤- تفسير القرآن العظيم، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (د.ت)، (لا.ط).

أبن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ - ٨١٧م).

٤٥- الأَصْنَام، تحقيق أحمد زكي، نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م، (لا.ط).

٤٦- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعه يحيى بن مدرك الطائي، دراسة وتحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، (لا.ط).

أبن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ-١٣٨٨م).

٤٧- لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت)، (لا.ط).

النديم: محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ-٩٩٥م).

٤٨- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، حقق أصوله وعلق عليه لجنة من كبار العلماء والأدباء، مكتب النهضة الحديثة، مكة المكرمة، (ملحق بكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام)، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٦، (لا.ط).

أبن النديم: محمد بن أسحاق (ت ٣٨٥هـ-٩٩٥م).

٤٩- الفهرست، مطبعة الاستقامة، مصر، (د.ت)، (لا.ط).

أبن هشام: عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ-٨٢٨م).

٥٠- السيرة النبوية، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، (مطبوع مع كتاب ؟؟؟؟ الأنف) مكتبات الكليات الأزهرية، شركة الطباعة المتحدة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، (لا.ط).

أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ-٨٢٤م).

٥١- أيام العرب قبل الإسلام، تحقيق عادل جاسم البياتي، بغداد، ١٩٧٦م، (لا.ط).

أبي زين القرشي: محمد بن أبي الخطاب (عاش في القرن ٤هـ).

٥٢- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي، ط ١، القاهرة، مصر، (د.ت).

أبي طالب: بن عبد المطلب (ت ٣ بعد البعثة).

٥٣- الديوان، تحقيق محمد حسين آل ياسين، ط ١، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

أبي الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م).

٥٤- تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٤٠م، (لا.ط).

٥٥- المختصر في أخبار البشر، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ١٩٠٧م.

- الابشيهي: أحمد بن محمد (ت ٥٨٨هـ - ٤٤٦م).
 ٥٦- المستطرف في كل فن مستظرف، الأزهري الشريف، مصر، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، (لا.ط).
 الأزرقى: محمد بن عبد الله (ت ٢٢٤هـ - ٨٥٩م).
 ٥٧- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحق، ط ٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
 الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ - ٩٧٦م).
 ٥٨- الأغاني، شرحه وكتب هوامشه عبد أ. علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
 الأعشى الكبير: ميمون بن قيس (ت ٨٨هـ - ٦٢٩م).
 ٥٩- الديوان، شرح وتعليق محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م. (لا.ط).
 أمروء القيس: بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٥٤٥م).
 ٦٠- الديوان، شرح محمد إبراهيم الحضرمي، قدم له وحققه أنور أبو سويلم وعلي الهروط دار صادر، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).
 البحتري: أبي عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ - ٨٧٠م).
 ٦١- الحماسة، ضبطه وعلق عليه كمال مصطفى، ط ١، مصر، ١٩٢٩م.
 البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ - ٨٧٠م).
 ٦٢- صحيح البخاري، طبعه بالأوفست مصورة عن طبعة دار الطباعة باسطنبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، (لا.ط).
 البغدادي: أبو الفوز محمد أمين السويدي (ت ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م).
 ٦٣- سبائك الذهب في معرفة قبائل وأنساب وتاريخ العرب، منشورات مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٧م (لا.ط).

- البكري: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ١٢٤٦هـ - ١٠٩٤م).
- ٦٤- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق وتقديم أحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، (لا.ط).
- ٦٥- معجم ما أستعجم، تحقيق وضبط مصطفى السقا، ط ١، القاهرة، ١٣٢٥هـ - ١٩٤٥م.
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ - ٩٠١م).
- ٦٦- انساب الأشراف، حققه وقدم له سهيل زكار ورياض زركلي، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٦٧- فتوح البلدان وأحكامها، تحقيق وتقديم سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- البلخي: مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ - ٧٦٧م).
- ٦٨- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله حمود شحاته، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، (لا.ط).
- البيروني: أبي الريحان محمد بن أحمد (ت ٤١٠هـ - ١٠١٩م).
- ٦٩- الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشرة أدورد سخاو، برلين، ١٨٧٨م، (لا.ط).
- البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٧٩١هـ - ١٣٨٨م).
- ٧٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).
- البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت في القرن ٥هـ).
- ٧١- المحاسن والمساوي، صححه السيد محمد بدر الدين الغساني الحلبي، مصر، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٦م، (لا.ط).
- تأبط شرا: ثابت بن جابر (ت ٢٢٩هـ - ٨م).
- ٧٢- الديوان، أعداد وتقديم طلال حرب، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

- التبريزي: أبي زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ - ١١٠٨م).
- ٧٣- شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).
- ٧٤- شرح المعلقات العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- التوحيدي: أبي حيان (ت ٤١٤هـ - ١٠٢٣م).
- ٧٥- البصائر والنخائر، تحقيق وتعليق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أمل ومطبعة الإنشاء، دمشق، (د.ت)، (لا.ط).
- ثعلب: أبي عباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ - ٩٠٤م).
- ٧٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (لا.ط).
- ٧٧- مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر (د.ت)، (لا.ط).
- الجاحظ: عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ - ٨٣٩م).
- ٧٨- البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).
- ٧٩- الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٨٠- المحاسن والأضداد، ط ١، انتشارات الشريف الرضي، مطبعة شريعة، ١٤٢٣هـ.
- الجمحي: محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ - ٨٤٥م).
- ٨١- طبقات الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
- الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م).
- ٨٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عصار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، (د.ت)، (لا.ط).

- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٧ م).
- ٨٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة بالأوفيس، بغداد، (د.ت) (لا.ط)، الحلبي:
- علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ - ١٦٣٤ م).
- ٨٤- انسان العيون في سيرة الأمين والمؤمن، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م (لا.ط). حمزة: ابن الحسن الاصبهاني (ت ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م).
٨٥. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١ م، (لا.ط).
- الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ - ١٢٣٨ هـ).
- ٨٦- معجم البلدان، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦ م.
- الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب (ت ٧٩٥ هـ - ١٣٩٣ م).
- ٨٧- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٢٤ هـ - ١٩٢٤ م، (لا.ط).
- الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الشريد (ت ٢٤ هـ - ٦٤٥ م).
- ٨٨- الديوان: دار صادر، بيروت، ١٩٩٦، (لا.ط).
- الخوارزمي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٧٨ هـ - ٩٩٧ م).
- ٨٩- مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق بالأزهر، مصر (ب.ت)، (لا.ط).
- الدميري: كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م)
- ٩٠- حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ب.ت)، (لا.ط)
- الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ - ١٥٥٩ م).
- ٩١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت (د.ت)، (لا.ط)
- الذبياني: النابغة زياد بن معاوية (ت ١٨ هـ - ٦٣٩ م).
- ٩٢- الديوان، جمعه وشرحه وكمّله وعلق عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر المكتبة التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، (لا.ط).
- الذهبي: شمس الدين محمد (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م).
- ٩٣- تذكرة الحفاظ، ط ٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٧٦-١٩٦٥ م.

- ذي الأصبع العدواني: محرث بن حرثان (ت ٢٢ قبل الهجرة)
- ٩٤- الديوان، تحقيق وجمع عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدليمي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٣ (لا.ط).
- الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦ هـ-١٢٦٨ م)
- ٩٥- مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م، (لا.ط).
- الرواندي: قطب الدين (ت ٥٧٣ هـ-١١٧٧ م).
- ٩٦- قصص الأنبياء، تحقيق الميرزا غلام رضا عرفانيان، ط ١، مؤسسة الهادي، قم، إيران، ١٤١١ هـ.
- الزبيدي: عمرو بن معد يكرب (ت ٢١ هـ-٦٤٢ م).
- ٩٧- الديوان، صنعة هاشم الطعان، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٣٩٠ هـ-١٩٧٠ م، (لا.ط)
- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٨ هـ-١٧٩٠ م).
- ٩٨- تاج العروس من جوامع القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د.ت)، (لا.ط)
- الزبيدي: مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ- ٨٥٠ م).
- ٩٩- نسب قريش، نشره وصححه وعلق عليه ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٥٣، (لا.ط).
- الزمخشري: محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ-١١٣٣ م).
- ١٠٠- أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩، (لا.ط).
- ١٠١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، انتشارات آفتاب، طهران (د.ت) ، (لا.ط).
- ١٠٢- المستقصى في أمثال العرب، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧ م.
- الزوزني: الحسين بن احمد (ت ٤٨٦ هـ-١٠٩٣ م).
- ١٠٣- شرح المعلقات السبع، مكتبة المعارف، بيروت، ، (د.ت) ، (لا.ط).
- السجستاني: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٥٠ هـ-٨٦٤ م).
- ١٠٤- المعمرن والوصايا، تحقيق عبد المنعم، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦١، (لا.ط).

- السهلي: عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (٥٨١ هـ - ١١٨٥ م).
- ١٠٥- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف طه، (مطبوع مع كتاب السيرة النبوية لأبن هشام، مكتبة الكليات الأزهرية، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م)، (لا.ط).
- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ - ١٥٠٥ م).
- ١٠٦- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- ١٠٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
- ١٠٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وعلق عليه محمد أحمد جاد المولى وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، (لا.ط).
- الشافعي: محمد بن أدريس (ت ٢٠٤ هـ - ٨١٧ م).
- ١٠٩- الأم، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م).
- ١١٠- الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- الصنعاني: محمد بن أسماعيل (ت ١١٨٢ هـ - ١٨٦٥ م).
- ١١١- سبل السلام شرح بلوغ المرام، تحقيق حازم علي بهجت القاضي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (لا.ط).
- الطائي: حاتم بن عبد الله (ت ٦٠٥ م).
- ١١٢- الديوان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، (لا.ط).
- الطائي: ابي تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م).
- ١١٣- الوحشيات علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد على حاشيته محمود شاكر، دار المعارف، مصر (د.ت)، (لا.ط).
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م).
- ١١٤- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر (د.ت).
- ١١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- العسقلاني: أحمد بن علي محمد (ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م).

- ١١٦- الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى، بغداد، أعيد طبعه بالأوفست على الطبعة الأولى في مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨ هـ.
- ١١٧- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مصور بالأوفست عن الطبعة الأولى بالمطبعة الميرية ببولاق، مصر، ١٣٠٠ هـ.
- العسكري: أبي هلال الصابي (ت ٣٩٥ هـ-١٠٠٤ م).
- ١١٨- الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة، ١٩٦٦، (لا.ط).
- ١١٩- جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المؤسسة العربية الحديثة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- ١٢٠- ديوان المعاني، مكتبة القدس، القاهرة، (د.ت)، (لا.ط).
- العيني: بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ-١٤٥٢ م).
- ١٢١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار أحياء التراث العربي، (د.ت)، (لا.ط)، (لا.م.ط).
- الغزالي: محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ-١١٦٠ م).
- ١٢٢- أحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
- الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢ هـ-١٣٣٨ م).
- ١٢٣- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار أحياء الكتب العربية، (مطبوع معه كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لأبن النجار)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٦ م، (لا.ط).
- الفاكهي: محمد بن اسحاق (ت ٢٧٥ هـ-٨٨٨ م).
- ١٢٤- المنتقى في أخبار أم القرى، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
- الفخر الرازي: محمد بن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٦ هـ-١٢١٠ م).
- ١٢٥- تفسير الفخر الرازي، قدم له فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م (لا.ط).
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ-٧٩١ م).
- ١٢٦- العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠، (لا.ط).

- الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة (ت ١١٤ هـ - ٧٣٣ م).
 ١٢٧- الديوان، شرحه وضبطه عمر فاروق الطباع، ط١، دار الأرق، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ - ١٤١٥ م).
 ١٢٨- القاموس المحيط، ط٢، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)
 ١٢٩- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠١ م، (لا.ط).
- القاللي: اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ - ١٩٦٦ م).
 ١٣٠- الآمالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٥، (لا.ط).
 ١٣١- ذيل الامالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٦، (لا.ط)
 القرطبي: محمد بن أحمد الانصاري (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م).
 ١٣٢- الجامع لأحكام القرآن، قدم له فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- قطرب: أبي علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ - ٨٢١ م).
 ١٣٣- الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق حنا جميل حداد، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥ م.
 القلقشندي: أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م).
 ١٣٤- صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م (لا.ط)
 ١٣٥- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق وتقديم إبراهيم الابياري، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ١٣٦- نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الابياري، ط١، القاهرة، مصر، ١٩٥٩ م.
- الكازروني: منصور بن الحسن القرشي (ت ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م)
 ١٣٧- حاشية الكازروني: (مطبوع بهامش كتاب أنوار التنزيل للبيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت (ب.ت) (لا.ط).
 الكافيحي: محمد بن سليمان (ت ٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م).
 ١٣٨- المختصر في علم التاريخ، تحقيق روزنثال، ترجمة صالح العلي، (مطبوعة مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنثال)، بغداد، ١٩٦٣ (لا.ط).
 لبيد: ابن ربيعة العامري.

- ١٣٩- شرح ديوانه: تحقيق احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م، (لا.ط.)
 الماوردي: علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨م)
 ١٤٠- أدب الدنيا والدين، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، أشرف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، (لا.ط.).
 المبرد: محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ - ٨٩٨م)
 ١٤١- الكامل، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (د.ت)، (لا.ط.).
 ١٤٢- نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوني، الدوحة، قطر، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، (لا.ط.)
 المرزوقي: أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٣٥ هـ - ١٠٣٠م).
 ١٤٣- الأزمنة والأمكنة، ط ١، حيدرآباد، الهند، ١٣٣٢ هـ.
 المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين (ت ٣٦٤ هـ - ٩٧٥م).
 ١٤٤- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ط ١، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، مصر، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.
 ١٤٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق أمير مهنا، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
 المعري: أبو العلاء (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧م).
 ١٤٦- رسالة الغفران: تحقيق وشرح محمد عزت عبد الله، بيروت، ١٩٦٨م، (لا.ط.).
 المغيري: عبد الرحمن بن حمد (لا تعرف سنة وفاته).
 ١٤٧- المنتخب في ذكر قبائل العرب، صححه واشرف على طبعه ابراهيم محمد الأصيل، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م، (لا.ط.).
 ١٤٨- النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم، المطبعة الإبراهيمية، مصر، ١٩٣٧، (لا.ط.).
 الميداني: أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ - ١١٢٤م).
 ١٤٩- مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، (لا.ط.).
 النجيري: أبراهيم بن عبد الله (لا تعرف سنة وفاته)
 ١٥٠- أيمان العرب، نسخه وصححه محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤م (لا.ط.).
 النصيبي: محمد بن علي بن حوقل (ت ٣٦٧ هـ - ٩٧٧م).

- ١٥١- صوت الأرض، ط٢، دار صادر، بيروت، مصور عن طبعة بريل، ١٩٣٨م.
- النووي: أبي زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ-١٢٧٧م).
- ١٥٢- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م، (لا.ط)
- النويري: أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ-١١٣٣م).
- ١٥٣- نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٣م، (لا.ط)
- النيسابوري: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ-٨٧٤م)
- ١٥٤- الجامع الصحيح، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٣٤ هـ.
- الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ-٩٤٦م).
- ١٥٥- الاكليل، ج٨، تحقيق الأب انستانس ماري الكرمل، مطبعة السريان الكاثوليك، بغداد، ١٩٣١م، (لا.ط).
- ١٥٦- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوخ، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م، (لا.ط).
- الواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨ هـ-١٠٧٥م)
- ١٥٧- الوسيط في الأمثال، تحقيق د. عفيف محمود عبد الرحمن، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥م، (لا.ط).
- الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ-٨٢٢م).
- ١٥٨- المغازي، تحقيق مارسدن جونس، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د.ت) (لا.ط).
- اليقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن وهب (ت ٢٩٢ هـ-٩٠٤م)
- ١٥٩- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د.ت) (لا.ط).

المراجع الثانوية

- ابراهيم: محمد أبو الفضل، وعلي محمد الجاوي.
 ١٦٠- أيام العرب في الجاهلية، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٢ هـ-٢٠٠٣ م.
 الارباني: مطهر علي
 ١٦١- في تاريخ اليمن نقوش سندية وتعليقات، ط٢، مطبعة مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٠ م.
 الافغاني، سعيد.
 ١٦٢- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠، (لا.ط).
 أمين: أحمد
 ١٦٣- فجر الإسلام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٩ م.
 بدران: عبد القادر.
 ١٦٤- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لأبن عساكر، ط٢، دار المسير، بيروت، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
 بروكلمان: كارل.
 ١٦٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ط١، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧ م.
 ١٦٦- تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣ م، (لا.ط).
 البغدادي: محمود الالوسي.
 ١٦٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، (لا.ط).
 بك: محمد احمد جاد المولى واخران.
 ١٦٨- ايام العرب في الجاهلية، ط٣، دار احياء الكتب العربية، مصر، (د.ت).
 ١٦٩- قصص العرب، ط١، دار احياء الكتب العربية، مطبعة اليابى العربي وشركاءة منشورات الشريف الرضي ١٣٨١ هـ-١٩٦٢ م.
 ١٧٠- محمد المثل الكامل، ط٥، مصر، ١٣٨٠ هـ-١٩٦١ م.
 البكر: منذر.
 ١٧١- دراسات في تاريخ الرب قبل الاسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة البصرة، ١٩٩٢ م.
 ١٧٢- الوسيط تاريخ الرب قبل الاسلام، البصرة، ١٩٩١ م.
 بيغوليفسكايا: نينا فكتور.

١٧٣- من تاريخ اليمن في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ترجمة قائد طربوش (نسخة مصورة تحت الطبع). مركز الدراسات والبحوث اليمن، صفاء، ١٩٩٥م.

البناء: محمد.

١٧٤- الكتاب والسنة، ط١، ١٩٦٦م، (لا.م.ط.).

توفيق: محمد.

١٧٥- اثارمعين في جوف اليمن، القاهرة، ١٩٥٥م.

التوفيق: حيسن.

١٧٦- دروس في تاريخ الاديان، تعريب انور الرصافي، المركز العلمي للدراسات الاسلامية، قم المقدسة، ايران، ١٩٦٤م.

جب: هاملتون.

١٧٧- دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس واخران، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.

الجبوري: يحيى.

١٧٨- الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الادب الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ. ١٩٦٨م، (لا.ط.).

١٧٩- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، دار التربية، بغداد، (د.ت.). (لا.ط.).

جمعة: ابراهيم.

١٨٠- مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الاسلام، ط١، ١٩٨٤هـ - ١٩٦٥م، (لا.م.ط.).

جمعة: محمد محمود.

١٨١- النظم الاجتماعية والسياسة عند قدماء العرب والأمم السامية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩١٩م. (لا.ط.).

الجميل: رشيد.

١٨٢- تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية، ط٢، مطبعة الرصافي، بغداد، ١٩٧٦م.

جياووك: مصطفى عبد اللطيف.

١٨٣- الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م. (لا.ط.).

حبوش: طاهر جليل.

١٨٤- اوائل العرب عبر العصور والحقب عصر ما قبل الاسلام، ط١، بغداد، ١٩٩٠م.

- حتى: فيليب وآخرون.
- ١٨٥- تاريخ العرب، ط٥، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.
- حسن: علي أبراهيم.
- ١٨٦- التاريخ الاسلامي العام، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٩م.
- حسين: طه.
- ١٨٧- في الادب الجاهلي، ط٢، دار المعارف، مصر، (د.ت.).
- الحسيني: عبد المحسن.
- ١٨٨- تقويم العرب في الجاهلية، مطبعة الجامعة الاسكندرية، مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، (لا.ط.).
- حطب: زهير.
- ١٨٩- تطور بنى الاسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، ط١، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٧٦م.
- حمور: عرفات محمد.
- ١٩٠- اسواق العرب، دار الشورى، بيروت، (د.ت.)، (لا.ط.).
- الحوت: محمود سليم.
- ١٩١- في طريق المثلوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت، ١٩٧٩م.
- الحوفي: احمد محمد.
- ١٩٢- المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٥٤م، (لا.ط.).
- خان: محمد عبد المعيد.
- ١٩٣- الاساطير والخرافات عند العرب، ط٤، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٢م.
- الخربوطلي: علي حسين.
- ١٩٤- تاريخ الكعبة المشرفة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ - ١٩٦٧م، (لا.ط.).
- الخطيب: محمد عجاج.
- ١٩٥- السنة قبل التدوين، ط١، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- الدباغ: تقي.
- ١٩٦- الفكر الديني القديم، ط١، بغداد، ١٩٩٢م.
- درادكه: صالح موسى.
- ١٩٧- بحوث في تاريخ العرب قبل الاسلام، عمان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (لا.ط.).

الرافعي: مصطفى.

١٩٨- حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة، ط١، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

الراوي: ثابت اسماعيل، وعبد الله سلوم السامرائي

١٩٩- محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام وحياة الرسول، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ت)، (لا.ط).

الريبي: احمد.

٢٠٠- قس بن ساعدة الايادي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م. رستم: أسد.

٢٠١- مصطلح التاريخ، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت). رشدي: محمد.

٢٠٢- مدنية العرب في الجاهلية والإسلام، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩ هـ-١٩١١ م، (لا.ط). الرشيد: ناصر بن سعد.

٢٠٣- سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩١ هـ-١٩٧٧ م. ريسلر: جاك.

٢٠٤- الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة أحمد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت). (لا.ط).

الزركلي: خير الدين.

٢٠٥- الاعلام، ط٢ (د.ت)، (لا.م.ط)

زيدان: جرجي.

٢٠٦- تاريخ التمدن الإسلامية، مراجعة وعلق عليه حسين مؤنس، دارالهلال، (د.ت)، (لا.ط). الزين: سميح عاطف.

٢٠٧- الأمثال في القرآن الكريم، دارالكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م، (لا.ط). سابق: السيد.

٢٠٨- فقه السنة، ط٨، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

الساداتي: احمد محمود.

٢٠٩- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، المطبعة النموذجية، مصر، (د.ت)، (لا.ط).

- سالم: عبدالعزيز.
- ٢١٠- تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، (لا.ط.).
- السامرائي: كمال.
- ٢١١- مختصر تاريخ الطب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- سرور: محمد جمال الدين.
- ٢١٢- قيام الدولة العربية الإسلامية، ط٥، دار الفكر العربي، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- سلامة: عواطف أديب.
- ٢١٣- قرّيش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م، (لا.ط.).
- سلمان: علي.
- ٢١٤- الشعر الجاهلي وأثره في تفسير الواقع، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م.
- سيف الدين: أبراهيم نمير، وليد أبراهيم أحمد.
- ٢١٥- تاريخ العرب عصر النبوة، ط١، دار الطباعة الحديثة، البصرة (د.ت)، (لا.ط.).
- الشطي: أحمد شوكت.
- ٢١٦- مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، جامعة دمشق، ١٣٨٣ هـ-١٩٦٣م، (لا.ط.).
- الشنقيطي: احمد.
- ٢١٧- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ط٥، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- شيخو: الأب لويس.
- ٢١٨- رياض الأدب في مرآثي شواعر العرب (شواعر الجاهلية)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.
- الصالح: صبحي.
- ٢١٩- علوم الحديث ومصطلحه، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

- الصالح: محمد.
- ٢٢٠- الخيل عند العرب، نشر المؤلف، (د.ت)، (لا.م. ط).
- صفوت: أحمد زكي.
- ٢٢١- جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، ط١، شرحه وطبعه مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.
- ضيف: شوقي.
- ٢٢٢- العصر الجاهلي، ط١٠، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- طبارة: عفيف عبد الفتاح.
- ٢٢٣- روح الدين الإسلامي، ط٦، دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- طلس: محمد أسعد.
- ٢٢٤- تاريخ الأمة العربية، ط١، مكتبة الأندلس، بيروت، لبنان، ١٩٥٧م.
- عبد الحميد: سعد زغلول.
- ٢٢٥- في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، (لا.ط).
- عبد الرحمن: حكمت نجيب.
- ٢٢٦- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م (لا.ط).
- عجلان: عباس بيومي.
- ٢٢٧- الهجاء الجاهلي صوره واساليبه الفنية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م، (لا.ط).
- العدوي: أبراهيم أحمد.
- ٢٢٨- الدولة الإسلامية وأمبراطورية الروم، ط٢، مصر، ١٩٥٨م.
- العزیز: حسين قاسم.
- ٢٢٩- موجز تاريخ العرب والإسلام، ط١، بيروت، ١٩٧١م.
- العسلي: خالد.
- ٢٣٠- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهد الإسلامية المبكرة، اعداد وتقديم عماد عبد السلام رؤوف، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- العقاد: عباس محمود.
- ٢٣١- الله كتاب في نشأة العقيدة الآلهية، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.
- علوان: عبد الله ناصح.
- ٢٣٢- تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت) (لا.ط).

العلي: صالح احمد.

٢٣٣- محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١م
(لا.ط).

علي: جواد

٢٣٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار الملايين، بيروت، ١٩٧١م.

علي: سيد امير.

٢٣٥- مختصر تاريخ العرب، ط٢، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،
١٩٦٧م.

٢٣٦- روح الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م، (لا.ط).

علي: محمد كرد.

٢٣٧- الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م، (لا.ط).

١٩٩٧م-

العمري: أكرم ضياء.

٢٣٨- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

فوزي: إبراهيم.

٢٣٩- أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٢، (لا.ط).

القاسمي: ظافر.

٢٤٠- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ط٦، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ-

١٩٩٠م.

قباني: عبد العزيز.

٢٤١- العصبية بنية المجتمع العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤١٧هـ

القطب: سمير عبد الرزاق.

٢٤٢- أنساب العرب، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

كاهن: كلود.

٢٤٣- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية،

ط٢، نقله إلى العربية بدر الدين القاسم، دار التحقيق، بيروت، ١٩٧٧م.

كحالة: عمر رضا.

٢٤٤- العالم الإسلامي (الجزء الأول العرب قبل الإسلام)، ط٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

٢٤٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٤٦- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.

كراتشوفسكي: اغتاطيوس يوليا نوفتش

٢٤٧- تاريخ الأدب الجغرافي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

كستر: م.ج.

٢٤٨- الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م، (لا.ط.).

٢٤٩- مكة وتميم المظاهر، علاقاتهم، ترجمة يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م، (لا.ط.).

كوبيشانوف: يوري ميخايلوفتش.

٢٥٠- الشمال الشرقي الفريقي من العصور الوسيطة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ترجمة صلاح الدين ابراهيم عثمان هاشم، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٨م.

كريم: احمد عبد الرضا.

٢٥١- الانساب المنقطعة، ط١، مكتبة المدبولي، ١٩٩٩م.
لوبون: غوستاف.

٢٥٢- حضارة العرب، نقلة إلى العربية عادل زعيتر، مطبعة عيسى الياباني الحلبي (د.ت)، (لا.ط.).

ماجد: عبد المنعم.

٢٥٣- التاريخ السياسي للدولة العربية، ط٥، القاهرة ١٩٧٥م.

- محمد: ابراهيم عبد الرحمن.
- ٢٥٤- الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، (لا.ط).
- المدرس: عبد الكريم محمد.
- ٢٥٥- موهب الرحمن في تفسير القرآن، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. (لا.م.ط).
- مصطفى: شاكر.
- ٢٥٦- المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معلوف: لوئيس.
- ٢٥٧- المنجد في اللغة، ط٣٧، طبعة منقحة ومزيد عليها، انتشارات ذوي القربى، مطبعة غدير ، رقم، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الملاح: هاشم يحيى.
- ٢٥٨- الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١ م.
- نامي: خليل يحيى.
- ٢٥٩- نقوش ضربة معين، مطبعة المعهد العالمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- النص: أحسان.
- ٢٦٠- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٦٣ م، (لا.ط).
- هارون: عبد السلام.
- ٢٦١- تهذيب سيرة ابن هشام، ط٣، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٦٩ هـ - ١٩٧٦ م.
- الهاشمي: علي.
- ٢٦٢- المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة العارف، بغداد، ١٩٦٠ م.
- واط: مونقمري.
- ٢٦٣- محمد في مكة: ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٥٢ م. (لا.ط).
- وافي: علي عبد الواحد.
- ٢٦٤- الاسرة والمجتمع، ط٤، دار احياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي وركاءة، مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ولكن: جي، أي.

- ٢٦٥- الامومة عند العرب، نقلها من الجرمانية بندلي صليبا الجوزي، كازان، ١٩٠١م، (لا.ط).
ولفنسون: اسرائيل.
- ٢٦٦- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، مطبعة الاعتماد، مصر،
١٩٢٧م، (لا.ط).
- ياسين: نجمان.
- ٢٦٧- تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

الدوريات

- الالوسي: محمود شكري.
- ٢٦٨- عقوبات العرب في جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم، مجلة المجمع العلمي
العراقي، مج ٣٥، ج ٢، بغداد، ١٩٨٤م.
- البكر: منذر.
- ٢٦٩- دراسة في الميثولوجيا العربية الديانة الوثنية في بلاد شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، المجلة
العربية للعلوم الإنسانية، مج ٨، ع ٣٠، الكويت.
- ٢٧٠- في الميثولوجيا العربية الشمس في عبادة العرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية، البصرة،
٤ع، ١٩٨١م.
- ٢٧١- معجم أسماء الالهة والأصنام لدى العرب قبل الإسلام، مجلة أبحاث البصرة، كلية التربية،
١٩٨٨.
- البياتي: عادل جاسم.
- ٢٧٢- إيصال الوحدة العربية في أقدم النصوص الدينية تلبيات الجاهلية، مجلة المستقبل العربي،
ع ٢٨، بيروت، ١٩٨١م.
- جواد: مصطفى.
- ٢٧٣- كره العرب للحياكة، مجلة لغة العرب، مج ٩، ج ٥، بيروت، ١٩٣١م.
- جياووك: مصطفى عبد اللطيف.
- ٢٧٤- أثر العقائد الدينية في القيم الاجتماعية والخلقية في العصر الجاهلي، مجلة المريد، كلية
الآداب، جامعة البصرة، س ٢، ع ٣-٢، ١٣٨٩ هـ-١٩٦٩م.
- حمادي: محمد جاسم.

- ٢٧٥- أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التاريخي، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٣، بغداد، العراق، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.
رحمه الله: مليحة.
- ٢٧٦- الطفل عند العرب، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٦، بغداد، العراق، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.
شوكت: ظاهر.
- ٢٧٧- الأنواء والحياة اليومية عند العرب، مجلة التراث الشعبي، ع١٠، س٦، ١٩٧٥ م.
عاقل: نبيه.
- ٢٧٨- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لمقاومة قريش للدعوة إلى الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، ع٧، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
علي: جواد.
- ٢٧٩- مقومات الدولة العربية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٨، ج ٢-٣، بغداد، ١٩٨٧ م.
كاظم: شاكر مجيد.
- ٢٨٠- مذاهب العرب في تسمية أبنائهم قبل الإسلام، مجلة آداب البصرة، ع٣٧، ٢٠٠٠ م.
- ٢٨١- مظاهر التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، ع ١، جامعة البصرة، ٢٠٠٥ م.
- كاظم: شاكر مجيد، وجواد كاظم منشد.
- ٢٨٢- الحياة العقائدية والاجتماعية في شرح نهج البلاغة لأبي الحديد المعتزلي (بحث مقبول للنشر في مجلة كلية التربية، جامعة البصرة).
- نامي: خليل يحي.
- ٢٨٣- نقوش خربة براقش، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٨، ح ٢، ١٩٥٦ م.
ندا: طه.
- ٢٨٤- الأعياد في الدولة العربية الإسلامية في القرن الأول والثاني الهجري، مجلة كلية الآداب، الأسكندرية، مج ١٧، ١٩٦٣ م.
- نوري: محمد مفيد.
- ٢٨٥- الزواج عند العرب قبل الإسلام؟، مجلة الجامعة، س ١، ع ٤، الموصل، ١٩٧١ م.

يوسف: شريف.

٢٨٦- الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٢٩، بغداد، ١٩٧٨م.

الرسائل

الاسدي: حميد سراج جابر.

٢٨٧- الفكر الاختباري في نهج البلاغة، اطروحة دكتوراه، مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

تعبان: دلال جويد.

٢٨٨- الاحلاف في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، التربية، البصرة، ١٤١٥ هـ-١٩٩٦م.

الحمد: جواد مطر رحمه.

٢٨٩- الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام، دراسة تاريخية في الميثولوجيا والمعتقدات العربية في اليمن القديم، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، التربية، البصرة، ١٩٨٩.

الحمداني: عبد الفتاح عبد الله محمود.

٢٩٠- قبيلة خثعم ودورها في التاريخ العربي قبل الإسلام حتى نهاية العصر الراشدي، اطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

الخالدي: شذى أحمد عيسى.

٢٩١- تدمير أبنان القرنين الثاني و الثالث الميلاديين، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠١م.

الدخيلي: مهدي عريبي حسين.

٢٩٢- بنو أسد ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، اطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٥م.

الشهرهاني: حسين علي عبد الحسين.

٢٩٣- السيدة خديجة بنت خويلد (ع)، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

عبد الرحمن: هاشم يونس.

٢٩٤- المثل والقيم الخلقية عند العرب قبل الإسلام، رسالة ماجستير، مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، الموصل، ١٩٨٧م.

- ٢٩٥- الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام، اطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الطابعة الآداب، الموصل، ١٩٩٢م.
- العبيدي: أحمد محمود زيدان
- ٢٩٦- الجوار في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، الموصل، ١٤١٠ هـ-١٩٨٩م.
- العيداني: مؤيد أبراهيم محمد.
- ٢٩٧- التكافل الاجتماعي في صدر الإسلام والعصر الأموي، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م.
- كاظم: شاكر مجيد.
- ٢٩٨- قبيلة خولان بن عمرو ودورها في تاريخ العرب دراسة في أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية قبل الإسلام، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٩٩٧م.
- ٢٩٩- التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، اطروحة دكتوراه، مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
- الكناني: نهلة عبد لازم حسين.
- ٣٠٠- قبيلة عيس دورها في التاريخ العربي الإسلامي، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.
- المكصوصي: ماجد عبد الحميد عبد الرزاق.
- ٣٠١- المائدة انواعها ورسومها واهميتها في صدر الإسلام والعصر الأموي، رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الطابعة، الآداب، البصرة، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.
- النصر الله: جواد كاظم منشد.
- ٣٠٢- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام علي (ع)، اطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الطابعة الآداب، البصرة، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م.

المصادر الأجنبية

Beston, A. F. L. Ghuk, M. A. Muller, W.W, Ryckmans, J.

303- SABIC dictionary, publication of the university of SANAA, Yar,
Louvain, 1982.

Fuck, J.V.

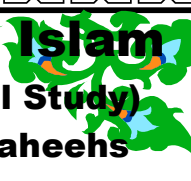
304- Amro Bin luha, Encylopadia of Islam, Old Edition London, 1972.

Rodinson, Maxime.

305- Mohammed, Translated from the French by Anne carter, Great
Britain, 1971.

Wensinck, A.J.

306- Mecca, Encyclopedia of Islam, Old Edition, London, 1927.



The History of Arab Before Islam

**(A social, Ideological, and Economical Study)
through Al-Bucharie's and Muslim Saheehs**

*A thesis Submitted to the
College of Arts – University of Basrah
For requirements for the Degree of Master of Arts in
Islamic History*

By

Assad Abdul Aziz Ali

Supervised by

Assist. Prof. Dr.

Shakir Majeed Kadhim Al- Hawani

March, 2006 1427 A.D



ABSTRACT

Each nation has a history and culture, Arab nation is one of these nations. Which has a great history and culture, Arab history reached us through many sources recorded and passed on their news and conditions before Islam, prophetic hadith is one of these sources, It consider as a rich source by which us can know a baut Arab history. Prophetic hadith recorded traditions and norms a greed with Islam principles, it also in form us a bout these didn't a greed them, so I choose this source to provide me with facts and information a bout history of Arab nation, he is my paper litle is Arab history before Islam through Bukhari and Muslem narrations. I choose these two narration because its so difficult to gother all prophetic hadiths, there are many of them, it can also be found in other sources beside books of interpretation jurisprudence, linguistics, bibliographies and extra. In addition these two book of interpretation are very important and explained by scientists they make work of are searcher more easy and make Him understand hadiths.

My paper consists of three parts an introduction and a conclusion. the first part discusses the social conditions of Arabs before Islam, it consists of five sections, section one deals with socral and demustic life and all ha- ve relation to it, like kinds of marriages and all have relation to women like peviodic, I do number of days a women spend after the death of her husband,

burid and extra. The second section deals with glery and defamation of origins, while third section deals with norms and fraditions of aids, griefs and extra. The fourth section deals with chivalry of Arab before Islam like chavity, liberation of sladers good relation ship a many relativees and social coopuration, finally section five deals with punishments of crimes.

The second part deals with intellectual state of Arabs before Islam it divides into three sections, first section deals with beliefs and idds, the second section deals with worships and rituals of sacrifices, fast and extra thethird section deals with skills of Arab before Islam like writing, reading prophecy and medicine.

Part three deals with economical state of Arab before Islam. It consists of three sections the first section deal with economical activities like trade, industry and farming, second section deals with the most important markets like ukad, megena, de almajaz, the third section deal commertial dealings like sale, purchasing and usury.

Its important to say that, the two books give only outlines and summered information, so we advice to return to other sources.